غير مخصص للبيع

# منبر الإسلام

السنة (٥٧) العدد (٨) شعبان ١٤١٩هـ
ديسمبر ١٩٩٨م

## لا .. لقانون الاضطهاد الدينى

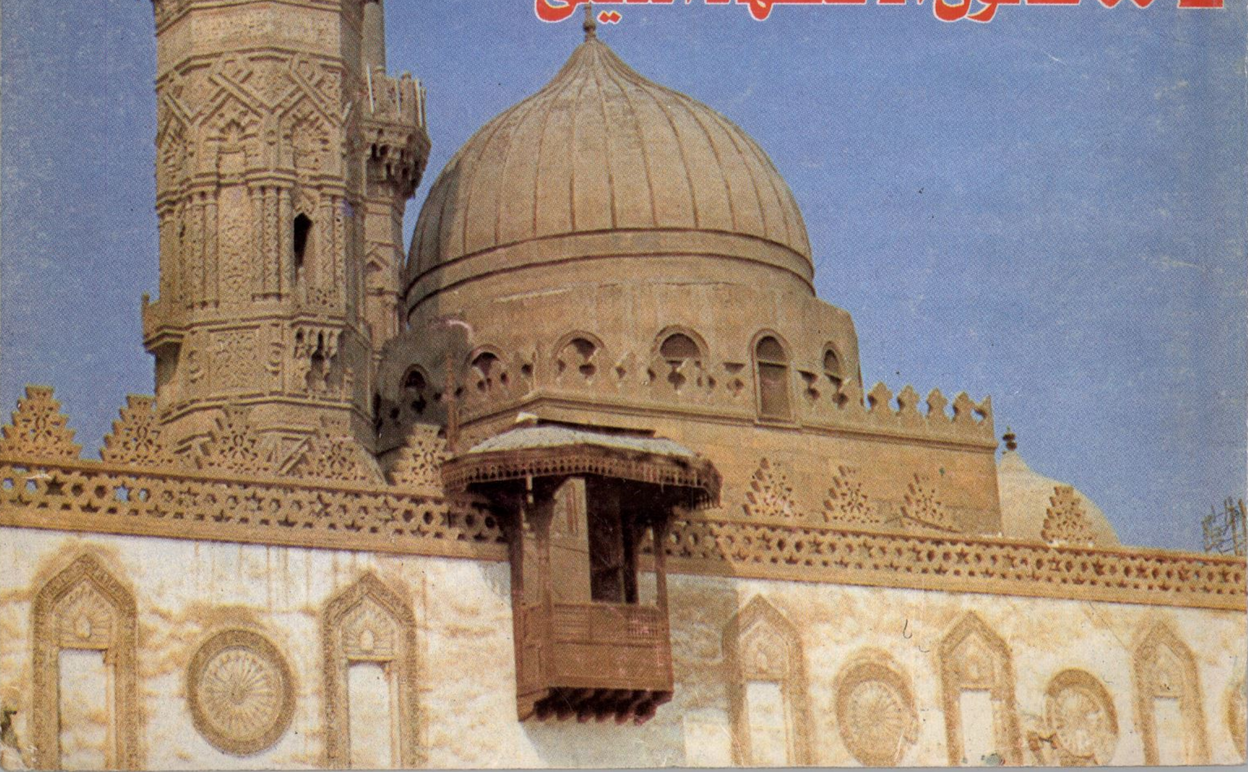

# من محتويات العدد


* تفسير سورة محمد د. محمد سيد طنطاوى
* سنن الإمام أبو داود
د. أحمد عمر هاشم
* حوار جديد مع الإسلام
روبين كوك وزير خارجية بريطانيا
* ليلة النصف من شعبان
د. صبرى عبدالرؤوف محمد
* لا لقانون الاضطهاد الدينى
ملف العدد
* الدكتور أسامة الباز فى حوار شامل حول قضايا العولمة والتهديد النووى الإسرائيلى واتفاق «واى بلانتيشن» والسوق العربية المشتركة.
* الإعلام الدينى هدف وغاية
د. محمد بهى الدين سالم
* خطبة الجمعة ـ مكانتها ورسالتها
د. أبو اليزيد العجمى


## غلاف الشهر

الأزهر الشريف حمل رسالة الإسلام وحافظ عليها بمنهجه المتميز بالوسطية والاعتدال.

وصورة تضم قيادات الدين الإسلامى والدين المسيحى فى أحد الاحتفالات تؤكد أن شعب مصر نسيج واحد وعلى قلب رجل واحد

تصوير : سيد الزفزاف

## الاشتراكات


تطلب الاشتراكات من المجلس الاعلى للشئون الإسلامية٩ ش النباتات ـ بجاردن سيتى القاهرة.
الاشتراكات عن سنة كاملة ٥٠ . ١٠ عشرة جنيهات ونصف بجمهورية مصر العربية.
الاشتراكات عن سنة كاملة ١٧ سبعة عشر دولارا أمريكيا لاتحاد البريد العربى الافريقى «بريد جوى».
الاشتراكات عن سنة كاملة ٣٠ ثلاثون دولارا لدول أوروبا.
الاشتراكات عن سنة كاملة ٣٥ خمسة وثلاثون دولارا فى الولايات المتحدة الأمريكية وكندا ودول شرق آسيا.
الاشتراكات عن سنة كاملة ٦٠ ستون دولارا أمريكيا فى أمريكا الجنوبية واستراليا واليابان.

**المراسلات:**

٩ ش النباتات ـ بجاردن سيتى ـ القاهرة ـ تليفون: ٣٥٤١٦٢٧ ـ ٣٥٥٨٦٦٤
تلغرافيا ـ منبر الإسلام ـ القاهرة

المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بالقاهرة

منبر الإسلام

تصدرها وزارة الأوقاف

المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

رئيس مجلس الإدارة

الدكتور: محمود حمدى زقزوق

وزير الأوقاف

رئيس المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

رئيس التحرير

الدكتور: عبد الصبور مرزوق

نائب رئيس المجلس

مجلس التحرير

الدكتور: صوفى أبو طالب

الدكتور: أحمد كمال أبو المجد

الدكتور: أحمد هيكل

# كلمة التحرير

فى شهر شعبان يتذكر المسلمون تحويل قبلتهم من بيت المقدس إلى بيت الله الحرام يتدبرون فلسفة الإسلام تجاه توحيد القبلة والوحدة الإسلامية. كما يدرك المسلمون أن تحويل القبلة لم يكن حدثا عابرا، إنما كان معلما تاريخيا عظيما وتوجيها دينيا بليغا يحمل ذكرى الماضى ويوضح منهج الحاضر والمستقبل للرسالة الخاتمة ويفيض مؤكدا صدق الرسالة والرسول، ومن عِبر هذه الذكرى أنها كانت بيانا عمليا عن استقلال شخصية الأمة الإسلامية وأنها أمة متبوعة لا تابعة، وهى دليل على أنه ﷺ لا يتبع إلا ما يوحى إليه، فقد كان تطلعه أن توجه القبلة إلى الكعبة حتى وجهه الله إليها لتكون وجهة المسلمين حتى قيام الساعة. هذا ما نعايشه معك عزيزى القارئ على صفحات هذا العدد الذى يحفل بالعديد من الموضوعات والقضايا التى تموج بها الساحة من مزاعم حول وجود اضطهاد دينى للإخوة المسيحيين فى مصر التى شهدت تسامحاً وترابطاً بين أبناء شعبها على مدى التاريخ ونقدم لك عزيزى القارئ حوارا شاملا حول قضايا العولمة والتهديد النووى الإسرائيلى للدول العربية والقضية الفلسطينية إلى جانب الأبواب الثابتة من علوم القرآن والسنة النبوية المطهرة والفقه والحضارة والأبواب التى تشترك معنا عزيزى القارئ فى تحريرها.

## حديث الشهر

# لا

لضرب العراق

لقانون الاضطهاد الدينى ضد مصر

لمحاصرة ليبيا

للتآمر على السودان

لكل عدوان على عربى أو مسلم

رئيس التحرير

**لقد سقطت الأقنعة...**

**وكشف الغرب - المحكوم بالصهيونية وتوجيهات اللوبى اليهودى - عن موقفه من العروبة والإسلام، وعن دوره الحقيقى فى تنفيذ ما تقرر فى «التلمود، والبروتوكولات، وفى مؤتمر «بال» » ١٨٩٧م بقيادة هرتزل.**

**إن المقصود والمخطط أن يكون القرن القادم - قرن الألفية الثالثة للميلاد - قرن إزاحة الإسلام من خريطة العالم لتأخذ المسيحية مكانه كما أعلن قادة مؤتمر «كولورادو» ١٩٧٨م.**

**ولأن «الألفية الثالثة» على الأبواب، فقد أخذ التحرك لتنفيذ المخططات صيغة محمومة فيها الكثير من ملامح زمان الغابة وعصر الهنود الحمر.**

**فإذا لم يكن هناك مبرر للعدوان فالواجب أن تخترع المبررات وأن تتلمس الأسباب.**

**وإذا لم يكن من المسلمين أى عمل يستوجب العقوبة فمن السهل اصطناع أى ذريعة.**

**أما إذا بدا أن العالم سيرفض ما يقوم به الغرب فماذا على الأقوياء من كل من فى العالم؟**

**لأن غرور القوة أنسى أقوياء زماننا مصائر الفراعنة السابقين.**

## أمريكا يحكمها اليهود

ولعل مما يساعد على استكمال صورة الواقع المعادى لكل ماهو عربى أو إسلامى أن نوجه الأذهان إلى مدى التغلغل اليهودى الصهيونى فى أجهزة التأثير والسيطرة على صناعة القرار وعند القمة فى الولايات المتحدة. فوزير الدفاع وليام كوهين يهودى، ووزيرة الخارجية مادلين أولبرايت يهودية، ورئيس الاستخبارات الأمريكية يهودى. وفوق هؤلاء جميعا منظمة «الأيباك» اليهودية بسلطانها الضخم إعلاميا واقتصاديا على صناعة القرار هناك مما يجعل من اليسير إخضاع القرار لكل ما يرضى اليهود ولو تم القضاء على العرب والمسلمين!!

❖❖❖

والقضية فى واقعها ليست مجرد استنتاج من دراسة التاريخ والمعتقدات والماضى المفعم بالمكر السيئ.

لكنها اليوم مراجعة للأحداث المتتابعة على الساحة، ولما يجرى على أرض الواقع من أعمال وتحركات تصطبغ جميعها بالعداء المكشوف والتحرش - دون سبب، أو بسبب لا يذكر - للإعلان عن ضرب هذا البلد أو ذاك من أرض العروبة والإسلام.

❖❖❖

معاناة الشعب العراقى من جراء سنوات الحصار العجاف لا تحتاج إلى تعليق!!

## إبادة المسلمين فى أى مكان

يحدث هذا فى الوقت الذى يتعاملون فيه مع الحقوق العربية أو الإسلامية بمنتهى الاسترخاء، وتمييع المواقف، ولعل ما يحدث ـ حتى اليوم ـ فى كوسوفو وألبانيا وإعلان ما يسمى تحرك حلف الأطلنطى لاتخاذ خطوات ضد السفاح اليوغسلافى.

وعشنا أسابيع نسمع عن حشد القوات وإعداد الطائرات وغيرها من الأخبار والأساطير، ثم تبخرت المسائل وانتهى الأمر إلى لا شىء.

وكأن المراد هو إعطاء مزيد من الوقت ليمارس فيه السفاح ما يستطيع للإجهاز على شعب كوسوفو ذى الأصول الإسلامية!!

يحدث هذا فى الوقت نفسه الذى تتحرك فيه الطائرات وقوات المشاة الأمريكية إلى الخليج فعلا استعدادا لضرب العراق.

❖❖❖

## ازدواجية المعايير

نحن اليوم أمام واقع جديد يتعامل مع الأحداث بمعيارين:

أحدهما: للعرب والمسلمين تدفعه الرغبة فى القضاء عليهم وإنهاء دورهم وللإبادة العرقية لهم.

وثانيهما: هو التدليل والتأييد والمظاهرة لإسرائيل والتمكين لها من القيام بالمزيد من انتهاك الحقوق الفلسطينية المشروعة، وتقبل كل صنوف العنت الذى يتعامل به نتنياهو مع هذه القضايا.

❖❖❖

ليس هذا فحسب. بل وتعلن إسرائيل بتحد لا نظير له عن تنفيذ بناء مستوطنات جديدة على جبل «أبو غنيم» وعلى مساحات من القدس

الشرقية، وتعتقل العشرات والمئات من الفلسطينيين ولا يتحرك الضمير الغربى لوقف هذا العدوان المتواصل.

❖❖❖

## نبوءة «حزقيال»

وبتجميع المشاهد ومحاولة التأمل الواعى والعميق لمجمل الصورة نرى عند الشرق عقابا لباكستان المسلمة لأنها دخلت النادى النووى حماية ودفاعا عن نفسها فى مواجهة ما لدى الهند من وسائل التدمير.

ونرى عند الشرق أيضا تهديدا علنيا إسرائيليا بضرب المفاعلات النووية الإيرانية ردا على امتلاك إيران لنوع من الصواريخ يصل مداه - عند اللزوم - للرد على أى عدوان إسرائيلى، وتعلن أمريكا فى اللحظة نفسها عن إمداد إسرائيل بالصواريخ المضادة للصواريخ.

**ترى: لماذا كل هذا التأييد غير المحدود لقتلة الأنبياء؟**

تتحدث الكاتبة الأمريكية غريس هلسلى فى كتابها «النبوءة والسياسة» عن نبوءة تحدث بها أحد أنبيائهم «حزقيال» زعم فيها أن حلول الألفية الثالثة (القرن الحادى والعشرين): سيكون حسب قوله قد حل موعد عودة السيد المسيح عليه السلام إلى الأرض ليقيم فيها العدل ويمنع الظلم.

لكن عودته مشروطة - كما تقول «النبوءة» بحدوث معركة تسمى معركة «هارماجدون» فى المنطقة عند البحر الميت. وسيقتل فيها مليونان أو أكثر.. وتسيل فيها الدماء أنهارا.

**وهنا لابد من تأمل واع لما يتم ويجرى.**

هل آمن الغرب - وأمريكا فى صدارته بهذه النبوءة؟ تقول الكاتبة الأمريكية: نعم.. وتقول: إن الدعوة والإعلام والتحرك وإعداد المقدمات لمتطلبات هذه المعركة - بل كانت تستدعى أفواجا من المسئولين لزيارة المنطقة - ليس اليوم بل منذ ١٩٣٨م - لشحذ الهمم لهذه المهمة.

**وأتساءل:**

هل يمكن اعتبار ما يجرى اليوم من أمور المصادفة؟ أم أن وراء الأكمة ما وراءها؟ وأقول: بل وراء الأكمة ما وراءها، ووراء التأييد السياسى والاقتصادى والعسكرى لإسرائيل عقيدة دينية دافعة.. حركت المؤسسات الدينية اليهودية والمسيحية بما يشبه التصالح ونسيان الماضى فيعلن المجمع المسكونى - أعلى سلطة كنسية - عن تبرئة اليهود من دم المسيح!! حسب مزاعمهم.

مرة أخرى.. وبكل العزم والقوة: لا.. لضرب العراق. لا لمحاصرة ليبيا.. لا لتهديد مصر بقانون أمريكا للاضطهاد الدينى. لا.. وألف لا.. لأى عدوان على أى أرض عربية أو إسلامية.

والله غالب على أمره..

# القدس يُنادى

شعر: عبدالغنى أحمد ناجى

من قُدسنا يعلو النداءْ *** أين الشهامةُ والفداء؟!
عبثت به أيدى العدا *** يالَلْمهانة، والبلاءْ!!
عبثتْ به أيدى اليهو *** د بلا ضمير أو حياء
وهو المقدسُ دائماً *** فَلِمَ الإهانة والجفاءْ؟!
محتلُّه يَبْغِى به *** فى قسوةٍ محو البناءْ
كى لا نَعودَ لأرضنا *** أرْضِ الهُدى والأنبياءْ
حتى السلامُ يَعَافُهُ *** مُتَسَلِّحاً بالكبرياءْ
هل نستكين لغدرهِ *** هلْ نرتضى هذا الغباءْ؟!

***

صوتُ الجدود مُجلْجِلٌ *** لا ترتضوا ظُلْمَ العداءْ
فالقدسُ مَسْرى أحمدٍ *** معراجُه نحو السَّماءْ
من ألفِ عامٍ أو تزيـ *** ـدُ وطهرهُ مثلُ الضّياءْ
كمْ جاءَهُ من عابثٍ *** كانَ المآلُ إلى الفناءْ
إنْ يَنْس لا ينسى دفا *** عَ المخلصين الأوفياءْ
الأوفياء «صلاحُهم» *** بكفاحه رَفَعَ اللِّواءْ
وأعادهُ ليد الحنيـ *** ـف مُطَهَّراً يُعلى النداء
لكنْ نداءَ الحقِّ بالتكـ *** ـبير فى أبْهى رُوَاءْ
تحريرهُ كان الروا *** ءَ فليتنا نُحْيى الرواءْ
ونطهِّرُ القدسَ المفـ *** ـدَّى: من مخازىَ الاعْتداءْ
فَيُرَدِّدُ الصوتَ النَّـ *** ـدِى: «اللَّه أكبر» فى الفضاء

***

# القرآن الكريم وعلومه

- تفسير سورة محمد
- الإعجاز فى كتاب الله الحكيم
- مبادئ القرآن الذى لا تنتهى عجائبه
- التفسير اللغوى للقرآن الكريم

نظرات في كتاب الله تعالى

# تفسير سورة محمد صلى الله عليه وسلم

لفضيلة الإمام الأكبر الدكتور/ محمد سيد طنطاوى
شيخ الأزهر

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ (٢٥) ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ (٢٦) فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ (٢٧) ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ (٢٨) أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَانَهُمْ (٢٩) وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ (٣٠) وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ (٣١)﴾

سورة محمد الآيات ٢٥ ـ ٣١

١ ـ مازالت السورة الكريمة تواصل حديثها عن المنافقين، وعن مسالكهم الخبيثة لمحاربة الدعوة الإسلامية، وعن الأسباب التى حملتهم على هذا النفاق، وعن أحوالهم السيئة عندما تتولى الملائكة قبض أرواحهم.

والمقصود بارتدادهم على أدبارهم فى قوله ـ سبحانه ـ: **﴿إن الذين ارتدوا على أدبارهم﴾**: رجوعهم إلى ما كانوا عليه من كفر وضلال.

أى: إن الذين رجعوا إلى ما كانوا عليه من كفر وضلال، وهم المنافقون الذين يتظاهرون بالإسلام، ويبطنون الكفر، ويقولون بأفواههم ما ليس فى قلوبهم.

وقوله سبحانه: **﴿من بعد ما تبين لهم الهدى﴾**: ذم لهم على هذا الارتداد، لأنهم لم يعودوا إلى الكفر عن جهالة، وإنما عادوا إليه من بعد أن شاهدوا الدلائل الظاهرة، والبراهين الساطعة،

على أن الرسول ﷺ صادق فيما يبلغه عن ربه، وعلى أن الإسلام هو الدين الحق.

٢ ـ وقوله تعالى: **﴿الشيطان سوَّل لهم وأملى لهم﴾**: جملة من مبتدأ وخبر. وهى خبر «إن» فى قوله سبحانه: **﴿إن الذين ارتدوا على أدبارهم﴾**.

ولفظ «سوَّل» من التسويل، بمعنى التزيين والتسهيل. يقال: سولت لفلان نفسه هذا الفعل. أى زينته وحسنته له وصورته له فى صورة الشىء الحسن مع أنه قبيح. وقوله تعالى: **﴿وأملى لهم﴾** من الإملاء، وهو الإبقاء على حالة واحدة زمنا طويلا.

والمعنى: الشيطان زين وحسن لهؤلاء المنافقين سوء أعمالهم وأقوالهم، ومد لهم فى الأمانى الباطلة، والآمال الفاسدة، وفى أسباب الغواية والفساد.

وأسند ـ عز وجل ـ هذا التسويل والإملاء إلى الشيطان، مع أن الخالق لكل الأعمال هو الله تعالى لأن الشيطان هو السبب فى هذا الضلال والخسران.

٣ ـ ثم بين سبحانه ـ أسباب هذا الارتداد فقال: **﴿ذلك بأنهم قالوا للذين كرهوا مانزَّل الله سنطيعكم فى بعض الأمر﴾**.

أى: ذلك الارتداد عن الحق، والتردى فى الباطل من أسبابه أن هؤلاء المنافقين، قالوا للذين كرهوا مانزَّل الله من الهدى على نبيه ﷺ وهم اليهود ومن على شاكلتهم، قالوا لهم: سنطيعكم فى بعض أموركم وأحوالكم التى على رأسها: العداوة لرسول الله ﷺ. ولما جاء به من عند ربه ولأتباعه الذين لا يعصون له أمراً.

وهذه الطاعة من المنافقين لليهود، قد قررها القرآن الكريم فى آيات أخرى، منها قوله سبحانه: **﴿ألم تر إلى الذين نافقوا يقولون لإخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب لئن أُخرجتم لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم أحدا أبدا وإن قوتلتم لننصرنكم والله يشهد إنهم لكاذبون. لئن أخرجوا لا يخرجون معهم ولئن قوتلوا لا ينصرونهم ولئن نصروهم ليولن الأدبار ثم لا ينصرون﴾** سورة الحشر: الآيتين: ١١، ١٢، وقوله سبحانه: **﴿والله يعلم إسرارهم﴾** تهديد لهم على هذا الدس والكيد والتآمر على الإسلام وأتباعه. أى: والله تعالى يعلم ما يسرونه من أقوال سيئة، ومن أفعال قبيحة، وسيعاقبهم على ذلك عقابا شديدا.

وكلمة «إسرارهم» ـ بكسر الهمزة ـ مصدر أسررت إسرارا، بمعنى: كتمت الشىء وأخفيته. وقرأ بعض القراء السبعة «أسرارهم» ـ بفتح الهمزة ـ جمع سر. أى: والله تعالى يعلم الأشياء التى يسرونها.

٤ ـ ثم بين ـ سبحانه ـ حالهم الشنيعة عندما تقبض الملائكة أرواحهم فقال: **﴿فكيف إذا توفتهم الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم﴾**؟

والمراد بوجوههم: كل ما أقبل منهم. والمراد بأدبارهم: كل ما أدبر من أجسادهم. أى: أن هؤلاء الذين ارتدوا على أدبارهم، وقالوا ما قالوا من كفر وضلال، كيف يكون حالهم إذا توفتهم الملائكة وقبضت أرواحهم؟ لاشك أن حالهم سيكون أسوأ حال وأقبحه، لأن ملائكة الموت يضربون عند

قبض أرواحهم، وجوه هؤلاء المنافقين وأدبارهم، ضربا أليما موجعا.

وشبيه بهذه الآية قوله ـ تعالى ـ: **﴿ولو ترى إذ يتوفى الذين كفروا الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم وذوقوا عذاب الحريق. ذلك بما قدمت أيديكم وأن الله ليس بظلام للعبيد﴾** سورة الأنفال: الآيتان ٥٠ ، ٥١.

**ثم بين سبحانه:** الأسباب التى أدت بهؤلاء المنافقين إلى ذلك المصير الأليم المهين، فقال ـ تعالى ـ: **﴿ذلك بأنهم اتبعوا ما أسخط الله وكرهوا رضوانه فأحبط أعمالهم﴾** أى: ذلك الضرب الأليم لهم من الملائكة عند قبض أرواحهم من أسبابه أن هؤلاء المنافقين، قد اتبعوا ما أغضب الله ـ تعالى ـ عليهم، حيث كرهوا ما يرضيه ـ سبحانه ـ فكانت النتيجة أن أبطل ـ سبحانه ـ أعمالهم، ولم يقبلها منهم، وجعلها هباء منثورا.

**٥ ـ ثم هددهم ـ سبحانه ـ بكشف أستارهم، وفضح أسرارهم، فقال: ﴿أم حسب الذين فى قلوبهم مرض أن لن يخرج الله أضغانهم﴾.**

**ولفظ «أم» هنا بمعنى بل التى هى للإضراب.** والاستفهام للتبكيت والتوبيخ والتجهيل لهم. والأضغان جمع ضغن، وهو الحقد الشديد، يقال: ضغن صدر فلان ضغنا ـ كتعب تعبا ـ إذا اشتد حقده وغيظه. والاسم: الضغن، بمعنى الالتواء والاعوجاج الذى يكون فى كل شىء. ويقال: تضاغن القوم، إذا انطوت قلوبهم على البغض والحقد.

والمعنى: بل أحسب وتوهم هؤلاء المنافقون، الذين امتلأت قلوبهم بمرض الخداع والغش، أن الله ـ تعالى ـ غير قادر على إظهار أحقادهم الشديدة لرسوله ﷺ وللمؤمنين؟ إن كانوا قد حسبوا ذلك، فإن حسبانهم هذا يمثل لونا من ألوان غبائهم وجهلهم، ومن علامات انطماس بصائرهم، واستحواذ الشيطان عليهم، لأن الله ـ تعالى ـ لا يخفى عليه شىء فى الأرض ولا فى السماء، وسيعاقبهم بما يستحقونه على ارتكاسهم فى الكفر والنفاق.

**٦ ـ ثم بين ـ سبحانه ـ بعض مظاهر قدرته فقال: ﴿ولو نشاء لأريناكهم فلعرفتهم بسيماهم ولتعرفنهم فى لحن القول والله يعلم أعمالكم﴾.**

**والمقصود بالإراءة هنا: التعريف** والعلم الذى يقوم مقام الرؤية بالبصر كما فى قولهم: سأريك يافلان ما أصنع بك. أى: سأعلمك بذلك.

**والفاء فى قوله سبحانه: ﴿فلعرفتهم بسيماهم﴾** لترتيب المعرفة على الإراءة. والمراد بسيماهم: علاماتهم. يقال: سوم فلان فرسه تسويماً، إذا جعل له علامة يتميز بها.

ولحن القول: أسلوب من أساليبه المائلة عن الطريق المعروفة، كأن يقول المتكلم قولاً يترك فيه التصريح إلى التعريض والإبهام. يقال: لحنتُ لفلان ألحن لحناً، إذا قلت له قولاً يفهمه عنك ويخفى على غيره.

**٧ ـ قال الشيخ الجمل فى حاشيته على تفسير الجلالين:** «واللحن يقال على معنيين. أحدهما: الكناية بالكلام حتى لا يفهمه غير مخاطبك. ومنه قول الرسول ﷺ لبعض أصحابه فى غزوة

الأحزاب: **«وإن وجدتموهم - أى: بنى قريظة - على الغدر فالحنوا لى لحنا أعرفه»**. والثانى: صرف الكلام من الإعراب إلى الخطأ. أى: من النطق السليم إلى النطق الخطأ. ويقال من الأول: لحَنتُ - بفتح الحاء - ألحن فأنا لاحن. ويقال من الثانى: لحِن - بكسر الحاء - إذا لم ينطق نطقا سليماً، فهو لحن»(١).

**والمعنى: ولو نشاء إعلامك وتعريفك - أيها الرسول الكريم -** بهؤلاء المنافقين وبذواتهم وأشخاصهم لفعلنا، لأن قدرتنا لا يعجزها شىء. فلتعرفنهم بعلاماتهم الخاصة بهم، والتى يتميزون بها عن غيرهم، ولتعرفنهم - أيضا - فى أقوالهم المائلة عن الأساليب الواضحة المعروفة فى الكلام، حيث يتخاطبون فيما بينهم بمخاطبات، لا يقصدون ظاهرها، وإنما يقصدون أشياء أخرى فيها الإساءة إليك وإلى أتباعك.

**٨ - قال الإمام ابن كثير قوله - تعالى -: ﴿ولو نشاء لأريناكهم فلعرفتهم بسيماهم﴾**. يقول - تعالى -: ولو نشاء يا محمد لأريناك أشخاصهم، فعرفتهم عيانا، ولكن لم يفعل - سبحانه - ذلك فى جميع المنافقين سترا منه - سبحانه - على خلقه.

**«ولتعرفنهم فى لحن القول»** أى: فيما يبدون من كلامهم الدال على مقاصدهم، كما قال عثمان بن عفان رضي الله عنه: «ما أسر أحد سريرة أبداها الله تعالى على صفحات وجهه وفلتات لسانه. وفي الحديث الشريف «ما أسر أحد سريرة إلا كساه الله جلبابها».

وعن ابن مسعود عقبة بن عمرو قال: خطبنا رسول الله ﷺ خطبة، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: «**إن منكم منافقين، فمن سميت فليقم. ثم قال: قم يافلان، قم يافلان، حتى سمى ستة وثلاثين رجلا. ثم قال: إن فيكم - أو منكم - فاتقوا الله**»(٢).

وقوله - سبحانه -: **﴿والله يعلم أعمالكم﴾**. بيان لعلمه الشامل - عز وجل - وتهديد لمن يجترح السيئات. أى: والله - تعالى - يعلم أعمالكم علماً تاماً كاملاً، وسيجازيكم عليها بما تستحقون من ثواب أو عقاب.

**٩ - ثم بين - سبحانه - سنة من سننه فى خلقه فقال: ﴿ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو أخبار كم﴾.**

أى: ولنعاملكم - أيها الناس - معاملة المختبر لكم بالتكاليف الشرعية المتنوعة، حتى نبين ونظهر لكم المجاهدين منكم من غيرهم، والصابرين منكم وغير الصابرين، ونظهر أخباركم حتى يتميز الحسن منها من القبيح.

**فالمقصود بقوله: ﴿حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين﴾ إظهار هذا العلم للناس، حتى يتميز قوى الإيمان من ضعيفه، وصحيح العقيدة من سقيمها.**

**وإلى هنا نرى الآيات الكريمة، قد هددت المنافقين تهديدا شديدا، ووبختهم على مسالكهم الذميمة، وفضحتهم على رءوس الأشهاد، وحذرت المؤمنين من شرورهم «ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حىَّ عن بينة وإن الله لسميع عليم».** سورة الأنفال: آية ٤٢.

## الهوامش

(١) حاشية الجمل على الجلالين جـ٣ ص١٥٣.

(٢) تفسير ابن كثير جـ٧ ص٣٠٤.

# الإعجاز فى كتاب الله الحكيم

د. محمد عبد المنعم خفاجى

**الإعجاز القرآنى يتجلى بوضوح أكثر ما يتجلى فى جلال الصورة الأدبية فى القرآن الكريم وفى جوانب كثيرة لا يستطيع أى فكر حصرها أوالإلمام بها. والصورة الأدبية لها معنيان عند نقاد الأدب: معناها الإجادة التامة الكاملة فى رسم الأفكار والمعانى والأحداث وتصويرها وإبرازها فى صورة متكاملة ناطقة بالمعنى المقصود[(١)]، أى أداء المعنى أداء بليغا حتى ليشعر القارئ بأنه مجسم أمامك مرسوم تجاه بصرك، شأنه شأن اللوحة المرسومة.**

وإذا كان الأدب عند العرب الجاهليين قد تمثل فى جنسين كبيرين هما النثر والشعر، فوقف النثر عند الخطبة والوصية والنصيحة والمثل والحكمة والمنافرة والمفاخرة والمحاورة وسجع الكهان والأسطورة والقصة الشعبية القصيرة، ووقف الشعر عند القصيدة الغنائية بشكلها المعروف المألوف.

فإنه لم يكن للنثر وفنونه وأجناسه فى المجتمع العربى كبير خطر، ولا عظيم شأن وكان أكثره ارتجالا واقتضابا، وليس فيه ثقافة واسعة، ولا فكر مضىء، وأكثره يذهب فى الشتات والاختلاف وتفكك الوحدة الفنية (أوالعضوية) مذهبا بعيدا، فضلا عن أن النثر لم يحفل به المجتمع الجاهلى احتفالا يذكر، ولم يوله عناية ما، ولا أحله منزلة خاصة، وفوق ذلك كله فقد النثر الجاهلى قيمته بفقدان أصوله قبل التدوين، ولضياع أكثره للمدة الطويلة التى عاشها هذا النثر معتمدا فى بقائه على المحافظة وحدها، والحافظة يَندُّ منها النثر ولا يبقى طويلا فيها بعكس الشعر لأنه مقيد والنثر مطلق، والقيد يبقى فى الذاكرة أكثر مما يبقى

(١) ويمكننا القول بأن الصورة الأدبية هى تجسيم لمنظر حسى أو مشهد خيالى يتخذ اللفظ أداة له: وليس التجسيم وحده هو كل شىء فى الصورة، فهناك اللون والظل والإيحاء والإطار، فهى كلها عوامل لها قيمتها فى الصورة وتقويمها (راجع الرسالة للزيات عدد ١٨٦ يناير ١٩٣٧ من مقال لعبدالوهاب عزام- ٢٠٤ المذاهب النقدية، ١٨٧ فى أدب الرافعى- هامش)

المطلق، ومع ذلك كله فهذا النثر المأثور عن العصر الجاهلى قد رفضه كثير من الدارسين والنقاد، ومن بينهم لفيف من المستشرقين وطه حسين أيضا، رفضوا أن يسمى نثرا فنيا، لأنه فى رأيهم لم يكن محتويا على عناصر النثر الفنى ومقوماته، وذهبوا إلى أنه أشبه بالنثر الشعبى، الذى يستعمل لغة أحاديث الحياة اليومية العابرة. ولكل هذه الأسباب كانت الصور الأدبية النثرية عند العرب الجاهليين غير ذات أهمية تذكر فى مجال النقد وموازين الكلام والحديث عن القيمة الفنية.

ولقد بقيت القصيدة الغنائية وحدها أرفع صور الأدب فى مجتمع الجاهليين، وهو المجتمع الذى نزل القرآن متحدثا إليه مفيضا فى التوجه- كل التوجه- له.

وهذه القصيدة الغنائية قد مرت بأطوار عديدة من التهذيب الفنى، حتى انتهت إلى ما انتهت إليه من قصائد المعلقات المعروفة ذات الصيغة المتوارثة العمودية، التى وضعت تقاليدها الفنية العريقة كل ألوان التقاليد الشعرية للقصيدة العربية التى ورثناها عن الجاهليين وكانت لهذه القصائد منزلتها ومكانتها وأهميتها فى المجتمع العربى، فهى حديث الناس وموضع اعتزازهم وتقديرهم وفخرهم، وهى التى ينشدونها فى مجالس لهوهم وجدهم، وفى مسامراتهم، وأنديتهم، وفى أسواقهم وحروبهم وحلهم وترحالهم. وهى على العموم آية عبقرية، ودليل شخصية وذاتية عظيمة، والشاعر عندما يكتبها ترتفع قيمته الاجتماعية فى مجتمعه ويصبح وله كل ألقاب الحمد والمجد والتقدير بين الناس، وبلغ من أمر قصائد المعلقات أن علقت على أستار الكعبة.

وإذا كانت قصائد المعلقات قد خلت من كل قيمة روحية أوحضارية كما قد خلت من كل وحدة فنية، مما لاحظه عليها، كثير من النقاد المعاصرين من أمثال العقاد فى كتابه «مراجعات» وغير العقاد أيضا، كأحمد أمين فيما كتب عن الشعر الجاهلى فى مجلة الثقافة التى كانت تصدرها لجنة التأليف والترجمة والنشر. فإن نقادنا القدماء قد لاحظوا عليها الكثير والكثير، ولقد سبقنا إلى ذلك الأمام أبو بكر الباقلانى فى كتابه المشهور «إعجاز القرآن» الذى درس فيه معلقة امرىء القيس المشهورة فى صفحات عديدة من كتابه، وأبان ما اشتملت عليه من مآخذ عدة.

ونحن نعرف أهمية قصائد المعلقات معرفة وثيقة فهى التى وضعت كل الأصول الفنية للقصيدة العربية، وهى التى تمثلت فيها البلاغة العربية بجميع خصائصها تمثلا كاملا، وهى التى استنبطت منها أحكام اللغة العربية وقواعدها فى بيانها ونحوها وصرفها واشتقاقها وأحكام مفرداتها ونظام معجماتها وغير ذلك.

وهى كذلك التى أمدتنا بالشاهد والمثل على كل شىء فى لغتنا العربية، ومن أجل ذلك كان ابن عباس رضى الله عنه يقول: «إذا عز عليكم فهم شىء من كتاب الله تعالى فالتمسوه من شعر العرب»، فنحن لا نريد أن ننقص من قيمة القصيدة الشعرية الجاهلية أوننفر منها، ولكننا

نضعها فى موضعها الذى وضعها فيه الإمام الباقلانى فى مقام حديثه عن إعجاز القرآن الكريم.

هذه القصيدة الشعرية إذن كانت أرفع صور الأدب فى مجتمع الجاهلين ومع ذلك فإنها لا تزن شيئا فى مقام الحديث عن الصورة الأدبية من القرآن الكريم.

أما النوع الأدبى فى القرآن الكريم فإننا نقف أمامه مذهولين، فلأول وهلة نجد أنفسنا أمام أشياء جديدة كل الجدة، ففرقان وقرآن وآيات وسور، أسماء جديدة لمسميات جديدة كذلك.

**﴿ وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلا ﴾** سورة الإسراء: آية ٦

**﴿ تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا ﴾** سورة الفرقان: آية ١.

**﴿ الر تلك آيات الكتاب المبين إنا أنزلناه قرآنا عربيا، لعلكم تعقلون ﴾** سورة يوسف: آية ١ ، ٢

**﴿ طه* ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى ﴾** سورة طه: آية ١ ، ٢

**﴿ سورة أنزلناها وفرضناها وأنزلنا فيها آيات بينات لعلكم تذكرون ﴾** سورة النور: آية ١.

ولم ينزل القرآن الكريم على النمط المألوف من كلام العرب، فلم يتخذ شكل القصيدة، الجاهلية نمطا له. ولم يأت على أسلوب الخطابة، ولا الوصية ،ولا المثل أوالحكمة، ولا المنافرة، ولا المفاخرة، ولا المحاورة.

ولكننا نجد فيه القصة فى أرفع أشكالها وأروع ظلالها، ونجد فيه الخيال الرفيع فى ألوان بديعة من التمثيل والتشبيه والمجاز والكتابة والاستعارة، ونجد فيه البشارة والإنذار والوعد والوعيد، ونجد أرفع الأوصاف وأجل الصور.

لم يكن القرآن الكريم شعرا ولا سجعا ولا نثرا مرسلا ولا خطابة، بل جاء على مذهب خارج عن المعهود من نظام كلام العرب، ومباين للمألوف من مناهج كلامهم، ينصرف على وجوه مختلفة، من ذكر قصص ومواعظ واحتجاج وحكم وأمثال، وأعذار وإنذار ووعد ووعيد وتبشير وتخويف، وأوصاف وتعليم، وسير مأثورة، ويتردد بين طرفى الإيجاز والإطناب، كلمه يضيىء كما يضىء الفجر، ويزخر كما يزخر البحر، كالروح فى البدن، والأمن فى الوطن كالغيث الشامل، والسحاب الهاطل، وكالضياء الباهر، والبحر الزاخر. وإن نعجب فعجب تصوير القرآن الكريم للحياة الإنسانية فى ماضيها وحاضرها ومستقبلها وللنفس البشرية فى سلمها وحربها ولهوها وجدها وألمها وأملها، وكفرها وإيمانها، وللمثل العليا فى الحياة المهذبة الكريمة، التى يسعى إليها إنسان الإسلام، وتسير لشاطئها الأمين إنسانية الحياة فى ظلال الدين، لأنه خلاصة لكل ما فى الحياة من ثقافة وحقائق، والمنهج الكامل للحياة الروحية والاجتماعية والبشرية الكاملة الصحيحة السليمة.

وفى القرآن الكريم من سمو وصفاء الحكمة وتمام مطابقة المثل، ما جمع به البلاغة من مختلف أقطارها، وفيه من الحجة الدامغة، والروحانية الصافية، والحديث عن العقيدة، والإفاضة فى

بيان الشرك والإيمان، والشر والخير ما يوقظ الضمائر ويحرك العقول، ويثير النفوس.

وفيه من أخبار الأمم الماضية، والقرون الخالية، والشرائع البائدة، والأديان السالفة، ومن أخبار أهل الكتاب من اليهود والنصارى، ومن الإخبار بالمغيبات، ومن الإفاضة فى شرح الدعوة، وبيان التشريع، والاستدلال على حقائق الأمور بالآثار المشاهدة فى خلق السموات والأرض، وبقياس الغائب على الشاهد، وبضرب الأمثال، وبالبراهيم العقلية المجردة، وفيه من حسن التقسيم، وجمال المقابلة، وروعة الطباق، وبديع الجناس، ورفيع الفواصل، ما يهز القلوب ويملك على عقل الإنسان كل منافذه وأبوابه.

ومع ذلك كله فهو ليس كتاب قصص، وليس كتاب متعة وتسلية، وليس كتاب شعر أو أدب أوحكمة أوتاريخ أواجتماع، وإنما هو خلاصة لكل ما فى الحياة من حقائق ومعارف وعلوم وثقافات، ومنهج كامل لكل جانب من جوانب الحياة الروحية والعقلية والاجتماعية والسياسية، فهو كتاب الإنسانية كلها، وصحيفة البشرية قاطبة.

وما أروع القرآن الكريم فى فواتحه ومقاصده وخواتيمه، وفى مبادىء آياته وفواصلها، وفى حديثه عن المعانى الدقيقة، والأفكار العميقة، والأغراض النبيلة، وفيما اشتمل عليه من دقة التصوير، وجمال الوصف، مع سمو التعبير وعظمة التأثير، وروعة الإيجاز، وسحر المجاز وبلاغة التكرار، وفصاحة التعريض، يصور نعيم المؤمنين، وسعادة المتقين، فيدعك تشعر بالراحة والنشوة، وبالسعادة والفرحة، وبالسرور والحبور، وبقرة العين وانثلاج الصدر، والعجب والطرب، ثم يصور هلاك العاصين وشقاءالجاحدين وعذاب الكافرين فيتركك حليف الهم والحزن، والتذكر والاعتبار، والتفكر والتدبر، والألم والحزن، والبكاء والعبرة المنسكبة والآهة المرددة.

والسورة القرآنية، قصيرة أوطويلة، تجىء ممثلة لفكرة ومصورة لغرض، ومؤدية لمعنى، وتسير فى جوها العجيب، وأفقها الساحر، وجوانبها المشرقة، فتسير مع الفكرة المقصودة خطوة خطوة، وتجدك تمشى مع الغرض القرآنى، غاية فغاية، فى وحدة واتساق، وفى نظام عجيب وترتيب غريب، وفى منطق منسق، وحجج متدافعة متدفقة، وتجد الآيات تتحرك فى معرض الاستدلال كأنها موكب من نور، ومهرجان مصور لأدق خفايا الشعور، وحنايا الصدور، وتجد فى هذه السورة فكرة واحدة غير الفكرة التى تمثلها السورة الأخرى، وغرضا واضحا غير الغرض الذى ترمى إليه السورة السابقة أواللاحقة.

ونجد افتتاحات السور العجيبة، مثل ص، ن، ق، طه، طسم، طسن، حم، الر، آلم، إلى غير ذلك.

ونجد الآيات تتوالى فى السورة، وكأنها البحر الهادر، والموج العاصف، ونجد الفواصل فى السورة، موقعة الخطا، منغمة الحروف، وتجد القصة والعبرة والموعظة والحكمة فى قالب من السحر ولا كسحر هاروت وماروت، وفى طابع من

الحسن والجمال، ولا كحسن يوسف واخوته.

وتجد لكل سورة اسما عجيبا: البقرة، والرعد، والطور، والمائدة، والكهف، ويونس، ويوسف، وإبراهيم، ومحمد، والنور، والمؤمنون، والمنافقون، والضحى، والشمس، والقتال، والفتح، والحشر، والصف، والنساء، والطلاق، والتحريم، والأحزاب، والمائدة، والأنفال، والتوبة، وآل عمران، والجمعة، والعصر، إلى غير ذلك، وتجد لكل اسم من أسماء السور قصة، ولكل قصة حدث وعبرة.

وكل ذلك نمط مخالف لأنماط البيان عند الجاهليين، وصورة مباينة لصورة البلاغة عند العرب الذين تنزلت عليهم هذه المعجزة الإلهية الحكيمة.. إنها صورة أدبية جديدة لا تجد لها مثلا ولا شبيها بها، ولا تجدها نفسها إلا فى القرآن الكريم.

ورأى العرب فى الكتاب شيئا عجبا، ومنطقا جديدا، ومنطلقا فسيحا من الحكمة الإلهية الجليلة، فقال عتبة بن ربيعة حين ذهب فاستمع إلى محمد يتلو آيات الكتاب: «لقد كلمته فأجابنى بشىء ما هو بسحر ولا كهانة ولا شعر»، إنما هو الوحى، الوحى المنزل على محمد بن عبد الله، الوحى الذى نفى بعض العرب على محمد أن ينزل عليه، حتى لقد جاء الوليد بن المغيرة إلى الأخنس ابن قيس يقول له: ما تقول فيما سمعت من محمد؟ فقال الأخنس: ماذا أقول؟ قال بنوعبدالمطلب: فينا الحجابة، قلنا: نعم، وقالوا: فينا السقاية، فقلنا: نعم، ثم عادوا يقولون: فينا نبى ينزل عليه الوحى، والله لا آمنت به أبدا.

إنه الإعجاز الذى ينفرد به كتاب الله المبين، أعجاز فى المضمون وفى الشكل، فى النظم القرآنى، فى الصورة الأدبية القرآنية، وإن كان للحديث عن الإعجاز وقضاياه حديث آخر.

والشكل فى النص القرآنى، لا يمترى أحد، ولا يشك متذوق لبلاغة الكلام فى جِدَّته وفى أنه يعلو ببلاغته على كل بيان.

والشكل يتمثل لنا فى الدلالة المعنوية للألفاظ والعبارات، ومؤثرات أخرى يتم بها الأداء الفنى، من الإيقاع واللحن للكلمات والعبارات، ومن الصور والظلال التى يشعها التعبير، ثم هناك طريقة تناول الموضوع، أى الأسلوب الذى تعرض به التجربة الأدبية، والنظم الذى يتم به توضيح التجربة.

وحسبنا أن النظم فى كتاب الله الحكيم نمط فريد من البلاغة والروعة وسمو الروح وجلالها، ومن إشراق البيان وجمال الديباجة، وعبقرية التصوير والتعبير.

أسلوب جمع بين الجزالة والسلاسة، وبين القوة والعذوبة، وبين حرارة الإيمان وتدقيق البيان، فهو السحر الساحر والنور الباهر، والحق الساطع، والصدق المبين.

نظم رائع وألفاظ عذبة، وخيال صادق، وعاطفة حارة، وفكر رفيع، تملك على القارىء والسامع لبه ووجدانه، وعقله وبيانه، ولما سمعه فصحاء العرب

وأرباب البيان والبلاغة فيهم سجدوا له خاشعين، وما إيمان عمر حين سمع آيات من أول سورة «طه»، وما فزع عقبة بن ربيعة وقوله: «والله ما هو بشعر ولا كهانة ولا سحر» حين سمع «فصلت»، وما تردد بلغاء العرب على الأماكن التى كان يتعبد فيها محمد ليلا، ليسمعوا هذه البلاغة الباهرة خفية، إلا دليل السحر القرآنى الذى جعل العرب يصفونه متعجبين بقولهم: «**إن هذا إلا سحر يؤثر**» سورة المدثر: آية ٢٤، السحر القرآنى الذى يتمثل فيما يتمثل فى صدق الشعور، وحرارة العاطفة وجمال النظم، وأحكام البيان، وروعة التصوير.

إن بلاغة الصورة الأدبية وجدتها فى القرآن الكريم لا يحيط بها وصف واصف، ولا يستطيع أن يكشف عن خصائصها وأسرار إعجازها باحث أو ناقد.

وحسبك روعة القرآن وجدته وحيويته، وأخذه بالأفئدة، والأسماع والمشاعر، والعواطف والنفوس، وحسبك خلوده على مر الأيام.

هذه البساطة فى الأسلوب، والوضوح والجمال والدقة والقوة فيه.. والجزالة والعذوبة فى أطرافه ونواحيه تمثل فيما تمثل جانبا من جوانب عظمة التصوير فى القرآن الكريم.

وهذا أعرابى سمع قوله تعالى: **﴿فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين﴾** فسجد وقال: سجدت لفصاحته، وهذا آخر سمع قوله تعالى: **﴿فلما استيأسوا منه خلصوا نجيا﴾** فقال: أشهد أن مخلوقا لا يقدر على هذا الكلام.

وماذا نقول فى حسن التأليف وتخير الألفاظ، والتئام الكلمات، وإحكام الصنعة، وجودة السبك، وكمال البيان، وجمال الرونق، ومتانة النسج؟

وماذا نقول فى هذا النظام الفريد، والنسق الغريب، وفى هذه النضارة والجلالة، وفى ذلك الإشراق والبهاء ودقة الصوغ؟

ألفاظ كأنها السحر، وكأنها الدر، تشع نورا كما يشع الفجر، وتهدر حركة وحياة ونموا وتجددا كما يهدر البحر، وتهدأ وتعذب وتسلس كما تهدأ صفحة النهر.

وصور تموج كما تموج العواصف، وتتحرك كما تتحرك الأشباح لراكب مسرع فى السير.

وبلاغة هى حديث الأيام، والتى سلم بها فحول النقاد والبلغاء على توالى الأعوام، وما هى إلا الضوء السافر، والهدى الباهر، والوحى الصادق، الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

أوقد سمعت ما قاله الوليد بن المغيرة، وقد تردد على الرسول وسمع منه، فقال لقومه: والله ما فيكم رجل أعلم بالشعر منى ولا برجزه ولا بقصيده، ولا بأشعار الجن، والله ما يشبه الذى نقول شيئا من هذا، والله إن لقوله الذى يقول حلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإنه لمثمر أعلاه، مغدق أسفله، وإنه ليعلو ولا يعلى عليه.

والصورة فى البلاغة القرآنية تطول وقد تقصر، وهى مع ذلك مسلسلة محكمة متصلة الحلقات، مشرقة الصور والقسمات والصفحات،

نسق هو السحر، وتآخ وصفاء وتعاقب فى الترتيب كأنه الوحدة الإلهية التى دعا إليها القرآن، ممثلة فى كلمات.

المعنى عند العربى كان يتم بتمام الجملة، وهذه الجملة قصيرة فى نظمهم، ولكل جملة معنى، وتتوالى المعانى دون ترتيب ولا نظام، وجاء القرآن الكريم، فصارت الجملة تمثل أرفع المعانى، وأدقها، فى نظام وتآخ ووحدة تامة بين الجمل بعضها والبعض الآخر، وقد تطول الجملة القرآنية، وتتركب فيها الصور، وتتوالى المشاهد، وتتعقب المعانى، وقد لا يؤدى المعنى القرآنى آية أو آيات، بل عشرات الآيات، ومع ذلك فلن تجد إلا فكرا مهذبا، ونظاما محكما، وتصويرا منعما، ووشيا منمقا، وإحكاما فى الصياغة ودقة فى الصناعة، ولن تجد إلا وشيا يبهرك جماله، ويسحرك جلاله، ولن تجد إلا العذوبة والرشاقة والسلاسة والوضوح.

والصورة القرآنية تتميز بالحركة ودقة التصوير، وإبراز معالم المعنى جزءا جزءا، وحركة بعد حركة، وإن شئت فاسمع قوله تعالى: **﴿وخشعت الأصوات للرحمن فلا تسمع إلا همسا﴾** سورة طه: آية ١٠٨، وقوله تعالى: **﴿وعنت الوجوه للحى القيوم وقد خاب من حمل ظلما﴾** سورة طه: آية ١١١، وقوله تعالى: **﴿وتركنا بعضهم يومئذ يموج فى بعض ونفخ فى الصور فجمعناهم جمعا﴾** سورة الكهف: آية ٩٩، ولو وقفنا عند هذه الآية الأخيرة وهى من سورة الكهف لرأينا فيها هذه الحركة العنيفة المتدافعة ممثلة فى أروع بيان، وأبسط تعبير، ولرأينا فيها هذا الإيجاز الرفيع البليغ فى أداء المعنى كاملا غير منقوص، ولرأينا فيها هذه الصورة البديعة لأروع تصوير للغرض المقصود، الآية ثلاثة جمل قصار:

١- وتركنا بعضهم يومئذ يموج فى بعض.

٢- ونفخ فى الصور.

٣- فجمعناهم جمعا.

وترى فى الجملة الأولى الحركة والتدافع والاختلاف والاضطراب وما يصيب الناس من أثر ذلك من أهوال وعذاب وشدة، والسر فى ذلك هو كلمة يموج التى أدت لك الصورة كاملة، والمشهد رائعا، والمعنى ممثلا أدق تمثيل، وأدت لك الحركة والحياة، ومشت بك إلى آفاق رحيبة من جلال الأداء وروعة النظم ودقة المعنى وسمو التصوير.

وفى الجملة الثانية لا تجد أبلغ من هذا التمثيل الذى يصور لك قدرة الله معلنة بأروع ظاهرة هيمنتها وسيطرتها إلى الناس أن قد جاء أمر الله، وأن نهاية الأمر لابد أن توضع، وأن الناس وهم فى أمر مريج لابد أن يستيقظوا لحدث جديد، وأمر عتيد، وقدر شديد.

وتجىء الجملة الثالثة تعلن إليك أن الله عزوجل يجمع الناس إلى ساحته العظيمة ليفصل بينهم يوم القيامة بالحق والميزان، وأن قدرته لا تعجز عن جمعهم مع هول كثرتهم، وشدة شتاتهم، ومن ثم جاء التأكيد بالمصدر «جمعا» ليدلك على عظمة القدرة، وروعة المشهد، وجلال اليد المصرفة لأمر

الخلق فى هذا الموقف العصيب.

ومن دلائل بلاغة الكلام أن يراعى فيه مقامات الكلام وأحوال بلاغته، فتوضع الجزالة فى موضعها، والرقة والعذوبة فى موضعهما، ويوضع التقديم والتأخير، والذكر والحذف، والوصل والفصل، والإيجاز والإطناب، كل فى موضعه وبذلك تكمل الصورة وترتفع منزلة الأسلوب فى البلاغة، ومن البدهى أن أبلغ الكلام هو ما لا يلقى فيه بالاحكام الفكرية جزافا، وإنما يجب أن يصور الأسلوب.. المراحل المختلفة لانفعال المتكلم وإحساسه بالتجربة الشعورية التى يصورها.

والصورة الأدبية بهذا الاصطلاح النقدى كله هى كل شىء فى البلاغة، أوأهم شىء فيها ولو أردنا أن نقول إن الصورة الأدبية بهذا المعنى، جاءت على أبلغ ما يكون الأداء فى القرآن الكريم، وعلى أروع ما يكون التصوير فى أسلوب الذكر الحكيم، لما أتينا بجديد فى الموضوع.

إن البلاغة القرآنية تحمل عناصر جديدة كل الجدة، عما ألف العرب فى بلاغاتهم، وليس معنى ذلك أن القرآن الكريم خرج فى أسلوبه وصوره عن النطاق الذى كان العرب يستعملونه من حيث الذكر والحذف، والتقديم والتأخير، والقصر والوصل، والفصل، والإيجاز والإطناب، والتشبيه والتمثيل، والمجاز ، والاستعارة والكناية، والتمثيل والتعريض، ولكنه ارتفع بهذه العناصر البلاغية إلى مستوى القمة، وهو الإعجاز، ومنزلة السحر والروعة.

والعناصر الأخرى الجديدة فى الصورة الأدبية القرآنية كثيرة لا يمكن حصرها، ولاتزال علوم البلاغة والنقد تسير فى طريقها محاولة الكشف عنها، مثل الوحدة العضوية فى الصورة الأدبية ومن مثل التجربة الأدبية التى يؤديها البليغ يحملها كلامه، ومن مثل العاطفة والفكرة والخيال فى الصورة، ومن مثل النظم والشكل فى النص، ومن مثل الإلهام، أو الصنعة الأدبية، ومن مثل الرمزية فى الأسلوب، ومن مثل الوضوح والجمال والتأثير فى الأسلوب أيضا.

ومن أبرز الخصائص التى تميزت بها الصورة الأدبية فى القرآن: ذلك التناسق الفنى البديع، الذى جمع فى إطار الصورة، وفى وقت واحد معا بين رشاقة اللفظ، ودقة المعنى، وجمال الاتساق بين اللفظ والمعنى، فى الوقت الذى يعز فيه أن يجتمع هذا الجمال ويكتمل فى تصوير أدبى غير القرآن، ومن خلال هذا التناسق وحدة القرآن يستخدم كل ما يمكن أن يتخذه من الوسائل المثيرة للخيال- وهو أحق كلمة- لتفعل فعلها فى النفوس ولكى تتعمق الصورة وتثبت فى الإدراك والوجدان، رأينا القرآن يستعمل صور البيان المختلفة- من تشبيه، وتمثيل واستعارة وكناية وغيرها من أبواب المجاز.

وإننا أمام التصوير القرآنى نحس أن وراء الكلام قوة أعلي من كل شىء، ومن كل موقف، قوة تؤثر حين تصور ولا تتأثر قوة العالم بخفايا النفوس وطبائع الأشياء. فهو يسوق لها من ألوان المؤثرات ما يتناسب وطبيعتها. قال تعالى: **﴿ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير﴾** سورة الملك: آية ١٤.

# نظرات أصولية

# مبادئ القرآن الكريم الذى لا تنتهى عجائبه

**القرآن كلمة الله للعالمين، وهى الكلمة الخاتمة، التى لم يأتها الباطل من بين يديها، ولا من خلفها، وهى موعظة للمتقين، لا تنتهى عجائبه ولا يَخْلَق من كثرة الرد، وكلما تأملنا فيه وجدنا مصداق هذا الوصف النبوى له، وظهر لنا من عجبه ما يبهر العقول، ويبلس الأذهان ويعجز الإنسان ويدهش الألباب حتى لا يسع أحدنا إلا أن يقول: سبحان الله، لا قوة إلا بالله، وصدق الله العظيم.**

**د.على جمعة**

ومن عجائبه تلك الجمل القصيرة المحدودة فى مبناها ولفظها التى تمثل مبدأ عاما يصلح لأن يكون منطلقا وأساسا للعلوم الاجتماعية والإنسانية، وأن يشكل ما يسمى بالإطار المرجعى لمنهجية البحث فى تلك العلوم، ومعيار القيم التى تحكمها، أو يبين سنة الله فى خلقه فى الأنفس والاجتماع كما تظهر كل يوم وتزداد فى الظهور فى الكون والآفاق وصدق الله إذ يقول: **﴿سنريهم آياتنا فى الأفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق﴾**.

وهذه المبادئ العامة قد تصل إلى عدة مئات فى حين أن آيات القرآن كله لا تتعدى ٦٢٣٦ آية برواية حفص أو ٦٠٠٠ آية برواية حمزة، ونقصد بالمبادئ العامة مثل قوله تعالى: **﴿ولا تزر وازرة وزر أخرى﴾** سورة الإسراء: آية ١٥.

فهذا مبدأ حرر الإنسان من خرافة ميراث الخطيئة، وحدد المسئولية الشخصية للإنسان عن أعماله، ونفى مسئوليته بأن يؤخذ بجريرة غيره من البشر، فلا ينسب إليه أخطاء الآخرين على المستوى العقدى أو السياسى أو الاجتماعى أو أثناء تشريع القانون وسَنّه، فهو مبدأ يحكم كل العلوم الإنسانية، وهو ـ وإن كان من البدهيات والمسلَّمات عن المسلمين ـ مبدأ يحتاج إلى توضيح وتقرير عند

كثير من البشر، وهو مبدأ ينتج عن تغافله كثير من البلاء وكثير من النزاع وكثير من الظلم والبغى بغير الحق، كما هو واضح مشاهد على كل المستويات الفرد والجماعة والمجتمع والدول والأمم.

ومبدأ ثان: ﴿وأن ليس للإنسان إلا ما سعى﴾ سورة النجم: آية ٣٩. يبنى عليه أفكار الإثراء بلا سبب، وهو اللبنة الأولى فى مبدأ الأجر مقابل العمل، وهو الحاكم لكل ما يمكن أن يقال فى حوافز الإنتاج، وهو مبدأ لا يمكن إغفاله فى تحديد العلاقات الاجتماعية حيث يُرجع الأمر إلى العمل، فيتجاوز بذلك النسب والعرق والدماء الزرقاء والعنصر، ويعود بالإنسان إلى أصل فطرته وصفاء خلقته، ثم ليتأمله عالم النفس وليرى كيف يكون مدخلا لدراسة الإنسان، وليركز عليه عالم الاقتصاد وليكون منطلقا فى عالم السياسة ورعاية شئون الأمة.

ومبدأ مثل: (عفا الله عما سلف)

أو مبدأ : (إلا ما قد سلف)

وما يستفاد من مثل ذلك من فورية القوانين وعدم العمل بالأثر الرجعى أو ما يستفاد منها من تجديد الحياة كنظام إنسانى يحتاجه الإنسان على مستواه الفردى، أو يحتاجه البشر على المستوى الجماعى فى تعاونهم على عمارة الأرض.

وانظر إلى مبدأ آخر مثل ﴿.. القصاص حياة..﴾ وما فيه من الردع وما فيه من وضع النظام الصحيح لتقويم الفعل، ووصفه بالخطأ أو الصواب، فالقصاص ليس قتلا كالقتل الأول الذى هو جريمة، بل القصاص وإن كان قتلا فى الصورة إلا أنه حياة فى الحقيقة حيث يكون رادعا، ونظرية الردع هذه نراها فى مبادئ كثيرة ﴿وجزاء سيئة سيئة مثلها﴾، و﴿ترهبون به عدو الله وعدوكم﴾. و﴿فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم﴾. وما هذا كله إلا لردع الإجرام والعدوان حيث يعرف قبل أن يقدم الشخص على إجرامه أو عدوانه أنه لا يفلت من العقوبة.

وهناك نحو خمسمائة مبدأ بهذه الصفة فى كتاب الله، بإيجاز هو الإعجاز بعينه، وشمول هو الإبهار بذاته، ولو تفرغ طلاب علم أو مجموعة من الباحثين يستخرجون تلك المبادئ ويبينون علاقتها بمباحث العلوم الاجتماعية والإنسانية لرأينا ثروة كبيرة يحتاجها المسلمون ويحتاجها العالمون جميعا، بل هم فى أشد الحاجة إليها الآن، خاصة وهم فى شبه المناهج والرؤى المختلفة، وفى تيارات الفكر وتقلبات المذاهب.

# التفسير اللغوى للقرآن الكريم

أ. د/ عبد الغفار حامد هلال

قال تعالى: ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى المَلائِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلاءِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (٣١) قَالُوا سُبْحَانَكَ لا عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ العَلِيمُ الْحَكِيمُ (٣٢) قَالَ يَا آدَمُ أَنبِئْهُم بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنبَأَهُم بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ (٣٣) ﴾

سورة البقرة: ٣١ - ٣٣

هذه الآيات تتضمن عدة أمور رشحت آدم للتفضيل على الملائكة وهى:

١ - تعليم الله تعالى له الأسماء.

٢ - عرض المسميات على الملائكة وسؤالهم عن أسمائها وعجزهم عن معرفتها.

٣ - ذكر آدم لأسماء المعروضات ليثبت تقدمه على الملائكة بأمر الله سبحانه وتعالى.

٤ - فى هذه الآيات بحث لغوى يتعلق بنشأة اللغة الإنسانية واللغة العربية.

أما الأثر الأول - وهو تعليم آدم الأسماء - فقد عبر عنه القرآن الكريم يقول تعالى: **﴿وعلم آدم الأسماء كلها﴾**.

فسر بعض العلماء: «علّم» بمعنى عرّف ووقّف ولقّن، والأسماء بمعنى الألفاظ والعبارات، وبعضهم فسرها بخواص الأشياء وصفاتها.

وكلمة (الأسماء) تعنى أسماء المسميات و(أل) فى الأسماء عوض من المضاف إليه كقوله تعالى **﴿واشتعل الرأس شيبا﴾** وأصله (رأسى).

وكان مجال التحدى أن تعرض المسميات على الملائكة ويطلب المولى عز وجل منهم ذكر أسمائها، فعجزوا وهو ما يفهم من قوله تعالى: **﴿ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئونى بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين﴾**.

تقول العرب: عرضت الشىء أى أظهرته، وقد أظهر الله المسميات للملائكة إذ كان مجال التحدى يعرض المسميات عليهم دون معرفتهم لأسمائها وخواصها التى تستخدم فيها والمنافع التى تؤخذ

منها، وكان آدم يعرفها ويعرف كل ما يتعلق بها من سمات وخصائص كأن يعرض عليه الحديد مثلا فيذكر اسمه وما يستخدم فيه من الأغراض وهكذا كل المسميات.

والضمير (هم) جاء مذكرا فى قوله (عرضهم) مع أن المعروضات فيها مالا يعقل من الحيوان والجماد وفيها المؤنث من الإنسان والحيوان وغيرهما تغليبا للعاقل والمذكر على غيره، وقد وردت قراءات أخرى (عرضها) أو (عرضهن).

وقول الله تعالى «أنبئونى»: معناه أخبرونى بأسمائها ولسائل أن يسأل: كم وضع (النبأ) مكان (الخبر) مع أنه بمعناه فقال: (أنبئونى) ولم يقل (أخبرونى)؟ فنقول: إن إيثار (النبأ) على (الخبر) لماله من مزية تعبيرية لا تتوافر فى لفظ (الخبر).

فالنبأ: خبر ذو فائدة عظيمة أو هو الخبر الخطير والأمر العظيم، فإيثاره على الإخبار للإيذان برفعة شأن الأسماء المسئول عنها وعظم خطرها.

ومعنى (الصدق) فى قوله: **﴿إن كنتم صادقين﴾**: العلم بحقيقة ما يدعى الملائكة من كونهم أفضل من آدم أو أعلم منه أو أحق بالخلافة منه فالواقع ليس كما قالوا أو كما ظنوا، وقد أثبت التحدى لهم ذلك واضحا جليا حيث عجزوا عن مجاراة آدم فيما علمه الله سبحانه وتعالى.

وقد اعترفت الملائكة بالعجز حين **﴿قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا﴾**.

كلمة (سبحان) مصدر - كغفران - ولا يكاد يستعمل إلا مضافا منصوبا بفعله كمعاذ الله ومعناه: التنزيه، والتنزيه فيه بعد عن النقائص، ويقصد به تنزيه الله تعالى عن السوء فى الذات والصفات والأفعال والأحكام وعن كل ما يشين أو يعيب.

ولفظ (سبحان) مع أنه يفيد التنزيه يحتوى أيضا على معنى آخر وهو التعجب والدهشة.

فالمقصود بهذه الكلمة كثير وكثير لا يمكن أن يحاط به فهى كلمة واحدة لكنها تعبر عن مقالة عريضة يقول فيها الإنسان ما شاء.

إنها تعبر عن تنزيه الله سبحانه وكماله، إنها تعنى: ما أعلى وأكمل وأشد تنزيه الله الذى يعطى من يشاء كآدم ما يفوق به غيره بماله من عطاء واسع وقدرة باهرة وعلم يحيط بكل شىء حاضر أو غائب فهو علام الغيوب ولا يمكن لأحد أن يطلع عليها.

ولفظ (سبحان) لا يستعمل إلا لله وحده فهو ذكر عظيم لله تعالى لا يصلح لغيره.

وتصدير الكلام به هنا اعتذار من الملائكة عن الاستفسار والسؤال الذى قدموه، وإقرار بجهلهم بحقيقة الحال، ولذلك جعل هذا اللفظ مفتاح التوبة **فقال موسى عليه السلام: «سبحانك تبت إليك» وقال يونس عليه السلام «سبحانك إنى كنت من الظالمين»**.

وقد أجاب الملائكة عن قوله تعالى لهم:

(أنبئونى) بأنهم لا يعلمون إلا ما علمهم الله. و(ما) فى التعبير (ما علمتنا) اسم موصول أى إلا الذى علمتنا مصدرية والمراد: لا علم لنا إلا تعليمك إيانا. وفى هذا كشف عن فضل الإنسان والحكمة فى خلقه وإزالة ما اشتبه على الملائكة من كونه أقل منهم شأنا.

وفى التعبير مراعاة الأدب واللياقة بتفويض العلم كله إلى الله سبحانه، ويؤخذ منه أن الواجب على من لم يعلم إذا سئل أن يقول: الله أعلم أو لا أدرى اقتداء بالملائكة والأنبياء والفضلاء من العلماء.

وفيه دليل أيضا على أن أحدا لا يعلم من الغيب إلا ما أعلمه الله كالأنبياء ومن اقتضت حكمة الله أن يعلمه شيئا من علمه.

ثم ذيَّل الآية بقوله تعالى: ﴿إنك أنت العليم الحكيم﴾ لقد جاء التعبير بصيغتى المبالغة على (فعيل) بدلا من (فاعل) كأن يقول: (عالم) أو (مُفعِل) كأن يقول: (مُحكِم) مثلا لما لصيغ المبالغة من إفادة التكثير.

ولسائل أن يسأل: لم قدم (العليم) على (الحكيم)؟.

فنقول: إن تقديم (العليم) مناسب للمقام، فالحديث عن العلم قد سبق من قبل حيث قالوا «لا علم لنا إلا ما علمتنا» فناسب اتصاله به، ولأن الحكمة التى تقتضى الدقة والاتقان فى كل شىء ناشئة عن العلم وأثر له، وكثيرا ما تقدم صفة العلم عليها فى القرآن الكريم فى مواطن كثيرة.

وجاء دور آدم ليذكر أسماء المعروضات حتى تثبت مزيته وتقدمه على الملائكة بأمر الله تعالى.

**قال ياآدم أنبئهم بأسمائهم:**

فأراد سبحانه من آدم أن يذكر أسماء الأشياء والحكمة التى خلقت من أجلها بعد أن عرضها على الملائكة ليعلموا أنه أعلم بما سألهم عنه تنبيها على فضله وعلو شأنه.

ثم قال سبحانه للملائكة لائما لهم:

**﴿ألم أقل لكم إنى أعلم غيب السموات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون﴾.**

فهذا الاستفهام من قبيل لوم لهم إذ كان الأجدر بهم أن يتوقفوا ولا يتجرأوا على السؤال بطريقة ربما يفهم منها الاعتراض والطعن على بنى آدم.

والمراد بالإبداء، الإظهار، وبالكتم: الإخفاء فى قوله تعالى: **﴿وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون﴾.**

وأفهمت الآية أن الله يعلم الأشياء قبل حدوثها لأنه أخبر عن علمه تعالى بأسماء المسميات جميعها ولم تكن موجودة من قبل الإخبار.

وقد دار حوار وجدل بين علماء اللغة حول الاستدلال بهذه الآية فى بحث نشأة اللغة الإنسانية واللغة العربية.

فقال بعض العلماء إن الله تعالى قال: ﴿وعلم

آدم الأسماء كلها﴾ وعلم: معناه: لقّن ووقّف الأسماء بمعنى الألفاظ والعبارات، فالله تعالى لقّن آدم أسماء جميع المخلوقات من الجن والإنس والملائكة والحيوانات والجمادات من أرض وسهل وجبل وأشباه ذلك وكل ماهو موجود فى زمنه وبعد زمنه إلى قيام الساعة وكان ذلك بجميع اللغات البشرية كالعربية والفارسية والتركية والإنجليزية والفرنسية وغيرها من اللغات التى وجدت والتى ستوجد إلى قيام الساعة.

وبعضهم فسر ما تعلمه آدم بأن الله تعالى علمه أسماء الكائنات من حوله فقط.

وبعضهم فسره بأن الله علمه كيفية تقطيع الأصوات وتكوين الكلمات فى جميع اللغات.

ثم إن أولاد آدم لما كثروا تفرقوا فى الأرض فتكلم كل منهم بلغة من تلك اللغات ونسى ما عداها.

وبعض العلماء يرى أن الله تعالى علم آدم من اللغات ما احتاج إليه فى زمانه فقط.

فآدم على هذا عرف أسماء المسميات كلها.

وبعض علماء اللغة يستدل بهذه الآية على توقيفية اللغات - ومنها العربية - وأنها وحى من عند الله، وكان أبو على الفارسى - من علماء القرن الرابع الهجرى - وتلميذه أبو الفتح عثمان بن جنى - يميلان إلى هذا الرأى وقد قال ابن جنى - عن اللغة العربية - إننى إذا تأملت حال هذه اللغة الشريفة الكريمة اللطيفة وجدت فيها من الحكمة والدقة، والإنصاف والرقة ما تَمَلَّكَ على جانب الفكر. ثم قال: وإنصاف إلى ذلك وارد الأخبار المأثورة بأنها من عند الله تعالى فقوى فى نفسى اعتقاد كونها توقيفا من الله سبحانه وأنها وحى.

وأحمد بن فارس - من علماء القرن الرابع - أيضا - يستدل بهذه الآية على توقيفية اللغة العربية وأنها من عند الله.

قال - فى كتابه الصاحبى - : «إن لغة العرب توقيف» ونقل عن ابن عباس قوله: علمه الأسماء كلها، وهى هذه الأسماء التى يتعارفها الناس من دابة وأرض وسهل وجبل وأشباه ذلك من الأمم وغيرها.

ثم قال: والذى نذهب إليه فى ذلك ما ذكرناه عن ابن عباس ويقول:

إن الله تعالى علم الأنبياء واحدا بعد الآخر حتى انتهى الأمر إلى نبينا محمد ﷺ فآتاه الله عز وجل من ذلك مالم يؤته أحدا قبله تماما على ما أحسنه من اللغة المتقدمة.

وعلى هذا فاللغات - ومنها العربية - توقيفية من عند الله.

وقد ولدت مذاهب أخرى كثيرة فى نشأة اللغة يمكن معرفتها بالرجوع إلى كتب فقه اللغة ككتابنا (العربية خصائصها وسماتها).

ولا بأس أن نقول: إن آدم تعلم - عن طريق الوحى - شيئا من اللغة التى احتاج إليها للتفاهم آنذاك.

# الإعلام الدينى هدف وغاية

الكلمة الطيبة صدقة، لها قوتها فى التغيير والتوجيه، والدعوة الصادقة لمجاهدة النفس.. يقول الحق جل فى علاه:

●● ﴿ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هي أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين﴾ سورة النحل: اية ١٢٥.

●● (وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم﴾ سورة إبراهيم: آية ٤.

●● ﴿وأنذر عشيرتك الأقربين﴾ سورة الشعراء: آية ٢١٤.

د. محمد بهى الدين سالم

والكلمة الطيبة بمفهومها العريض هى أساس الإعلام الناجح والمؤثر، والذى أصبح له دور فعال فى مجتمعنا المعاصر حيث تتغلغل أجهزته المختلفة فى حياة الناس، بل وتشغل جانبا لا يستهان به من مساحة الزمن اليومى لهم.

وقد يكون السبب الأهم الذى يربط الناس بتلك الأجهزة الإعلامية ما تبثه من مواد ترويحية فى قوالب فنية تغرى على المتابعة بما تحمله من وسائل الإبهار.

ومما لاشك فيه أن الترويح عن النفس ضرورة من ضرورات الحياة البشرية لتجديد النشاط، وتحقيق التوازن النفسى، وتعميق الإحساس بالذات، كما أن الترويح يمثل ضرورة إنسانية لأنه وسيلة من وسائل الاسترخاء الذهنى للفرد، وطريقة مثلى لتخفيف الضغط العصبى، والكلل النفسى بما يحققه من تسلية، وإبعاد للسأم الناتج عن الآلية، وتبعات الحياة اليومية المتكررة.

ورجال الإعلام الدينى ـ بما يقدمونه من مواد ـ هم فى حقيقة أمرهم دعاة ومبلغون، وليسوا مجرد نقلة للأخبار أو بحاث عنها فهم مع مشاركتهم سائر الإعلاميين فى طبيعة العمل إلا أنهم يتميزون عن الكثيرين منهم بما يحقق قول الله سبحانه وتعالى: **﴿ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله وعمل صالحا وقال إننى من المسلمين﴾** سورة فصلت: آية ٣٣.

ومن ثم فإن الإعلامى المسلم ليس هو فقط قناة توصيل جيدة بين كل من رجال الفكر، والعمل وبين الجماهير المتلقية، بل إن له بحكم تميز رسالته الإعلامية دورا أكثر إيجابية فى بلورة الفكر إلى الناحية الإسلامية ونشره بما يحقق الغرض المرجو منه، فالإسلام بقيمه العليا، ومبادئه السامية صالح لكل زمان ومكان محقق لآمال البشرية جمعاء.

والمرحلة الراهنة التى يجب أن يستوعبها رجل الإعلام الدينى، لم تعد تتطلب مجرد الدعوة إلى تطبيق الشريعة الإسلامية دون عمل جاد، ومشترك لتحديد وسائل ونظم تطبيق هذه الشريعة فى المجالات الإنسانية المختلفة من تربية وقانون واقتصاد وغيرها. ودون عمل جاد ومشترك للانتقال بالمجتمعات الإسلامية من واقعها الحالى إلى المستويات التى يرتضيها تطبيق شريعة الإسلام فى القرن الخامس عشر الهجرى.

إن هذه الاعتبارات ـ جميعا ـ تفترض أن ينتقل الإعلام الدينى من حدود المسجد فى اتجاه المدرسة والصحيفة والمصنع والنادى الرياضى ودور العبادة والبنوك وغيرها.

إننا فى حاجة كى نستأنف حياة إسلامية كاملة.. إلى تربية ونظم قانونية إسلامية.. إلى إعلام إسلامى، واقتصاد إسلامى، وحياة اجتماعية فى رحاب الشريعة، وهذا كله يمكن أن يتم بالفكر الدقيق، والعمل البناء وفق الشريعة الغراء، فالهدف الأسمى هو انتقال روح المسجد وتوجيهاته لتشمل جنبات الحياة كلها بأسلوب علمى ومدروس، وفى ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة والأعراف والتقاليد السوية.

وأمر هام بالنسبة للإعلام الدينى وهو ضرورة أن يراعى أنه يخاطب مستويات متباينة من المسلمين، فيهم الأمى، ونصف المتعلم، والمثقف ثقافة عالية.

وأيضا على رجل الإعلام الدينى تطويع هذه الأنماط من الثقافات للمضمون الدينى حتى يكون هناك عائد من العملية الإعلامية وكل هذا لا يتحقق إلا بوضع خطة للتنسيق الشامل بين مختلف وسائل الإعلام، وبين كافة الأنشطة العلمية والفكرية والتربوية فى كل بلد إسلامى بحيث يتم استيعاب كل ماهو متصل بالعقل والقلب والسلوك فى إطار إسلامى يخدم قضايا المجتمع، ويساعد الإعلام الدينى فى تأدية رسالته نحوها. والتأكيد على أن الإسلام ليس رؤية اعتقادية فحسب، وإنما هو طريقة فى التفكير، وأسلوب فى العيش، وخطة فى التعامل بل وله أيضا دور هام وفعال بالنسبة للتيارات الوافدة علينا فى كل بلد إسلامى فيما يسمى بالغزو الفكرى.

وفى هذا الصدد أصبح من الواجب على الإسلام الدينى تسليط الأضواء على تلك التيارات، وتقديم التراث الإسلامى فى مواجهتها، وتبصير المسلمين فى دولهم بأهمية جمع الشمل، وتوحيد الصف، والاعتصام بحبل الله، وإبراز الأخطار التى تهدد المسلمين بفرقتهم إلى جانب معايشة المشاكل وحسمها من الناحية الدينية بالحكمة والموعظة الحسنة تحقيقا للآية الكريمة : **﴿والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا﴾** سورة العنكبوت: آية ٦٩. **﴿واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا﴾** سورة آل عمران: آية ١٠٣.

**وبعد:**

فإنه من أهداف وغايات الإعلام الديني تصحيح صورة الإسلام المشوهة لدى الإنسان الغربي، وهذا يقع أول ما يقع على عاتق الإعلاميين الإسلاميين بالذات، فكل إعلامي إسلامي هو سفير للإسلام برأيه وكلماته، بسلوكه وتصرفاته فيما يكتب للناس، وعليه فالإعلام الديني مطالب بحثّ الدول الغربية على استحداث قوانين للرقابة على المؤلفات التى تسيء إلى الرسل والأنبياء وتنال منهم بالجرح والطعن والامتهان، وما يسببه ذلك من إساءة واستعداء لمشاعر المسلمين، وبذلك يغلق باب من أخطر الأبواب التى يدخل منها الخلاف والعداء، ذلك لأن حرية الفكر المطلقة التى تتيح الفرصة وتفسح المجال للكتاب الحاقدين للنيل من مكانة الأنبياء بأسلوب عار من الالتزام الأدبى والحوار الفكرى، الأمر الذى يثير المشاعر والعواطف، ويجعل الساخطين يعبرون عند شجبهم واستنكارهم لمثل هذه المهانات بطريقة قد لا تتفق مع العقل الغربى فتسوء العلاقات، وتنشب نيران العداوة والخلاف بين الغرب المسيحى والشرق المسلم.

لذا يجب دعم وسائل الإعلام وأدواته المختلفة المسموعة والمقروءة والمرئية فى البلاد الإسلامية ببرامج ثقافية منهجية عن الإسلام وعلومه، وقيمه العليا، ومبادئه السامية، وإظهار مكارمه ومزاياه وسماحته ووسطيته، مع ضرورة العمل على إنشاء قناة فضائية إسلامية موحدة تحمل طابع الشعوب الإسلامية على اختلاف مواقعها وأيضا الأقليات الإسلامية فى الدول غير الإسلامية، وأن تبث هذه القناة برامجها بانتظام واستمرار طوال اليوم باللغات العالمية المعتمدة لدى الأمم المتحدة.

هذا إلى جانب العمل على إصدار مجلة شهرية باللغات العالمية يصدرها الأزهر الشريف بالاشتراك مع المؤسسات الإسلامية العالمية تقدم لأبناء الغرب حقائق الإسلام، وأباطيل خصومه، كما تعرفهم بالدول العربية والإسلامية وحضارتها التى سبقت كل الحضارات الإنسانية.

وإذا أمكن للعالم الإسلامى أن ينهض بإعلامه الدينى ويصل به إلى العالمية - وهو المطلوب - يكون قد حقق المقصود منه، وأصبح له غاية وهدف يسعى إليهما بالوسائل التقنية الحديثة التى جعلت العالم بقاراته وكأنه قرية صغيرة يمكن السيطرة عليها إعلاميا فى دقائق معدودة.

إن الإسلام ليس فى وضع تصادمى مع المسيحية أو مع الغرب عامة باتجاهاته العقائدية المختلفة بأى شكل من الأشكال إنما تصحيح للأوضاع وأسس ومبادئ عامة يجب أن يحترمها الكل **﴿لكم دينكم ولى دين﴾** سورة الكافرون: آية ٤.

وأخيرا فالكلمة الهادفة هى التى تبنى ولا تهدم، تعمر ولا تدمر، تنير الطريق للحياة الكريمة فى ضوء إعلامى دينى مسؤول يربى الفضيلة، ويجمع على الحق كلمة الأمة، بعيدا عن إثارة الفرقة والاختلاف كما يدعم السلام الاجتماعى والوحدة الوطنية ومالم يؤمن الإعلامى المسلم بخطورة وأهمية ما يقدم للناس يفقد التأثير عليهم. وكأنه - يعصر خمرا - بل ويصدق عليه قول الله سبحانه وتعالى: **﴿إن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم﴾** سورة فاطر: آية ١٤.

## البيان:

يقول - صلوات الله وتسليماته عليه - «إن لكل دين خلقا وخلق الإسلام الحياء»، رواه مالك وابن ماجه من حديث ابن عباس، وفى رواية أخرى «الحياء من الإيمان والإيمان فى الجنة والبذاء من الجفاء والجفاء فى النار» رواه أحمد والترمذى (البذاء) يقال بذا على القوم يبذو بذاء بالفتح والمد سفه وأفحش فى منطقه وإن كان كلامه صادقا فهو بذئ، وامرأة بذيئة، وبذأ يبذأ مهموز بفتحهما بذاء وبذاءة بالمد. وبذأته العين ازدرته واستخفت به).

وقال أيضا ﷺ: «الحياء والإيمان قرناء جميعا إذا رفع أحدهما رفع الآخر» رواه أحمد والترمذى. ولقد جاء الإسلام دعوة إلى الفضيلة ومكارم الأخلاق وأعلن ﷺ أنه بدعوته قد أتم بنيان المكارم والفضائل التى نادى بها من قبله سائر الأنبياء، فقال: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق» ومكارم الأخلاق هى ذلك الصرح الذى شاده الأنبياء قبله، وكل أعطاه من إخلاصه وتفانيه فى إجادته وإتقانه فى أحسن صورة وأبهى مظهر حتى إذا لم يبق فيه إلا موضع لبنة ليتم البنيان وسد أمر البنيان إلى النبى الخاتم سيدنا محمد ﷺ وكان - صلوات الله وسلامه عليه - وبه تمام البنيان وختام الرسالات، وكانت رسالته الجامعة لمواريث إخوانه الأنبياء السابقين والخالدة الباقية إلى يوم الدين والعامة للناس أجمعين، وكان أمر الله لنبيه ﷺ ﴿قل يأيها الناس إنى رسول الله إليكم جميعا﴾ سورة الأعراف: آية ١٥٨. وقوله: ﴿وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا﴾ سورة سبأ: آية ٢٨، وقوله: ﴿تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا﴾ سورة الفرقان: آية ١. وقد أخذ الإسلام الناس بكل مايجسد معانى الفضائل فى محيطهم فرادى وجماعات وأمما، والكل فى هذه الدعوة سواء لا فضل لأحد على آخر إلا بمقدار اعتصامه بهذه المبادئ السامية التى نادت بها الشرائع، وحمل عبء الدعوة إليها الإسلام الذى أيقظ فى الناس المشاعر وأنار البصائر حتى استقاموا على الجادة وسلكوا أقوم الطرق وعاشوا فى الدنيا كرماء تظلهم راية الإيمان وتحوطهم عناية الرحمن.

## التعريف بالحياء

ولقد كان من أعظم تلك الفضائل وأقواها أثرا فى سلوك المسلم خلق الحياء، هذا الخلق الذى يثمر فى صاحبه الكمال فى كل شأنه ويضفى عليه من المهابة ما يسمو به عن التورط فيما يعاب ذلك الخلق الذى يحبب إلى صاحبه الطاعة والتقوى والاستقامة ويبغض إليه الكفر والفسوق والعصيان ويقف به عند حدود الله فلا يتعداها، إنه مصدر كل خير وبر ومنبع كل فضل وعدل وطريق كل سلامة ونجاة وآية الإخلاص والوفاء. إنه عنوان صفاء الروح وطهارة القلب ويقظة الضمير ونبل العواطف، إنه خلق الأنبياء والمرسلين وزينة الأتقياء والمؤمنين. قال تعالى: ﴿ولقد آتينا موسى وهارون الفرقان وضياءً وذكرا للمتقين الذين يخشون ربهم بالغيب وهم من الساعة مشفقون﴾ سورة الأنبياء: الآيتان ٤٨، ٤٩. إنه

شجرة الفضائل وروض المكارم وبستان الإيمان لا ينبت الدين إلا فى حقله، ولا يشب الضمير إلا فى ظله، ولا يترعرع الصلاح إلا فى رباه. إنه لباب التقوى وغذاؤها وشعار الحكمة ووقارها وخلق الملائكة المقربين وديدن الصحابة والتابعين وأخص صفات العلماء العاملين الذين عرفوا ما لله من سطوة وبأس، وقوة وبطش وعظمة وسلطان، وأدركوا ماله من عزة كاملة، وعظمة شاملة فأقاموا حدوده واجتنبوا محارمه وامتثلوا كل أوامره وعظموا دينه وأكبروه وحفظوا كتابه وتدبروه وعملوا على طاعته جهدهم وهم من خشية ربهم مشفقون وإذا ذكر الله وجلت منهم القلوب وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا وعلى ربهم يتوكلون. يقيمون الصلاة ومن رزق الله سينفقون ولا يبخلون وهم بما آتاهم ربهم راضون وفيهم يقول الحق سبحانه: **﴿إنما يخشى الله من عباده العلماء﴾** سورة فاطر: آية ٢٨. ومن أعرف بالله من العلماء العاملين والفقهاء الورعين الذين عرفوا أصل الكون ونشأته وبدايته ونهايته ومصيره ومنتهاه وعرفوا كيف دبر الحق أموره وسننه وأحكم نواميسه وأبدع قوانينه وأوجده فى أبهى صورة وأدق نظام، وكيف ألف بين آياته على كثرتها وأحاط منهم بكل خفى ومكنون. سرهم عنده كعلانيتهم ونومهم كيقظتهم وغائبهم كحاضرهم يعطيهم من غير سآمة ولا ملل ويحفظهم من غير عجز ولا كسل ويحاسبهم من غير ظلم ولا محاباة.

إن ربا هذه آلاؤه وهذا الذى نعيش فى ربوعه نغدو ونروح هو عطاؤه على ما فينا من ضعف لا نملك معه لأنفسنا نفعا ولا ضرا ولا أن نحقق خيرا أو ندفع ضرا.

جدير بكل إنسان أن يستحى منه لاسيما العلماء والفقهاء لأن حياءهم منه بقدر معرفتهم وخوفهم منه يجب أن يكون بقدر فهمهم إياه خصوصا وقد كلفهم الله بأمانته واصطفاهم لرسالته واختارهم ورثة للأنبياء لتبليغ دينه إلى الناس. لا يخافون غيره سبحانه ولا يرهبون مخلوقا سواه.

وفى الأنبياء يقول سبحانه: **﴿الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحدا إلا الله وكفى بالله حسيبا﴾** سورة الأحزاب: آية ٣٩، فهو خلق اتفق عليه جميع الأنبياء من لدن آدم، فما من نبى من الأنبياء إلا وندب إليه وحث عليه ولم ينسخ فى شرعية من الشرائع. لأنه أمر قد علم صوابه وظهر فضله واتفقت عليه العقول وتلقته جميع الأمم بالقبول، والنبى الكريم يشير إلى ذلك بقوله: **«إن مما أدرك الناس عليه من كلام النبوة الأولى إذا لم تستح فاصنع ما شئت»** وهو تهديد وتوبيخ، أى: إذا كنت لا تستحى، وقد نزع منك الحياء من الله ولم تراقبه فى فعل أوامره واجتناب نواهيه. فاصنع ما شئت من الرذائل ومما تهواه نفسك، فإن الله مجازيك عليه ونظيره **﴿فاعبدوا ما شئتم من دونه﴾** سورة الزمر: آية ١٥. فإذا ارتفع الحياء صنعت النفس كل ما تهواه. قال الشاعر:

إذا لم تخشَ عاقبة الليالى
ولم تستحى فاصنع ما تشاء
فلا والله ما فى العيش خير
ولا الدنيا إذا ذهب الحياء

وقد قال صاحب الفتوحات الوهبية: انظر إلى ما تريد أن تفعله فإن كان مما لا يُستحى من الله ومن الناس فى فعله فافعله، وإن كان مما يُستحى من الله ومن الناس فى فعله فدعه، ذلك أن الفعل إما أن يستحى منه وهو الحرام والمكروه وخلاف الأولى واجتنابه مشروع. أو لا يُستحى منه وهو الواجب والمندوب والمباح، وفعل الأولين مطلوب والثالث جائز.

وفى الترهيب من ترك الحياء يقول ﷺ فيما رواه ابن عمر - رضى الله عنهما - إن النبى ﷺ قال: «**إن الله عز وجل إذا أراد أن يهلك عبدا نزع منه الحياء. فإذا نزع منه الحياء لم تلقه إلا مقيتا فإذا لم تلقه إلا مقيتا ممقتا نزعت منه الأمانة، فإذا نزعت منه الأمانة لم تلقه إلا خائنا مخونا. فإذا لم تلقه إلا خائنا مخونا نزعت منه الرحمة، فإذا نزعت منه الرحمة لم تلقه إلا رجيما ملعنا. فإذا لم تلقه إلا رجيما ملعنا نزعت منه ربقة الإيمان**» رواه ابن ماجه.

إن الحياء شعور صارم حاد ينبعث من قلب تقى مؤمن فيهيمن على نفس صاحبه وجسمه ويسيطر على وجدانه وحسه فلا يقترف جريرة ولا جريمة ولا يفعل إثما ولا ذنبا ولا يأتى نقيصة ولا عيبا ولا يرتكب منكرا ولا قبيحا. وعن عائشة - رضى الله عنها - أنها قالت «مكارم الأخلاق فى عشر تكون فى الرجل ولا تكون فى ابنه وتكون فى الابن ولا تكون فى الأب، وتكون فى العبد ولا تكون فى سيده يقسمها الله لمن أراد به السعادة صدق الحديث، وصدق البأس، وإعطاء السائل والمكافأة بالصنائع، وحفظ الأمانة، وصلة الرحم، والتذمم للجار، والتذمم للصاحب وقرى الضيف ورأسهن الحياء» ومعنى صدق البأس: الصدق فى مقابلة العدو، ومعنى التذمم أى حفظ ذمامه أي حرماته. فيحفظ حرمته وحقه ويطرح عن نفسه ذم الناس. وإنما كان الحياء رأسهن لأن من علاماته ألا يخاف غير الله لأنه بحق فى الذروة من مكارم الأخلاق فهو فى النعمة شكر، وفى المحنة تسليم وصبر، وفى القضاء انصاف وعدل، ومع الوالدين والأرحام صلة وبر، وفى معاملة الأرامل والضعفاء والأيتام رعاية وعطف، وفى الرجال جمال وزينة، وفى النساء عفة وطاعة وطهارة.

والمسلم الحيى إذا ذلَّ فهو التائب والنادم، وإذا وفق لخير فهو المتواضع الخاشع. ولقد دخل عمر على رسول الله ﷺ فوجده يبكى فقال «ما يبكيك يارسول الله» قال: «**أخبرنى جبريل أن الله يستحى من عبد يشيب فى الإسلام أن يعذبه. أفلا يستحى الشيخ من الله تعالى أن يذنب وقد شاب فى الإسلام**».

وقد وصفه - صلوات الله وسلامه عليه - بأنه حيى كريم فقال ﷺ «**إن ربكم حيى كريم يستحى من عبده أن يرفع يديه إليه أن يردهما صفرا أى خائبتين**» رواه الترمذى.

## حياؤه ﷺ

وقد كان ﷺ أعظم الناس حياء لأنه أعظمهم إيمانا، وقد قال: «**الحياء من الإيمان**» وفى الصحيحين عن أبى سعيد الخدرى رضي الله عنه قال: «كان رسول الله ﷺ أشد حياء من العذراء فى

خدرها، وكان إذا كره شيئا عرفناه فى وجهه».

كما كان لطيف العشرة رقيق الظاهر لا يشافه أحدا بما يكرهه حياء وكرم نفس. فعن عائشة ـ رضى الله عنها قالت: «كان النبى ﷺ إذا بلغه عن أحد ما يكرهه لم يقل ما بال فلان يقول كذا ولكن يقول ما بال أقوام يصنعون أو يقولون ولا يسمى فاعله»، وروى أبوداود والترمذى عن أنس قال: كان رسول الله ﷺ لا يواجه أحدا بوجهه بشىء يكرهه فدخل عليه يوما رجل وعليه أثر صفرة. فلما قام قال لأصحابه: **«لو أمرتم هذا أن يغسل هذه الصفرة».**

ومن ذلك حياؤه من القوم الذين أطالوا الجلوس عنده بعد الأكل فاستحيا أن يقول لهم انصرفوا حتى نزلت الآية فى ذلك كما فى صحيح البخارى عن أنس رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ عرِسًا على زينب فقالت لى أم سليم لو أهدينا إلى رسول الله ﷺ هدية قال أنس فقلت لها افعلى، فعمدت إلى تمر وسمن وأقط فاتخذت حيسة فى برمة فأرسلت بها معى فانطلقت بها إليه فقال «ضعها» ثم أمرنى قال لى ادع رجالا سماهم وادع لى من لقيت ففعلت الذى أمرنى فرجعت فإذا البيت غاص بأهله ورأيت رسول الله ﷺ وضع يده فى تلك الحيسة وتكلم ما شاء الله ثم جعل يدعو عشرة عشرة يأكلون منه يقول لهم اذكروا اسم الله وليأكل كل رجل مما يليه حتى تصدعوا كلهم. وفى رواية مسلم وكان النبى ﷺ شديد الحياء فاستحيا أن يقول لهم انصرفوا ثم خرج النبى ﷺ نحو الحجرات وخرجت من أثره فقلت: إنهم قد ذهبوا، فرجع النبى ﷺ فدخل البيت. وأرخى الستر وإنى لفى الحجرة وهو يقول: **﴿يأيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبى إلا أن يؤذن لكم إلى طعام غير ناظرين إناه ولكن إذا دعيتم فادخلوا فإذا طعمتم فانتشروا ولا مستأنسين لحديث إن ذلكم كان يؤذى النبى فيستحى منكم والله لا يستحى من الحق﴾** سورة الأحزاب: آية ٥٣. والمراد أنه يستحى حياء كرم أن يقول لهم انصرفوا وهم فى بيته، والله لا يستحى من بيان الحق الواجب اتباعه. وهذا لا ينافى أنه سبحانه متصف بحياء الكرم اللائق بمقام ربوبيته، ومنه الحياء الذى ورد فى الحديث السابق. وقالت عائشة ـ رضى الله عنها ـ فى الصحيح «لم يكن النبى ﷺ فحاشا ولا متفحشا ولا صخابا فى الأسواق ولا يجزى بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح».

ومع هذا فقد كان ﷺ يغضب ويواجه بالحق إذا انتهكت حرمات الشرع وينتصر لدين الله، عن عائشة ـ رضى الله عنها ـ قالت **«ماضرب رسول الله بيده شيئا قط ولا امرأة ولا خادما إلا أن يجاهد فى سبيل الله. وما نيل منه شيئ قط ينتقم من صاحبه إلا أن ينتهك شىء من محارم الله تعالى فينتقم لله تعالى»** رواه مسلم. وعنها قالت: «ما خير رسول الله بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثما، فإن كان إثما كان أبعد الناس منه وما انتقم رسول الله ﷺ لنفسه قط إلا أن تنتهك حرمات الله تعالى» ، وهذا يدل على أن حياءه من المواجهة فيما عدا ذلك أى فيما تركه أفضل وأورع، أو فيما كان من حق نفسه تسامحا وتغاضيا وأما حق الله وحق العباد فلا.

## أعلى درجات الحياء

وثم رأيناه ﷺ يذكر أصحابه بأن أعلى درجات الحياء ما كان الباعث عليه مراقبة الله عز وجل وخشيته لعلمه بأن لا تخفى عليه من أمر العباد خافية وهو القائل: ﴿**يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور**﴾ سورة غافر: آية ١٩. فهو يقيم من نفسه على نفسه رقيبا ويحاسبها على القليل والكثير والفتيل والقطمير ذاكرا أن كل ما أنعم الله به عليه فهو عنه مسئول بين يدى من يعلم السر وأخفى، يقول ﷺ منبها إلى واجب المسلم فى أنعم الله عليه وواجبه فيه. فيقول ﷺ لأصحابه: «**استحيوا من الله حق الحياء، قالوا: إنا لنستحى من الله والحمد لله. قال: «ليس كذلك ولكن الاستحياء من الله حق الحياء. أن تحفظ الرأس وما وعى والبطن وما حوى وتذكر الموت والبلى ومن أراد الآخرة ترك زينة الحياة الدنيا وآثر الآخرة على الأولى. من فعل ذلك فقد استحيا من الله حق الحياء**» رواه الترمذى والطبرانى. ولعمرى أن الحديث ليحيط بأهم ما منح الإنسان من نعم فى ذاتها أو أسبابها. وما يترتب على حسن استخدامه لها وتقوى الله فيها من فيض فضل الله على صاحبها بالحفظ والمزيد من ثمارها فى الدنيا وحسن المثوبة على ذلك يوم تشهد على المرء الألسنة والأيدى والأرجل. كما أن كل جارحة تنطق بما كان منها، فقد أودع الله الرأس والبطن أهم ما يميز الإنسان عن غيره، فالعقل وهو مناط التكليف فى الدنيا فى الرأس، والقلب وهو القيادة التى بها صلاح أمر الإنسان فى معاشه ومعاده وهذه فى الصدر وهو المشار إليه بقوله ﷺ «**إن فى الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهى القلب**» وعمارة الحياة حاضرها ومستقبلها معاشها ومعادها وزمام عنصرى الإنسان (المادة والروح) هداية وصلاحا أو ضلالة وفساداً.

وقوله ﷺ: «**وتذكر الموت والبلى**» فذلك ما يعين على التحرر من سلطان المادة والرضا منها بما قسم الله عز وجل قل أو كثر والتحرى فى كسب المقسوم كيلا يشوبه ما يغضب الله وقوله: «**ومن أراد الآخرة ترك زينة الحياة الدنيا**».. فيه تنبيه إلى أن المسلم يجب أن يعلم أن الآخرة هى المرجع واليها المصير، وإنه وإن كان مأموراً بالعمل المادى الذى تعمر به الدنيا فواجبه أن تكون غايته منه العون على ما يثرى العمل للآخرة بالنية الصالحة التى تضعه بعمله المادى فى صفوف المجاهدين فى سبيل الله، قال تعالى: ﴿**علم أن سيكون منكم مرضى وآخرون يضربون فى الأرض يبتغون من فضل الله وآخرون يقاتلون فى سبيل الله فاقرءوا ما تيسر منه**﴾ سورة المزمل: آية ٢٠. وقوله سبحانه: ﴿**ولا تبذر تبذيرا إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين**﴾ سورة الإسراء: آية ٢٧. وقوله ﷺ: «**من طلب الدنيا حلالاً تعففا عن المسألة وسعيا على عياله وتعطفا على جاره لقى الله ووجهه كالقمر ليلة البدر، ومن طلبها رياء ومفاخرة لقى الله وهو عليه غضبان**» وربنا سبحانه لا يريدنا أن نحارب الغنى أو التمتع بالحلال من الزينة ما كان ذلك خاليا من الرياء والمفاخرة والتعالى على الناس حين يقول: ﴿**وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا**

**وأحسن كما أحسن الله إليك ولا تبغ الفساد فى الأرض إن الله لا يحب المفسدين﴾** سورة القصص: آية ٧٧. وقوله: **﴿وآثر الآخرة على الدنيا﴾** يتضح معناه مما سبق، وثم فمن فعل ذلك فقد استحيا من الله حق الحياء. ذلك لأنه ائتمر بما أمر الله به فى أنعمه وآلائه التى تفضل بها وانتهى عما نهاه عنه ربه فى التعامل معها فلم يقترف بها إثما أو يأت بها منكرا.

## من ثمار الحياء «الصدق»

وما أشد حاجة العلاقات بين الناس إلى الحياء الذى يفرض على المسلم ألا يعيش فى عزلة عن المجتمع الذى يحيا فى ربوعه يعطيه ويأخذ منه ويتعاون مع أفراده على ما يعلى شأنه ويرفع قدره فهو منه كالعضو فى الجسم يأسى لما يؤلمه ويسره ما يسره ويحب له ولبنيه ما يحب لنفسه ويكره له ولأى من أفراده الذين يعايشونه ويشاركونه سراء الحياة وضراءها. وإن ذلك ليقتضى أن يكون الصادق معهم فى قوله فلا يكذبهم، وفى فعله فلا يغشهم ولا يخدعهم ذاكرا فى ذلك قول الحق سبحانه: **﴿ياأيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون﴾** سورة الصف: الآيتان ٢، ٣. وقول الرسول ﷺ: **«عليكم بالصدق فإن الصدق يهدى إلى البر وإن البر يهدى إلى الجنة ولايزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقا وإياكم والكذب فإن الكذب يهدى إلى الفجور وإن الفجور يهدى إلى النار ومايزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا»** متفق عليه. وهو من أمارات النفاق، لأنه خلاف ما يبطن الإنسان، بل هو أول ما يتحرز منه المسلم وربنا تبارك وتعالى يقول: **﴿إنما يفترى الكذب الذين لايؤمنون بآيات الله وأولئك هم الكاذبون﴾** سورة النحل: آية ١٠٥. فكم من خبر كاذب كان سببا لقطع الصلات وإضاعة الحقوق وانتهاك الحرمات، وكم من شائعة أطلقها شخص مهين كان لها أسوأ الأثر على الأفراد والجماعات ووسمه الحق بأخس الصفات وهى الفسق قال تعالى: **﴿ياأيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين﴾** سورة الحجرات: آية ٦. كما أن من أفحش الرذائل أن يتحدث الرجل إلى أخيه بحديث يعلم أنه فيه كاذب وهو له مصدق ففى الحديث قال ﷺ: **«كبرت خيانة أن تحدث أخاك بحديث هو لك مصدق وأنت له به كاذب» كما سلكه ﷺ فى عداد المنافقين حيث قال: «ثلاث من كن فيه كان منافقا إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا اؤتمن خان»** متفق عليه. وناهيك بشاهد الزور قبحا وجرما إن ارتكب ذنبا هو من أكبر الكبائر وموبقة من أقبح الموبقات قال ﷺ: **«الا أنبئكم بأكبر الكبائر ثلاثا قلنا بلى يارسول الله قال: «الإشراك بالله وعقوق الوالدين وقتل النفس وكان متكئا فجلس وقال ألا وقول الزور وشهادة الزور فمازال يكررها حتى قلنا ليته سكت»** متفق عليه، فضلا عن أن الكذب لا يزيد فى الرزق، وأن الصدق لا ينقصه يقول ﷺ: **«إن الروح الأمين نفث فى روعى أن نفسا لن تموت حتى تستوفى رزقها وإن أبطأ عنها فاتقوا الله وأجملوا فى الطلب ولا يحملنكم استبطاء شئ من**

**الرزق على أن تطلبوه بمعصية الله فإن الله لا ينال ما عنده بمعصيته»** ابن أبى الدنيا والحاكم.

## أداء الأمانة

ومن أبرز صفات المسلم الأمانة التى هى أشد شىء فى الإسلام فقد قال ذلك الصحابى لرسول الله ﷺ «أخبرنى عن ألين شىء فى هذا الدين وأشده. فقال له ﷺ: **«ألين شىء فى هذا الدين الشهادتان وأشد شىء فى هذا الدين الأمانة»**. ففى الحديث: **«لا إيمان لمن لا أمانة له ولا دين لمن لا عهد له»**. إنها شعور المرء بتبعته فى كل أمر يوكل إليه فيراقب فيه ربه الذى يطلع على سره وعلانيته ولن يتخلق بها إلا ذو ضمير يقظ. إنها ثمرة مراقبة رب العالمين حيث تدعوه هذه المراقبة إلى الحياء من الله أن يقصر فيما وُسد إليه أو يهمل فى أدائه أو يتنكر له وهو يعلم أنه إن أفلت من أعين الخلق فعين الله عنه لا تغيب، وهو منه قريب وأحق أن يستحيا منه خوفا من عقابه فى الدنيا أو حسابه يوم يقوم الناس لرب العالمين، وتجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمدا بعيدا، وربنا يقول: **﴿ويحذركم الله نفسه﴾** سورة آل عمران: آية ٣٠. إنها صفة أنبياء الله ورسله فهم فى الذروة العليا من مكارم الأخلاق، فهى من صفاتهم الواجبة لهم التى تميزهم عن غيرهم فقد شوهدت مخايل الأمانة على موسى حين سقى لابنتى الرجل الصالح وكان معهما عفيفا شريفا وذلك قبل أن يبعث بالرسالة. قال تعالى: **﴿فسقى لهما ثم تولى إلى الظل فقال رب إنى لما أنزلت إلى من خير فقير فجاءته إحداهما تمشى على استحياء قالت إن أبى يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا فلما جاءه وقص عليه القصص قال لا تخف نجوت من القوم الظالمين قالت إحداهما ياأبت استأجره إن خير من استأجرت القوى الأمين﴾** سورة القصص: الآيات ٢٤ ـ ٢٦.

وسيدنا يوسف كان أمينا فى بيت العزيز فحينما تعرض لموقف من مواقف الفتنة وتعرضت له امرأة العزيز رد قائلا: **﴿معاذ الله إنه ربى أحسن مثواى إنه لا يفلح الظالمون﴾** سورة يوسف: آية ٢٣، وكان الباعث على ذلك حياؤه أن يخون من أحسن إليه، وكان رسول الله ﷺ يلقب قبل بعثته بالصادق الأمين، وكان هذا لقبه حتى من أعداء دعوته الذين اتهموه بالسحر والكهانة إلا أنهم كانوا يقدرون فيه صدقه وأمانته. ولا غرو فى ذلك فقد مدحه ربه بقوله **﴿وإنك لعلى خلق عظيم﴾** سورة القلم: آية ٤.

والعرب بفطرتهم كانوا يكرهون أشد الكراهية صفة الخيانة ويعدونها منقصة للإنسان. وهذا لبيد بن ربيعة أحد المخضرمين الذين عاشوا الجاهلية والإسلام لما أحس بدنو أجله لم يختر إلا بيتا من الشعر جامعا لأشرف ضروب الوفاء وصف نفسه به فقال بعد أن أعلن أنه سيموت كغيره وأوصى ابنتيه إن مات ألا يخمشا وجها ولا يحلقا شعرا قال يوصيهما:

**وقولا هو المرء الذى لا خليقة**
**أضاع ولا خان الصديق ولا غدر**

والأمانة ليست فى الودائع بحفظها وردها لأصحابها بل هى أعم وأشمل. فهى على السر بالكتمان، وعلى المال بالحفظ، وعلى العرض بالصيانة. بل من الإنسان على نفسه وعلى كل عمل يليه، وقد سمى الله التكاليف والشرائع أمانة حين قال: **﴿إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان﴾** سورة الأحزاب: آية ٧٢.

إن الأمانة فى نظر الإسلام تشمل جوانب حياتنا كلها، وتلازمنا فى علاقتنا بأنفسنا، وعلاقتنا بخالقنا وعلاقتنا بأسرتنا وبالمجتمع الذى نعيش فيه ومناطها جميعا شعور المرء بتبعته فى كل أمر وكل إليه، وأنه مسئول عنه أمام ربه حسبما ورد فى قوله ﷺ: **«كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته فالإمام راع ومسئول عن رعيته والرجل راع فى أهله وهو مسئول عن رعيته والمرأة فى بيت زوجها راعية وهى مسئولة عن رعيتها والخادم فى مال سيده راع وهو مسئول عن رعيته»** هذا جانب من أبرز آثار الصدق والأمانة فى حياة المسلم وهما من أهم أسس الحياء للداعية والدعاة الذين يتحملون عبء الدعوة عليهم التحلى بهما فهم الأسوة بحالهم ومقالهم.

## أنواع الحياء

جاء فى كتاب «أدب الدنيا والدين» «واعلم أن أنواع الحياء فى الإنسان يكون من ثلاثة أوجه: حياؤه من الله تعالى ويكون بامتثال أوامره والكف عن زواجره وإلى ذلك قد أشار الحديث السابق «استحيوا من الله حق الحياء.. الخ» وقد روى أن علقمة بن علانة قال يارسول الله عظنى. قال: قال ﷺ: **«استحيى من الله استحياءك من ذوى الهيئة من قومك»** وأما حياؤه من الناس فقد ورد فى الأثر **«من اتقى الله اتقى الناس»** وروى أن حذيفة بن اليمان أتى الجمعة فوجد الناس قد انصرفوا فتنكب الطريق عن الناس وقال: «لا خير فيمن لا يستحيى من الناس» وهذا النوع من الحياء قد يكون من كمال المروءة وحب الثناء، ولذلك ورد فى الحديث: **«من ألقى جلباب الحياء فلا غيبة له»** يعنى لقلة مروءته وظهور شهوته، وروى الحسن عن أبى هريرة قال قال ﷺ **«إن مروءة الرجل ممشاه ومدخله ومخرجه ومجلسه وإلفه وجليسه»** وهذا النوع من الحياء قد يكون من فضيلة النفس وحسن السريرة فمتى كمل حياء الإنسان من وجوهه الثلاثة فقد كملت فيه أسباب الخير وانتفت عنه أسباب الشر وصار بالفضل مشهورا وبالجميل مذكورا. وقال بعض الشعراء:

وإنى ليثنينى عن الجهل والخنا
وعن شتم ذى القربى خلائق أربع
حياء وإسلام وتقوى وطاعة
لربى ومثلى من يضر وينفع

هذا ولا غيبة فى فاسق ينتهك حرمات الله مجاهرا بها حتى يثير فى أنفسنا الحياء من ذكره بما فيه - كما أنه لا حياء فى السؤال عن أمور الدين التى يجهلها المسلم أو المسلمة.

## خاتمة

وإذا كان الحياء خلق الإسلام فإنه جدير بنا أن نتحلى به وأن نتخذ منه الزاد الذى نتقى به

أعاصير الفتن التى تكاد تقصف بكل القيم والمبادئ الرفيعة الفاضلة، وأن يكون شعارنا والحافز على رفع لواء الحق، وأن نتسامى به عن السير فى ركب الباطل، وأن نتخذ منه السياج الذى يحفظ على المسلم نور الإيمان ويلبسه ثوب التقى والعفاف ويكون به بين الناس موئل خير ومصدر بر وتقى، ومنار هدى تتميز به ملامح شخصيته وتكسبه فى المجتمع التقدير والاحترام.

## تذييل

إن الذين يتنكرون لدينهم وما يدعو إليه من مكرمات. وتقاليدهم وما تحتم عليهم من التزامات إنما هم جماعة أشربوا فى قلوبهم التقليد لغيرهم بما يحسون فى أنفسهم من الضعف والنقص شأنهم فى ذلك شأن الطفل حين يشعر بالنقص أمام الكبار فينسى نفسه محاولا محاكاتهم، إن الشخصية الإسلامية لها سماتها وهى تعيش فى إطار معين من الفضائل، وتحيا على هدى قويم رشيد يمكن لها فى دنيا الناس ويحفظ عليها كرامتها ويعلى فى الأرض ذكرها. وما تلك السمات وهذه الفضائل إلا آداب هذا الدين الذى استطاع به محمد ﷺ أن يصنع من الأعرابى الغليظ القلب الحاد الطبع الإنسان الرحيم ذا الخلق الكريم الذى ملأ الدنيا بسلوكه خيرا وأفاء على الناس من حيائه معروفا وبرا.

إن هذه الشخصية الإسلامية قد استطاعت فى خضم هذه الحياة أن تحمل الدنيا على الاعتراف بها. كما عنت الوجوه لقوتها وسلطانها وتعلق القاصى والدانى بها يقلدها ويخطو فى ركابها.

فالإسلام ينعى على أولئك الذين يهملون أنفسهم لتذوب فى غيرهم ممن لم يرتبطوا بأرضهم ولم ينتموا إلى أوطانهم ولم يؤمنوا بمبادئهم ولا بمعتقداتهم جاحدين فضل الله عليهم وقد وهبهم أعينا يبصرون بها وقلوبا يعقلون بها وعقولا يفكرون عن طريقها ونورا يهديهم سواء السبيل، إنهم بذلك ينخرطون من حيث لا يشعرون فى سلك أولئك الذين يقلدون، ولو ترى إذ يقفون بين يدى الله يتحاجون كما قال تعالى: **﴿وبرزوا لله جميعا فقال الضعفاء للذين استكبروا إنا كنا لكم تبعا فهل أنتم مغنون عنا من عذاب الله من شىء قالوا لو هدانا الله لهديناكم سواء علينا أجزعنا أم صبرنا ما لنا من محيص﴾** سورة إبراهيم: آية ٢١.

إن الحياء فضيلة تبعث فى النفس كل معانى الخير، ويضفى على الفؤاد نورا يمشى به صاحبه فى الناس فلا يسقط فى عثرة ولا يقع فى زلة ولا ينحرف عن الطريق السوى إيمانا منه بأن عين الله عنه لا تغيب وأنه منه قريب وهو الحريص على أن يتأسى بخير خلق الله فى الاعتصام بجميع مقومات الشخصية المسلمة وفى مقدمتها خلق الإسلام الحياء.

إننا بالإيمان وبالإسلام لنا شخصيتنا المميزة ومقوماتها الحية القوية وتقاليدنا العريقة الطاهرة، ومن الحياء ألا نتخلى عن هذه الأمجاد حتى نعرف فى الوجود مكاننا وتعرف الدنيا لنا حقنا. نسأل الله التوفيق لما يحبه ويرضاه.

### الهوامش


١ ـ تفسير ابن كثير.

٢ ـ فتح البارى شرح صحيح البخارى.

٣ ـ شرح النووى على صحيح مسلم.

٤ ـ أدب الدنيا والدين.

٥ ـ الفتوحات الوهبية شرح الأربعين النووية..

٦ ـ من أقوال الدعاة إلى الله.

٧ ـ المعجم المفهرس.

٨ ـ المصباح.

# سنن الإمام أبو داود السجستانى

ظهر
فى القرن الثالث الهجرى أربعة من كتب الحديث النبوى لم تصل إلى ما وصل إليه الصحيحان فى دقة الانتقاء ولم يسمُ مؤلفوها فى شروط الرجال بالدرجة التى سما بها البخارى ومسلم ولكن هذه الكتب رغم ذلك احتلت درجة عالية من الصحة وحازت مكانة مرموقة جعلتها تضارع الصحيحين أو تقاربهما حتى أصبحت تضم إليهما فى اصطلاح بعض المحدثين وسميت جميعها كتب الصحاح الستة ومن هذه الكتب كتاب السنن للإمام أبى داود السجستانى.

أ.د. أحمد عمر هاشم

## نسبه ونشأته:

هو الإمام أبو داود سليمان بن الأشعث بن اسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو بن عمران الأزدى السجستانى(١) والأزدى نسبة إلى الأزد أبى قبيلة باليمن والسجستانى نسبة إلى سجستان وينسب إليها سجزى أيضا على غير قياس، وهى مدينة بخراسان(٢).

وقد ولد الإمام أبو داود سنة اثنتين ومائتين(٣)، ونشأ مفطورا على محبة العلم وملازمة أهله، فنهض يتعلم منهم وينهل من مواردهم كما أخذ نفسه بالورع والعبادة حتى كان فى الدرجة العالية من النسك والصلاح(٤) وحظى تاريخ هذا الإمام بالثناء العاطر من العلماء والتقدير الكامل لما كان عليه من الورع والتقوى والحفظ التام والفهم الثاقب فى الحديث وغيره، يقول الحافظ أحمد بن محمد بن ياسين الهروى: كان أبو داود أحد حفاظ الإسلام لحديث رسول الله ﷺ وعلمه وعلله. وقال موسى بن هارون خلق أبو داود فى الدنيا للحديث وفى الآخرة للجنة(٥) وذلك لجمعه بين العلم والعمل وبين الإنفاق والورع، وبهذه النشأة الطاهرة المبرورة كان أبو داود موضع حب العلماء وتقديرهم، يرحلون إليه ويتيمنون به، جاء سهل بن عبدالله التسترى فقيل له: ياأبا داود هذا سهل بن عبدالله قد جاءك زائراً، فرحب به وأجلسه فقال له: ياأبا داود لى إليك حاجة، قال وماهى؟ قال: حتى تقول قضيتها مع الإمكان، قال: قضيتها مع الإمكان، قال: أخرج لسانك الذى حدثت به عن رسول الله ﷺ حتى أقبله.

قال: فأخرج لسانه فقبله(٦) وإنها لمحبة متلهفة وشوق متواصل وعاطفة جياشة وإكبار مع معاصريه لما قام به من خدمة للسنة النبوية، فلقد كان هذا الإمام بحق قمة من قمم الحديث والفقه، ذا جلالة وحرمة، وصلاح وورع(٧)، وقال علان بن عبدالصمد: كان أبو داود من فرسان هذا الشأن، وقال أبو حاتم بن حبان: أبو داود أحد أئمة الدنيا فقها وعلما وحفظا ونسكا وإتقانا، جمع وصنف وذب عن السنن. وهكذا تطلعنا شهادات العلماء على ما كان عليه هذا الإمام من علم وعمل، كما تلقى أضواء كاشفة على جوانب العظمة فى نشأته من حفظ وإتقان وورع ونسك.

## حياته العلمية

عاش أبو داود حياة خصبة، لازم فيها مجالس العلم فى بلده، وشمر عن ساعد الجد فى تدوين الكثير، ولكن نفسه التواقة للعلم المحبة للمعرفة تجعله يشد رحاله فى سبيل العلم، فطوف بكثير من البلاد، وأخذ عن علماء الحجاز والشام ومصر والعراق والجزيرة وخراسان، وقد مكنته رحلاته العلمية من لقاء كثير من شيوخ الأمصار التى كانت تموج بالعلم والعلماء، قال الحاكم أبو عبدالله كان أبو داود **إمام أهل الحديث فى عصره بلا مدافعة** سُمِعَ بمصر والحجاز والشام وخراسان والعراق. وكتب بخراسان قبل خروجه إلى العراق، وكتب ببغداد عن قتيبة وبالرى عن إبراهيم بن موسى إلا أن أعلى اسناده موسى بن اسماعيل والقعنبى ومسلم بن إبراهيم(٨). وبهذه الرحلات تمكن أبو داود من تدوين كثير من الأحاديث التى أودع خلاصتها فى كتابه العظيم «السنن». وقدم بغداد غير مرة وكانت آخر زياراته لها سنة اثنتين وسبعين ومائتين ثم دعاه بعد ذلك الخليفة الموفق أن ينزل بالبصرة ويتخذها له مقاما عسى أن يبعث فيها هو وتلاميذه الحياة والنشاط بعد أن ضعفت وركدت ريحها من أثر فتنة الزنج فنزل بها وتوفى فيها يوم ١٦ شوال سنة ٢٧٥هـ(٩) وقيل مات بالبصرة سنة خمس وسبعين ومائتين لأربع عشرة بقيت من شوال.

## شيوخه وتلاميذه:

أما شيوخ أبى داود الذين روى عنهم ونهل من منبعهم فهم كثيرون منهم من شارك البخارى ومسلما فيهما كأحمد بن حنبل وعثمان بن أبى شيبة وقتيبة بن سعيد، ومنهم كذلك عبدالله بن مسلمة القعنبى وموسى بن اسماعيل ومسلم بن ابراهيم وأبو الوليد الطيالسى وأحمد بن يونس وقتيبة بن سعيد وعثمان بن أبى شيبة واسحاق بن راهويه وأحمد بن أبى شعيب ويزيد بن عبدربه وغيرهم(١٠) وقد عده الشيخ أبو اسحاق الشيرازى فى طبقات الفقهاء من جملة أصحاب الإمام أحمد، وكذلك ذكره فى طبقات الحنابلة القاضى أبو الحسين محمد بن القاضى أبى يعلى المتوفى سنة ٥٢٦هـ ولعل ذلك راجع إلى أن الإمام أحمد كان من شيوخ أبى داود وقيل أنه كان شافعيا(١١).

وأرى أنه كان من المحدثين المجتهدين، ومما يشهد باجتهاده عمله الجليل فى كتابه السنن. وأما تلاميذه: فكثيرون منهم الترمذى والنسائى وأبو عوانة وابنه أبو بكر بن أبى داود وأبو على اللؤلؤى وأبو بكر بن داسه وهما اللذان يرويان عنهم كتاب السنن(١٢) وبحسبه فضلا أن روى عنه شيخه الإمام أحمد بن حنبل حديثا وهو ما رواه أبو داود من حديث حماد ابن سلمة عن أبى معشر الدارمى عن أبيه أن رسول الله ﷺ سئل عن العتيرة

فحسنها(١٣) وقال عنه محمد بن مخلد كان أبو داود يفى بمذاكرة مائة ألف حديث ولما صنف السنن وقرأه على الناس صار كتابه لأهل الحديث وأقر له أهل زمانه بالحفظ أ. هـ(١٤) وفى هذا مايدل على قوة حفظه واتقانه وثقة معاصريه فيما يرويه، وما يشهد له بالقدرة العلمية الفائقة.

### مؤلفاته:

ولأبى داود مؤلفات كثيرة تدل على غزارة علمه وعلى دقة بحثه ألفها فى مجالات مختلفة منها كتاب السنن، وكتاب المراسيل، وكتاب القدر، وكتاب دلائل النبوة، وكتاب ابتداء الوحى، وكتاب فضائل الأعمال، وكتاب الزهد، وكتاب الدعاء، وكتاب المسائل، وأعظم هذه المصنفات هو كتاب السنن الذى قال فيه الخطابى إن كتاب السنن لأبى داود كتاب شريف لم يصنف فى حكم الدين كتاب مثله، وقد رزق القبول من الناس كافة فصار حكما بين فرق العلماء وطبقات الفقهاء على اختلاف مذاهبهم وعليه معول أهل العراق ومصر والمغرب وكثير من أقطار الأرض(١٥).

وقد اتسمت حياة أبى داود العلمية بالعزة، والنظرة إلى مساواة الناس أمام العلم لا تمييز بينهم ولا طبقية فيهم قال أبو سليمان حدثنى عبدالله بن محمد السبكى قال: حدثنى أبو بكر بن جابر خادم أبى داود قال: (كنت معه فى بغداد فصلينا المغرب إذ قرع الباب ففتحته فإذا خادم يقول هذا الأمير أبو أحمد الموفق يستأذن فدخلت إلى أبى داود فأخبرته بمكانه فأذن له فدخل وقعد، ثم أقبل عليه أبو داود وقال: ما جاء بالأمير فى مثل هذا الوقت؟ قال: خلال ثلاث قال: وماهى؟ قال: الأرض قال هذه واحدة، هات الثانية قال: تروى لأولادى كتاب السنن قال: نعم، هات الثالثة. فقال: تفرد لهم للرواية. فإن أولاد الخلفاء لا يقعدون مع العامة فقال: أما هذه فلا سبيل إليها فإن الناس شريفهم ووضيعهم فى العلم سواء. قال ابن جابر: فكانوا يحضرون بعد ذلك ويقعدون ويضرب بينهم وبين الناس ستر فيسمعون مع العامة) «أ. هـ»(١٦) وفى هذا مايدل على اعتزازه بكرامة العلم والعلماء التى لايفرق فيها بين الناس فى طلب العلم وبعد هذه الجولة الطيبة فى حياة أبى داود الناضرة الخصبة نلتقى مع أهم مصنفاته فى الحديث ألا وهو كتاب (السنن).

## سنن أبى داود

### التعريف بالكتاب:

كانت الكتب المصنفة فى الحديث قبل سنن أبى داود يدون فيها أصحابها الأحاديث فى شتى الموضوعات من أحكام وآداب وفضائل ومواعظ وقصص إلى أن جاء أبو داود فصنف كتابه السنن وسار فيه على طريق التخصص فحدد جانبا من جوانب السنة المطهرة وهو الجانب الفقهى. فجمع فيه السنن والأحكام وانتقاه من خمسمائة ألف حديث وبلغت أحاديثه أربعة آلاف وثمانمائة حديث كلها فى الأحكام حتى جاء الكتاب حافلا بأبواب الفقه وبالأحاديث التى يحتاج إليها الفقهاء فى استدلالهم حتى قيل: «إنها تكفى المجتهد بعد كتاب الله تعالى».

وسمى مصنفه: (السنن)، لأنه جمع أحاديثه من وجهة نظر فقهية فلم يضمنه غير أحاديث الفقه والتشريع مما ورد فى الأخلاق والكلام والزهد ونحو ذلك(١٧) ولما انتهى أبو داود من تصنيف كتابه عرضه على الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه فاستجازه واستحسنه، وقال إبراهيم الحربى: لما

صنف أبو داود كتاب السنن ألين لأبى داود الحديث كما ألين لداود الحديث، وقال أبو داود: كتبت عن رسول الله ﷺ خمسمائة ألف حديث انتخبت منها ما ضمنته هذا الكتاب يعنى السنن، جمعت فيه أربعة آلاف وثمانمائة حديث ذكرت الصحيح وما يشبهه وما يقاربه(١٨).

ويقول الإمام أبو سليمان الخطابى: (اعلموا رحمكم الله تعالى أن كتاب السنن لأبى داود كتاب شريف لم يصنف فى علم الدين كتاب مثله وقد رزق القبول من كافة الناس فصار حكما بين فرق العلماء وطبقات الفقهاء على اختلاف مذاهبهم فلكل منه ورد ومنه شرب وعليه معول أهل العراق وأهل مصر وبلاد المغرب وكثير من الأقطار فأما أهل خراسان فقد أولع أكثرهم بكتاب محمد بن اسماعيل ومسلم بن الحجاج ومن نحا نحوهما فى جمع الصحيح على شرطهما فى السبك والانتقاء إلا أن كتاب أبى داود أحسن وضعا وأكثر فقها وكتاب أبى عيسى كتاب حسن والله يغفر لجماعتهم ويحسن على جميل النية. ومن أقوال العلماء السابقة يتضح فضل الإمام أبى داود ومنزلة مصنفه النفيس الذى بلغ درجة عظيمة فى صنعة الحديث ذلل بها الصعب ويسر العسير وقرب البعيد.

وقد سبق بيان عدد ما فى كتاب السنن من الأحاديث وأنها أربعة آلاف وثمانمائة حديث وقد قسم أبو داود كتابه إلى كتب والكتب إلى أبواب وقد عد بعض العلماء أحاديث السنن فبلغت خمسة آلاف ومائتين وأربعة وسبعين حديثا. وهذا الاختلاف راجع لأمرين الأول: أن بعض النسخ المحققة اختلفت بالزيادة والنقصان والتقديم والتأخير فى بعض الأحاديث. الثانى: أن النسخة التى زاد تعداد الأحاديث فيها اعتبر محققها الأحاديث المكررة أحاديث مستقلة وعد جمع المتون حتى ولو كانت بلفظ واحد أو متقارب مادامت الأسانيد مختلفة وعلى ذلك فيمكن التوفيق بين رأى الإمام أبى داود فى عدد الأحاديث وبين رأى بعض المحققين وذلك بأن أبا داود أراد بما ذكره الأحاديث الأصلية دون المكرر.

**ومن أشهر رواة كتاب السنن لأبى داود :**

١ ـ أبو بكر محمد بن بكر بن محمد عبدالرازق التمار المصرى المعروف بابن داسة المتوفى سنة ٣٤٦هـ وروايته هى أكمل الروايات وهى الرائجة بالمغرب.

٢ ـ أبو عيسى اسحاق بن موسى بن سعيد الرملى وراق أبى داود وروايته تقارب رواية ابن داسة.

٣ ـ أبو على محمد بن أحمد بن عمرو اللؤلؤى البصرى وهى من أصح الروايات لأنها من آخر ما أملى أبو داود وعليها مات، كان ذلك فى المحرم سنة ٢٧٥هـ وهى مشهورة فى المشرق.

٤ ـ أبو سعيد أحمد بن محمد بن زياد بن بشر المعروف بابن الأعرابى المتوفى سنة ٣٤٠هـ وفيها بعض أبواب ساقطة ونقص كبير. وقد عنى العلماء بكتاب السنن فقام كثير منهم بشرحها واتجهت عناية البعض إلى اختصارها وتهذيبها وهذه العناية وإن لم تبلغ درجة الصحيحين إلا أنها تدل على جهود مشكورة لعلماء السنة تجاه هذا المصنف الجليل ومن أهم هذه الشروح:

١ ـ معالم السنن لأبى سليمان أحمد ـ وقيل حمد ـ بن محمد بن ابراهيم الخطابى المتوفى فى سنة ٣٨٨ هـ اهتم فيه بتحقيق الروايات واللغات وتفسير المعانى الغامضة واستنباط الأحكام

الفقهية وهو مطبوع بمصر وغيرها.

٢ ـ شرح الشيخ سراج الدين عمر بن على بن الملقن الشافعى المتوفى سنة ٨٠٤هـ. شرح زوائده علي الصحيحين فى مجلدين.

٣ ـ شرح الشيخ قطب الدين أبى بكر اليمنى الشافعى المتوفى سنة ٦٥٢هـ فى أربعة مجلدات كبار.

٤ ـ شرح الشيخ ولى الدين أحمد بن عبدالرحيم العراقى المتوفى سنة ٨٢٦هـ ولكنه لم يكمله وتوسع فى الشرح والتحليل من أوله إلى سجود السهو.

٤ ـ شرح العلامة بدر الدين محمود بن أحمد العينى الحنفى المتوفى سنة ٨٥٥هـ ولم يكمل.

٦ ـ مرقاة الصعود إلى سنن أبى داود شرح الحافظ جلال الدين السيوطى المتوفى سنة ٩١١هـ.

٧ ـ فتح الودود شرح سنن أبى داود لأبى الحسن محمد بن عبدالحميد السندى المتوفى سنة ١١٣٨هـ.

٨ ـ عون المعبود على سنن أبى داود للشيخ عبدالرحمن شرف الحق بن محمد أشرف بن أمير ابن على حيدر المتوفى فى القرن الرابع عشر الهجرى وطبع شرحه فى الهند فى أربعة أجزاء.

٩ ـ عناية المقصود فى حل سنن أبى داود لأبى الطيب محمد شمس الحق العظيم أبادى ولد سنة ١٢٧٣هـ **وشرحه: شرح جامع وافى.**

١٠ ـ المنهل العذب المورود شرح سنن الإمام أبى داود للشيخ محمود بن محمد خطاب السبكى عنى فيه بتراجم رجال الحديث وشرح الألفاظ وتوضيح المعانى واستنباط الأحكام الفقهية وذكر من أخرج الحديث وبيان درجة الحديث من الصحة وقد وافاه الأجل فى الرابع عشر من ربيع الأول ١٣٥٢هـ قبل إتمام هذا الشرح. وغير ذلك كثير من الشروح، وممن قام باختصاره الحافظ عبدالعظيم ابن عبدالقوى المنذرى المتوفى سنة ٦٥٦هـ فى كتاب سماه المجتبى من سنن أبى داود وكان المنذرى دقيقا فى مختصره إذ كان يذكر عقب كل حديث من اتفق مع أبى داود على تخريج الحديث من الأئمة الخمسة كما وضح علل بعض الأحاديث وألف السيوطى على هذا المختصر كتابا سماه (زهر الربا على المجتبى) وله عليه حاشية أيضا وهذبه محمد بن أبى بكر المعروف بابن قيم الجوزية الحنبلى المتوفى سنة ٧٥١هـ وزاد فى الكلام عن بعض العلل التى سكت عنها المنذرى أو لم يكملها وتصحيح بعض الأحاديث التى لم يضمها وبسط العديد فى كثير من الجوانب الهامة(١٩).

## رسالة أبى داود فى وصف سننه

واذكر هنا رسالة الإمام أبى داود فى وصف سننه وهى الرسالة التى كتبها إلى أهل مكة وغيرها جوابا لهم، وقد تضمنت هذه الرسالة منهجه فى السنن وشرطه وهذا نصها:

«سلام عليكم فإنى أحمد إليكم الله الذى لا إله إلا هو وأسأله أن يصلى على محمد عبده ورسوله ﷺ كلما ذكر».

أما بعد، عافانا الله وإياكم عافية لا مكروه معها ولا عقاب بعدها فإنكم سألتم أن أذكر الأحاديث التى فى كتاب السنن أهى أصح ما عرفت فى الباب ووقفت على جميع ما ذكرتم فاعلموا أنه كذلك كله، إلا أن يكون قد روى من وجهين صحيحين فأحدهما أقدم إسنادا، والآخر صاحبه قدم فى الحفظ فربما كتبت ذلك (أى الأقوم فى الإسناد لعلو سنده) ولا أرى فى كتابى

من هذا عشرة أحاديث ولم أكتب فى الباب إلا حديثا أو حديثين وإن كان فى الباب أحاديث صحاح لأنه يكثر وإنما أردت قرب منفعته، وإذا أعدت الحديث فى الباب من وجهين وثلاثة فإنما هو من زيادة كلام فيه، وربما فيه كلمة زيادة على الأحاديث وربما اختصرت الحديث الطويل لأنى لو كتبته بطوله لم يعلم بعض من سمعه ولا يفهم موضع الفقه منه فاختصرته لذلك.

وأما المرسل فقد كان يحتج به العلماء فيما مضى مثل سفيان الثورى، ومالك بن أنس والأوزاعى، حتى جاء الشافعى فتكلم فيه وتابعه على ذلك أحمد بن حنبل وغيره رضوان الله عليهم، فإذا لم يكن مسند ضد المرسل ولم يوجد مسند فالمرسل يحتج به وليس هو مثل المتصل فى القوة.

وليس فى كتاب السنن الذى صنفته عن رجل متروك الحديث شىء، وإذا كان فيه حديث منكر بينت أنه منكر، وليس على نحوه فى الباب غيره.

وهذه الأحاديث ليس منها فى كتاب ابن المبارك ولا كتاب وكيع إلا الشىء اليسير، وعامته فى كتاب هؤلاء مراسيل، وفى كتاب السنن من موطأ مالك ابن أنس شىء صالح، وكذلك من مصنفات حماد ابن سلمة وعبدالرزاق، وليس ثلث هذه الكتب فيما أحسبه فى كتب جميعهم أعنى مصنفات مالك بن أنس وحماد بن سلمة وعبدالرزاق وقد ألفته نسقا على ما وقع عندى، فإن ذكر لك عن النبى ﷺ سنة ليس مما خرجته فاعلم أنه حديث واه إلا أن يكون فى كتابى من طريق آخر فإنى لم أخرج الطرق لأنه يكثر على المتعلم.

ولا أعرف أحدا جمع على الاستقصاء غيرى، وكان الحسن بن على الخلال قد جمع منه قدر تسعمائة حديث، وذكر أن ابن المبارك قال: السنن عن النبى ﷺ نحو تسعمائة حديث فقيل له: إن أبا يوسف قال: هى ألف ومائة قال ابن المبارك: أبو يوسف يأخذ بتلك الهنات من هنا وهنا نحو الأحاديث الضعيفة وما كان فى كتابى من حديث فيه وهن شديد فقد بينته، وفيه مالا يصح سنده، ومالم أذكر فيه شيئا فهو صالح، وبعضها أصح من بعض. وهذا لو وضعه غيرى لقلت أنا فيه أكثر، وهو كتاب لا يرد عليك سنة عن النبى ﷺ بإسناد صالح إلا وهى فيه إلا أن يكون كلاما استخرج من الحديث ولا يكاد يكون هذا، ولا أعلم شيئا بعد القرآن ألزم للناس أن يتعلموا من هذا الكتاب. ولا يضر رجلا أن لا يكتب شيئا من العلم بعدما يكتب هذه الكتب. وإذا نظر فيه وتدبره وتفهمه حينئذ بعلم مقداره

وأما هذه المسائل مسائل الثورى ومالك والشافعى فهذه الأحاديث أصولها ويعجبنى أن يكتب الرجل مع هذه الكتب من رأى أصحاب النبى ﷺ ويكتب أيضا مثل جامع سفيان الثورى فإنه أحسن ما وضع الناس فى الجوامع.

والأحاديث التى وضعتها فى كتاب السنن أكثرها مشاهير، وهى عند كل من كتب شيئا من الحديث إلا أن تمييزها لا يقدر عليه كل الناس والفخر بها أنها مشاهير فإنه لا يحتج بحديث غريب ولو كان من رواية مالك ويحيى بن سعيد والثقات من أئمة العلم، ولو احتج رجل بحديث غريب وجدت من يطعن فيه ولا يحتج بالحديث الذى قد احتج به إذ كان الحديث غريبا شاذا، فأما الحديث المشهور المتصل الصحيح فليس يقدر أن يرده عليك أحد، وقال إبراهيم النخعى: كانوا يكرهون الغريب من الحديث. وقال يزيد بن أبى حبيب: إذا سمعت الحديث فانشده كما تنشد الضالة فإن عرف وإلا فدعه.

وإن من الأحاديث فى كتابى السنن ما ليس بمتصل وهو مرسل ومدلس وهو إذا لم توجد الصحاح عند عامة أهل الحديث على معنى أنه متصل وهو مثل الحسن عن جابر، والحسن عن أبى هريرة والحكم عن مقسم عن ابن عباس وليس بمتصل، وسماع الحكم من مقسم عن ابن عباس وليس بمتصل، وسماع الحكم من مقسم أربعة أحاديث.

وأما أبو اسحاق عن الحارث عن على فلم يسمع أبو اسحاق عن الحارث إلا أربعة.. حكيت ليس فيها سند واحد. وأما ما كان فى كتاب السنن من هذا النحو فقليل ولعله ليس للحارث الأعور فى كتاب السنن إلا حديث واحد فإنما كتبته بآخره وربما كان فى حديث ما تثبت صحة الحديث منه إذا كان يخفى ذلك على فربما تركت الحديث إذ لم أفقهه. وربما كتبته وبينته، وربما لم أقف عليه، وربما أتوقف عن مثل هذه لأنه ضرر على العامة أن يكشف لهم كل ما كان من هذا الباب فيما مضى من عيوب الحديث لأن علم العامة يقصر عن مثل هذا.

وعدد كتب هذه السنن ثمانية عشر جزءا مع المراسيل منها جزء واحد مراسيل وما روى عن النبى ﷺ من المراسيل منها مالا يصح ومنها ماهو مسند عن غيره وهو متصل صحيح ولعل عدد الذى فى كتبى من الأحاديث قدر أربعة آلاف وثمانمائة، ونحو ستمائة حديث من المراسيل فمن أحب أن يميز هذه الأحاديث مع الألفاظ فربما يجئ حديث من طريق وهو عند العامة من طريق الأئمة الذين هم مشهورون غير إنه ربما قلب اللفظة التى يكون لها معان كثيرة وممن عرفت نقل فى جميع هذه الكتب فربما يجئ الاسناد فيعلم من حديث غيره أنه غير متصل، ولا يتبينه السامع إلا بأن يعلم الأحاديث ويكون له فيه معرفة فيقف عليه مثل ما يروى عن ابن جريج، قال أخبرت عن الزهرى ويرويه البرسانى عن ابن جريج عن الزهرى فالذى يسمع يظن أنه متصل ولا يصح عنه فإنما تركناه لذلك، لأن أصل الحديث غير متصل ولا يصح ولم أصنف فى كتاب السنن إلا الأحكام ولم أصنف كتب الزهرى وفضائل الأعمال وغيرها فهذه الأربعة آلاف والثمانمائة كلها فى الأحكام.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته. وصلى الله على سيدنا محمد النبى وآله وسلم تسليما وحسبنا الله ونعم الوكيل«أ.هـ»(٢٠)

**الهوامش:**

١ - تهذيب الأسماء واللغات للنووي جـ٢ ص٢٢٤، وفيات الاعيان جـ١ ص٢٦٨.
٢ - الرسالة المستطرفة للكتانى ص١١.
٣ - تاريخ بغداد جـ٢ ص٥٦.
٤ - وفيات الأعيان جـ ص٢٦٨.
٥ - تهذيب الأسماء واللغات للنووي جـ٢ ص٢٢٦.
٦ - تهذيب التهذيب جـ٤ ص١٧٢، وفيات الأعيان جـ١ ص٢٦٨.
٧ - مرآة الجنان لليافعي جـ٢ ص١٩٠.
٨ - تهذيب الأسماء واللغات للنووي جـ٢ ص٢٢٦.
٩ - تاريخ الأدب العربي: كارل بروكلمان ترجمة الدكتور عبدالحليم النجار جـ٣ ص١٨٦.
١٠ - تاريخ بغداد جـ٢ ص٥٩، وفيات الأعيان جـ١ ص٢٦٨.
١١ - طبقات الشافعية الكبري جـ٢ ص٢٩٤.
١٢ - تهذيب الأسماء واللغات جـ٢ ص٢٢٤.
١٣ - طبقات الشافعية الكبرى جـ٢ ص٢٩٤.
١٤ - تهذيب التهذيب جـ٤ ص١٧٢.
١٥ - تهذيب الأسماء واللغات جـ٢ ص٢٢٦.
١٦ - مقدمة تحفة الأحوذى جـ١ ص١٢٩.
١٧ - تاريخ الأدب العربى ترجمة الدكتور عبدالحليم النجار ص١٨٦.
١٨ - وفيات الأعيان لابن خلكان جـ١ ص٢٦٨، طبقات الشافعية جـ٢ ص١٩٥.
١٩ - كشف الظنون جـ٢ ص١٠٠٥، تاريخ الأدب العربى. أعلام المحدثين للدكتور محمد أبو شهبة، الحديث والمحدثون.
٢٠ - رسالة الإمام أبى داود السجستانى فى وصف تأليفه لكتاب السنن رواية أبى الحسين بن جميع عن محمد بن عبدالعزيز الهاشمى عنه بتقديم وتعليق الأستاذ محمد زاهد الكوثرى طبع مطبعة الأنوار بالقاهرة.

# فلنولّينّك قبلة ترضاها

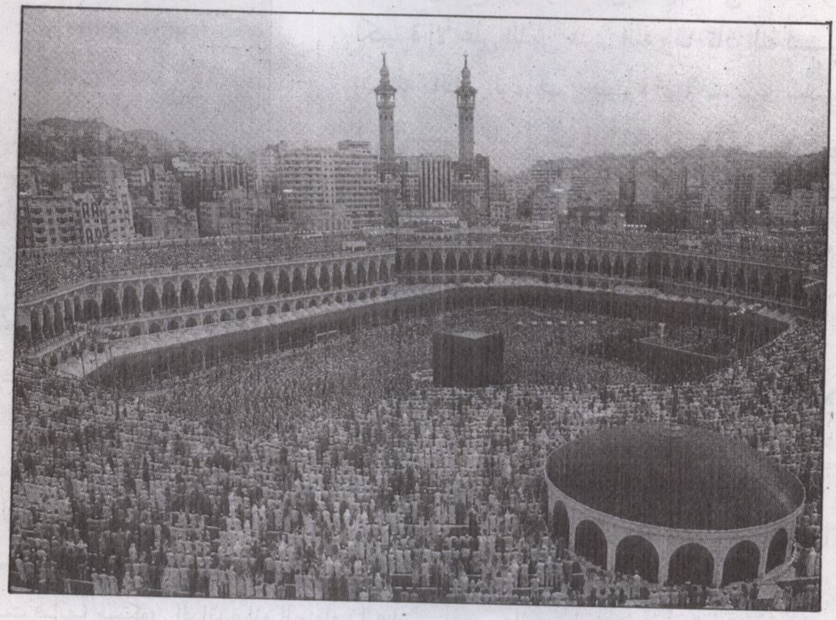

- ليلة النصف من شعبان
- القبلة وأحكامها الفقهية

# ليلة النصف من شعبان

قال تعالى: ﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلاَّهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُل لِّلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (١٤٢) وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا إِلاَّ لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلاَّ عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ (١٤٣) قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ (١٤٤)﴾ سورة البقرة: الآيات ١٤٢ ـ ١٤٤

د. صبري عبدالرءوف محمد

## موقف أعداء الإسلام من الرسول ﷺ

إن الإسلام يحارب من قديم الزمان لأن العالم كله يعلم أن أمة الإسلام لو اجتمعت وتعاونت وتضامنت فإنها ستكون الرائدة للعالم ولهذا فإن حقد الأعداء يجعلهم لا يتركون فرصة للطعن من خلالها فى الإسلام وتشكيك الآخرين إلا وبذلوا قصارى جهدهم وقاموا بتشكيك الأخرين وهم بزعمهم هذا يظنون أنهم يستطيعون بهذا النيل من الإسلام وتجاهل هؤلاء جميعا حقيقة الإسلام وأنه دين الله الخالد وأن الله عز وجل هو المدافع عنه، لكن الله عز وجل يعطى الفرصة بعد الفرصة لأمة الإسلام لتدافع عن دينه وبشر بالنصر على الأعداء إن التزمت بشريعته أما إن تخاذلت أمة الإسلام عن نصرة الدين فإن الله عز وجل هو الذى سيحمى دينه وينتصر على أعدائه وهو الغالب على أمره.

والرسول ﷺ حينما فرضت عليه الصلاة كان يصلى بالكعبة ناحية بيت المقدس وظل على حاله إلى أن أمره الله عز وجل بالهجرة إلى المدينة المنورة ونظرا لتعلق الرسول ﷺ ببيت المقدس فقد ظل على حاله يتجه فى صلاته ناحية بيت المقدس لأن الأمر قد اختلف. ففى مكة المكرمة يصلى الإنسان إلى الكعبة من جميع الجهات الأربع.

أما فى المدينة المنورة فلن يستطيع أن يتجه إلا إلى جهة واحدة فكانت إلى بيت المقدس لكنه ما كان يعلم أن هذا الأمر ستسعد اليهود وقد أعلنوا

عما فى نفوسهم صراحة وقالوا عجبا لمحمد يخالف ديننا ويتبع قبلتنا.

وفى نفس الوقت لم يسلم الرسول ﷺ من كلام المشركين الذين كانوا يقولون: لماذا ترك قبلة آبائه وأجداده.

## حيرة الرسول ﷺ

لقد ظل الرسول ﷺ ستة عشر شهرا أو سبعة عشر شهرا يصلى إلى بيت المقدس بعد الهجرة لكنه قد ضاق صدره بما يقوله الأعداء وكان ﷺ يحب قبلة أبيه إبراهيم الخليل ولكن ماذا يفعل؟ وكيف يتصرف؟ وهو لا يستطيع أن يتصرف من تلقاء نفسه، وكان - عليه الصلاة والسلام - يقلب بصره فى السماء رجاء أن ينزل عليه سيدنا جبريل بالذى سأل. وكان يستحى أن يسأل ربه لكن لسان حاله هو الذى كان يعبر عما فى نفسه والله عز وجل لا تخفى عليه خافية فى الأرض ولا فى السماء.

## تحقيق الأمنية

إن الرسول الكريم ﷺ ما تمنى من الله عز وجل شيئا إلا وحقق الله له ما كان يتمناه، وذلك لتأكيد قول الله عز وجل: **﴿ولسوف يعطيك ربك فترضى﴾** سورة الضحى: آية ٥. وبينما استغرق رسول الله ﷺ فى التأمل والتدبر والتطلع إلى السماء جاءه الفرج من عند مفرج الكروب ومزيل الهموم مخاطبا حبيبه بقوله: **﴿قد نرى تقلب وجهك فى السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره﴾** سورة البقرة: آية ١٤٤. والمعنى أن الله سبحانه وتعالى قد حقق أمنية سيدنا رسول الله ﷺ وأمره بالاتجاه إلى بيت الله الحرام.

ولا خلاف بين العلماء أن الكعبة قبلة فى كل أفق وأجمعوا على أن من شاهدها وعاينها فرض عليه استقبالها وأنه إن ترك استقبالها وهو معاين لها وعالم بجهتها فلا صلاة له وعليه إعادة كل ما صلى.

وأجمعوا أيضا على أن كل من غاب عنها أن يستقبل ناحيتها وشطرها وتلقاءها فإن خفيت عليه بقلبه أن يستدل على ذلك بكافة الوسائل التى تمكنه من الاتجاه إلى الكعبة المشرفة.

ومن جلس فى المسجد الحرام فليكن وجهه إلى الكعبة وينظر إليها إيماناً واحتساباً فإنه يروى أن النظر إلى الكعبة عبادة (الجامع لأحكام القرآن الكريم للقرطبى ص٥٤٢). وعن ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس - رضى الله عنهما - أن رسول الله ﷺ قال: «البيت قبلة لأهل المسجد والمسجد قبلة لأهل الحرم والحرم قبلة لأهل الأرض فى مشارقها ومغاربها من أمتى» (القرطبى ص٥٤١) ونرى من خلال هذه الأمنية التى حققها الله عز وجل لنبيه وحبيبه ﷺ قد أسعدت الأمة الإسلامية وأثبتت قوة إيمانها لأنها كانت بمثابة إمتحان لأمة سيدنا رسول الله ﷺ.

## ارتياب أهل الباطل

إن تحويل القبلة من بيت المقدس إلى بيت الله الحرام جعل اليهود يرددون الأقاويل ضد سيدنا رسول الله ﷺ فرأيناهم يقولون: قد اشتاق الرجل إلى بيت أبيه، ومالهم حتى تركوا قبلتهم، يصلون مرة وجها ومرة وجها آخر؟

أما المشركون فقد فرحوا بتحويل القبلة وقالوا: إن محمدا قد التبس عليه أمره ويوشك أن يكون على دينكم.

أما المنافقون فقد قالوا: ما بالهم كانوا على قبلة زمانا ثم تركوها وتوجهوا إلى غيرها.

أما أهل مكة فقالوا: تحير على محمد دينه فتوجه بقبلته إليكم وعلم أنكم أهدى منه ويوشك أن يدخل فى دينكم.

ولهذا كله وصف الله هؤلاء جميعا بأنهم سفهاء فقال جل شأنه: **﴿سيقول السفهاء من الناس ماولاهم عن قبلتهم التى كانوا عليها﴾** الخ الآيات. وهذه المواقف تؤكد لنا صورة حية من واقعنا المعاصر وهى أن الناس يختلفون فى نظرتهم إلى الأمور فمن ينظر بعين الرضا يرى كل شىء جميلا أما من ينظر إلينا بعين الحقد والغل فإنه يرى الحسن قبيحا وكأن الله عز وجل يقول لأمة الإسلام لا تحزنى فإن من هو خير منك ومن تقتدين بسنته وتتمسكين بدعوته قد أوذى وقيل فى حقه الكثير والكثير لكن الحق أحق أن يتبع.

## علاقة المسجد الحرام بالمسجد الأقصى

بيت الله الحرام يطلق على الكعبة وسماها الله البيت الحرام بمثل قوله تعالى: **﴿جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس﴾** سورة المائدة: آية ٩٧. ويقال للكعبة: بيت الله الحرام من باب التعظيم والتشريف ولهذا قال جل شأنه: **﴿وطهر بيتى للطائفين والقائمين والركع السجود﴾** سورة الحج: آية ٢٦. والبيت الحرام هو أول مسجد وضع للعبادة فى الأرض. قال تعالى: **﴿إن أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا وهدى للعالمين﴾** سورة آل عمران: آية ٩٦. وعن أبى ذر رضي الله عنه قال: سألت رسول الله ﷺ عن أول مسجد وضع فى الأرض قال: «المسجد الحرام» صحيح مسلم ١/ ٣٧٠.

أما المسجد الأقصى فهو المكان المعروف بأرض فلسطين، وكلمة التقديس معناها: التطهير والأرض المقدسة: أى المطهرة.

وبيت المقدس الآن يطلق على المدينة التى فيها المسجد الأقصى ولا يطلق على مكان العبادة بخصوصه وتسمى المدينة الآن بالقدس. وسمى بالمسجد الأقصى لبعد ما بينه وبين المسجد الحرام وهو أبعد مكان عن المسجد الحرا.م. فإذا كان المسجد الحرام بمكة هو أول مسجد بنى على الأرض فإن المسجد الأقصى هو المسجد الثانى وهو أولى القبلتين وثالث الحرمين.

فعن أبى ذر رضي الله عنه قال: سألت رسول الله ﷺ عن أول مسجد وضع فى الأرض قال: المسجد الحرام قلت ثم أى؟ قال: المسجد الأقصى قلت: وكم بينهما؟ قال: أربعون عاما ثم الأرض لك مسجدا فحينما أدركت الصلاة فصل» صحيح مسلم ١/ ٣٧٠.

والذى أسس المسجد الأقصى هو سيدنا يعقوب بن إسحاق وكان وضع البناء بعد المسجد الحرام بمكة بأربعين عاما. أما ما ورد أن سيدنا سليمان هو الذى بنى المسجد الأقصى فمعناه أن سيدنا سليمان هو الذى قام بتجديد بناء المسجد الأقصى وكان بين سيدنا إبراهيم وسيدنا سليمان نحو ألف سنة.

وهناك صلة وثيقة بين المسجد الحرام والمسجد الأقصى لأن كلا منهما من المساجد التى تشد الرحال إليها ويضاعف الأجر فيها.

قال ﷺ: «لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجد الرسول ﷺ والمسجد الأقصى» صحيح مسلم ٢/ ١٠١٤. والمسجد الأقصى كان قبلة للأمم السابقة وكان مهبطا للوحى والرسالات وكذلك المسجد الحرام فهو قبلة المسلمين فى كل زمان ومكان والحكمة من جعل المسجد الأقصى أولى القبلتين فذلك لأن المسلمين كانوا يتجهون فى صلاتهم إلى المسجد

الأقصى ثم كان التحول من المسجد الأقصى إلى بيت الله الحرام وذلك للتأكيد على أن هذا البيت قد شرفه الله وكرمه ووجه أنظار المسلمين إليه فترة من الزمن.

والمسجد الأقصى تضاعف فيه الحسنات كما تضاعف فى بيت الله الحرام ولكن مع اختلاف فى مقدار الحسنات فالصلاة مثلا فى بيت الله الحرام تكون بمائة ألف صلاة، أما الصلاة فى المسجد الأقصى فهى بخمسمائة ومعنى هذا أن الثواب فيه يضاعف، وإذا كان الثواب مضاعفا فإن السيئات أيضا تكون مضاعفة.

وقد ذكر الإمام الزركشى عن كعب الأحبار أنه كان يأتى من حمص للصلاة فيه فإذا صار منه قدر ميل اشتغل بالذكر والتلاوة والعبادة حتى يخرج عنه بقدر ميل أيضا ويقول: السيئات تضاعف فيه أى تزداد قبحا وفحشا لأن المعاصى فى زمان أو مكان شريف أشد جرأة وأقل خوفا من الله تعالى (إعلام الساجد ٢٩٠).

ومن خلال ما تقدم يتبين لنا مدى وجه الشبه الذى بين المسجد الأقصى والمسجد الحرام بمكة المكرمة.

## واجب الأمة الإسلامية

وواجب الأمة الإسلامية ناحية المسجد الأقصى أن يهتموا بما بين الله عز وجل أهميته ومكانته، فالله عز وجل بين لنا أهمية هذا المسجد حينما جعل القبلة أولا إليه ثم جعل مسرى رسول الله ﷺ من مكة المكرمة إلى بيت المقدس ليؤكد وجوب قداسة هذا البيت المبارك وليلفت أنظار المسلمين فى كل زمان ومكان إلى ما يجب عليهم ناحية بيت المقدس. وقد ذكر الله عز وجل ذلك صراحة بقوله: ﴿**سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير**﴾ سورة الإسراء: آية ١. وإذا كان تحويل القبلة من بيت المقدس إلى بيت الله الحرام بعد هجرة سيدنا رسول الله ﷺ إلى المدينة وقد استقر به المقام بالمدينة واستطاع رسول الله ﷺ أن يؤسس دولة وأن يبنى أمة عن طريق نشر العدل والأمن والأمان وقد أصبح المسلمون صفا واحدا وقد توحدت صفوفهم واجتمعت كلمتهم وصاروا على قلب رجل واحد.

ففى ذلك لفتة لأنظار المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها أنهم لا يمكن أن يعودوا إلى المسجد الأقصى إلا بما كان على حال المسلمين الأوائل فإذا إتحدت كلمتهم وصفت قلوبهم وتركوا الخلافات التى بينهم وراء ظهورهم ففى مقدورهم أن يقفوا بالمرصاد لأعداء الله عز وجل الذين خربوا بيت المقدس. ودنسوه وحاولوا تغيير معالمه وإبعاد المسلمين عنه، ولكن الذكرى تنفع المؤمنين ونحن فى كل عام تمر علينا ذكرى تحويل القبلة وتمر علينا مر الكرام وكأنها مناسبة عادية لمجرد التاريخ فقط ولكن الحقيقة التى غفل عنها كثير من الناس فى هذا الزمن هى أن هذه الذكرى تنبه المسلمين إلى الواجب الذى ألقاه الله عز وجل على عاتقهم جميعا تجاه بيت المقدس لأن لنا فيه ذكريات وذكريات تنادى على كل مسلم بين الحين والحين أن يتنبه من غفلته وأن يستيقظ من نومه ليعمل على جمع الشمل واتحاد الكلمة ونبذ الخلافات ليكون الجميع على قلب رجل واحد قال تعالى: ﴿**ياأيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون**﴾.

# القبلة وأحكامها الفقهية

**من شعائر الإسلام وشارات المسلمين وحدة القبلة حتى إنهم يسمون أهل القبلة.**

**وقد نوه النبى ﷺ بها وجعل اتباعها معلما من معالم الإسلام وأمارة لعصمة الدم والمال فيقول المصطفى ﷺ «أمرت أن أقاتل الناس(١) حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، فإذا شهدوا واستقبلوا قبلتنا وأكلوا ذبيحتنا وصلوا صلاتنا. فقد حرمت علينا دماؤهم وأموالهم إلا بحقها، لهم ما للمسلمين وعليهم ما عليهم»(٢).**

**ونتناول فى حديثنا هنا بعضا من أمر القبلة سواء من حيث مراحل التوجه إليها أو من حيث أحكامها.**

**بقلم رجب عبدالمنصف**

## أولاً: القبلة ومراحل التوجه إليها :

### ١ - تعريف القبلة :

القبلة لغة: الجهة، وفى الاصطلاح: ما يصلى نحوها من الأرض إلى السماء السابعة مما يحاذى الكعبة(٣) أى أن القبلة لا تقتصر على موضع البناء من الكعبة المشرفة وإنما هى أشمل من ذلك وأوسع، فهى تعنى موضع الكعبة بدءاً من تخوم الأرض لعنان السماء.

### ٢ - القبلة الأولى :

كانت القبلة فى أول الأمر وفى بداية الإسلام هى بيت المقدس. وكان المصطفى ﷺ يجمع فى مكة بين استقباله لبيت المقدس كقبلة وبين توجهه للكعبة إذ يمكن لمن بمكة أن يستقبلهما معا على أن الأصل هو بيت المقدس يشهد لذلك ويقرره النصان التاليان:

١ - قول ابن عباس - رضى الله عنهما - كان النبى ﷺ يصلى بمكة نحو بيت المقدس والكعبة بين يديه.

٢ - وكان البراء بن معرور وهو أحد نقباء بيعة العقبة الثانية حيث كان يخالف أصحابه ويصلى وحده جهة الكعبة وأصحابه ينكرون منه ذلك حتى إذا ما التقى بالنبى، وقص عليه الخبر، بين له المصطفى ﷺ خطأه ونوه له بشأن قبلة بيت المقدس، ويظهر ذلك من قول كعب بن مالك رضي الله عنه (خرجنا فى حجاج قومنا من المشركين وقد صلينا وفقهنا ومعنا البراء بن معرور كبيرنا وسيدنا، فلما توجهنا لسفرنا وخرجنا من المدينة قال البراء لنا: ياهؤلاء إنى قد رأيت والله رأيا وإنى والله ما أدرى

أتوافقوننى عليه أم لا؟ قلنا: وما ذاك قال رأيت ألا أدع هذه البنية منى بظهر - يعنى الكعبة - وأن أصلى إليها فقلنا: والله ما بلغنا أن نبينا يصلى إلا إلى الشام وما نريد أن نخالفه، فقال إنى أصلى إليها قال: فقلنا له لكنا لا نفعل فكنا إذا حضرت الصلاة صلينا إلى الشام وصلى إلى الكعبة حتى قدمنا مكة. فقص على النبى ﷺ قصته فقال له «لقد كنت على قبلة لو صبرت عليها» فرجع البراء إلى قبلة الرسول ﷺ وصلى إلى الشام(٤).

**٣ - سبب التوجه لبيت المقدس :**

والذى يظهر لى أن الحكمة من جعل بيت المقدس القبلة الأولى للمسلمين هو الإعلان عن وحدة الدين وأنه فى أصله واحد **﴿شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذى أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه﴾**(٥).

وقوله ﷺ «الأنبياء إخوة لعلات. دينهم واحد وأمهاتهم شتى».

ومن المقرر أن الأنبياء جميعا كانوا يتجهون لبيت المقدس.

**(٢) الحكمة الثانية:** أن الأمر من باب التدرج وإنجاح الدعوة وتثبيت أركان الدين، ذلك أن المشركين كانوا دوما ينظرون لأهل الكتاب نظرة كلها تقدير وإعجاب. يكتمونها تارة ويظهرونها تارة أخرى.

فلو استقبل النبى ﷺ قبلة أخرى لازداد نفور المشركين من الدعوة وظنوا أنه بدعا من الرسل لذا كانت الحكمة أن يتابع ﷺ قبلة بيت المقدس حتى إذا ما رسخ الأمر فى نفوس العرب وعلموا صدقه وصدق ما جاء به، كان تحويل القبلة. هذا التحويل الذى وصفه الله بعظم الشأن والأثر **﴿وما جعلنا القبلة التى كنت عليها إلا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه وإن كانت لكبيرة إلا على الذين هدى الله﴾**(٦).

وارتد بسبب تحويل القبلة من ارتد ونافق من نافق.

وهذا كله بعد استقرار الإيمان وتشرب الناس لأحكام الإسلام ومعانيه.

**٢ - تحويل القبلة للكعبة :**

بعد مرور ستة عشر شهرا أو يزيد قليلا، على الهجرة النبوية جاء الأمر الإلهى بتحويل القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة المشرفة ونزل قوله تعالى **﴿قد نرى تقلب وجهك فى السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره وإن الذين أوتوا الكتاب ليعلمون أنه الحق من ربهم وما الله بغافل عما يعملون﴾**(٧).

وقد علت الآية الكريمة هذا التحويل بأمرين:

الأول: أنه استجابة لتطلعات الرسول ﷺ الذى كان شديد التعلق بالكعبة والتوجه إليها.

والثانى: أن ذلك أمر راجع إلى النسخ الذى يعنى الخيرية والأفضلية **﴿ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها﴾**(٨) وهو ما عبرت عنه الآية بأنه الحق الذى يعلمه أهل الكتاب ذلك أن الصلاة فى المسجد الحرام أفضل بكثير من الصلاة فى بيت المقدس على ما جاءت به الأحاديث الأمر الذى يعنى أن القبلة هنا أفضل من القبلة هناك.

**٤ - وجوب استقبال القبلة على القادر :**

من شروط صحة الصلاة استقبال الكعبة عينها لمن كان قريبا منها، وجهتها للبعيد عنها وذلك لقوله تعالى: **﴿فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره﴾**.

ولقوله ﷺ فى حديث المسىء صلاته «إذا قمت

إلى الصلاة فأسبغ الوضوء ثم استقبل القبلة» إذ الأمر فى مقام التعليم للوجوب.

وقد أجمع المسلمون على أن وجوب استقبال القبلة للقادر الآمن فى الفريضة.

أما العاجز عن الاستقبال لمرض أو خوف فيصلى كيفما اتفق له هذا بالنسبة للفريضة.

أما النافلة فإنه يتسامح فيها فى حال السفر ما لا يتسامح فى الفريضة فمن أراد أن يتنفَّل وهو فى سيارة مثلا فإن له أن ينوى التطوع ويصلى على حسب ما تسير به السيارة دون اشتراط استقبال القبلة.

فعن أنس رضي الله عنه (أن رسول الله ﷺ كان يصلى على ناقته تطوعا فى السفر لغير القبلة)(٩).

وفى رواية أخرى كان ﷺ إذا أراد أن يصلى على راحلته استقبل القبلة فكبر للصلاة ثم خلى عن راحلته فصلى حيث توجهت به. واستقبال القبلة هنا فى بداية الصلاة مشروط بالإمكان فإن لم يقدر على الاستقبال فلا شىء عليه. والصلاة فى هذه الصورة تكون بالإيماء فيصلى جالسا ثم يومئ للركوع والسجود ويجعل إيماءه للسجود أخفض. ولعل كثيرا من الناس يجهلون جواز النفل فى المواصلات فتراهم يقطعون الطريق الطويل فى ملل وضيق ورغبة فى تضييع الوقت. بينما الأمر متسع لمن أراد التطوع حيث يسقط عنه استقبال القبلة وكذا القيام والقعود.

## ٥ ـ متى تستقبل الكعبة ذاتها ومتى تستقبل جهتها :

فرض المصلى الذى يعاين الكعبة هو التوجه لذاتها فلو انحرف عنها بطلت صلاته وكذا القريب منها الذى يمكنه التحديد وبيان سمتها.

أما البعيد عنها فإن قبلته الجهة وليست العين وهذا هو الراجح(١٠) لقوله ﷺ «ما بين المشرق والمغرب قبلة»(١١). ولانعقاد الإجماع على صحة صلاة الصف الطويل المستوى وهو قطعا لا يتطابق مع عين الكعبة.

## ٦ ـ تحديد القبلة :

لمعرفة القبلة أمارات وعلامات نذكر منها:

١ ـ الأدلة التى نصبها الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ فى المساجد كمسجد عمرو بن العاص فى مصر وسائر مساجد الأمصار والتى تتمثل فى المحاريب الموجودة الآن فلا يجوز مخالفتها.

٢ ـ معرفة المشرق والمغرب حيث يستدل بالشمس على معرفة القبلة وتحديدها. فإن مطلعها يعين جهة الشرق ومغربها يعين جهة الغرب ومتى عرف المشرق والمغرب عرف الشمال والجنوب وبهذا يتيسر لأهل كل جهة معرفة قبلتهم. فقبلة أهل مصر هى: الجنوب الشرقى لأن الكعبة بالنسبة لمصر واقعة بين الشرق والجنوب وهى للشرق أقرب.

٣ ـ النجم القطبى: وهو من أقوى الأدلة على تحديد ومعرفة القبلة. فالمرء فى مصر مثلا ما عليه إلا أن يجعله خلف أذنه اليسرى قليلا. وفى العراق يجعله المرء خلف أذنه اليمنى.

وهكذا فى كل بلد له وضع خاص وطريقة معينة.

٤ ـ البوصلة: وتعرف فى التراث ببيت الأمر ولعلها الآن أيسر الطرق وأوضحها لتحديد القبلة.

## الهوامش

١ ـ المراد بالناس هنا مشركو العرب فاللفظ ليس على عمومه.
٢ ـ رواه البخارى ومسلم وأحمد باختلاف فى الألفاظ.
٣ ـ اصطلاحات الفنون للتهانوى.
٤ ـ رواه أحمد جـ٣ ص٤٦١.
٥ ـ الشورى: آية ١٣.
٦ ـ البقرة: الآيتان ١٤٣ ـ ١٤٤.
٧ ـ انظر ما جاءت به الروايات.
٨ ـ البقرة: آية ١٠٦.
٩ ـ رواه أحمد فى مواضع متفرقة.
١٠ ـ انظر المطولات الفقهية فى هذا الصدد.
١١ ـ رواه الترمذى.

# حوار جديد مع الإسلام

**كلمة وزير الخارجية، السيد روبين كـوك، عند زيارته للمركز الإسماعيلى بلندن، فى ٨ أكتوبر/ تشرين الأول ١٩٩٨**

**من دواعى سرورى أن اتيحت لى الفرصة اليوم لزيارة الجالية الإسماعيلية ولزيارة مركزها ،الرائع أيضا. فهذا المركز هو جوهرة من تحف العمارة الإسلامية وأجمل ماذكر لنا فى صميم مدينة لندن بأن جذور ثقافتنا ليست يونانية أو رومانية الأصل فحسب بل هى إسلامية أيضا. فالفن الإسلامى والعلوم والفلسفة الإسلامية قد ساعدت على تشكيل تطورنا وعملت على تكييف نمونا كأفراد وتداخلت فى كيفية تفكيرنا وطريقة معيشتنا. فالأرقام الإسلامية مازالت معنا وهى التى علمتنا طريقة العد الصحيحة.**

إن ثقافتنا مدينة للإسلام بدين يجدر بالغرب أن لا ينساه، ونحن نقوم حالياً بتطوير علاقاتنا مع العالم الإسلامى. وقد سمحنا للأيام أن تبعدنا عن بعضنا البعض وسمحنا لسوء التفاهم، وعدم الثقة أن ينموا ويكبرا ويفرقا بين الغرب والإسلام.

يجب أن لاندع سوء التفاهم بيننا يستمر ويتواصل. ذلك لأنه من الخطأ أن تصدر ثقافتان عظيمتان حكما جائرا على بعضهما البعض بهذه الصورة المؤسفة. ثم إنه فى عالم اليوم ليس لدينا أى خيار أو مفر من العيش معا والعمل متآزرين بسلام ووئام. إن التحديات التى نواجهها هى تحديات عالمية. فارتفاع درجة الحرارة العالمية من شأنه أن يؤثر على الشرق الأوسط بالقدر الذى يؤثر به على أوروبا أيضا. والشباب فى طهران أو القاهرة هم ضحايا تجارة المخدرات مثل ماهو الحال فى لندن أو أدنبرة. وعدم الاستقرار فى الشرق الأوسط يقلق أوروبا بصفتها أقرب جار للمنطقة مثلما يقلق المجتمع الإسلامى. فالخيار هنا هو إما أن نعمل معاً متضافرين وننتصر معاً أو نترك عدم الثقة والتوجس والخيفة فيما بيننا باقية على ماهى عليه وتكون النتيجة من ذلك كله أن نخسر جميعاً.

والبعض يقول: إن الغرب بحاجة إلى عدو وبما أن الحرب الباردة قد ولت إلى غير رجعة فإن الإسلام سيأخذ

مكان الاتحاد السوفييتى القديم كهذا العدو، ويقولون: إن «صراع الحضارات» قادم وأن لا مفر منه. وأنا أقول: إنهم مخطئون بل ومخطئون خطأ فادحاً. فنحن لسنا بحاجة إلى الإسلام كعدو بل نحن بحاجة إلى الإسلام كصديق. فقد تكون الحضارات التى لدينا مختلفة وقد تكون الديانات أيضا مختلفة ولكن هذا لا يعنى أننا لا نستطيع أن نتعايش معاً ولن ننسجم معاً وأن يود أحدنا الآخر.

وهكذا علينا أن نتعاون معاً لإفشال هذه النبوءة. يقول القرآن الكريم فى سورة الحجرات الآية ١٢.

**﴿يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير﴾.**

وبوحى هذه الإرشادات الكريمة علينا أن نعمل معا لتحسين التفاهم بيننا وتفكيك تلك الصور الخاطئة والمشوهة لبعضنا البعض والتخلص تماما من مشاعر عدم الثقة التى تضر بالجميع.

## كل يرى الآخر على صورة بدائية مشوهة

يرى أحدنا الآخر إلى حد كبير عبر الصورة المبسطة والمشوهة والخطيرة لبعضنا البعض. فالإسلام يرى الغرب على أنه مادى يفتقد الروحانية وعلى أنه عدو للإسلام وعاقد العزم على استعمال قيم الغرب المتحررة لتقويض المجتمعات الإسلامية. والغرب من ناحيته يساوى الإسلام بالأعمال المتطرفة التى يقوم بها البعض. فعدد كبير من وسائل الإعلام هنا يرى الإسلام ليس على أنه ثقافة غنية جليلة مزدهرة ومتنوعة تدعمها ديانة من أعظم الديانات فى العالم بل يرونه على أنه الأعمال الإرهابية التى يرتكبها القلة باسم الإسلام.

إن كلتا النظرتين فى غير محلهما، فالحقيقة أن أسامة بن لادن لا يمثل الإسلام كما أن الذين ارتكبوا عملية «أوما» الإرهابية لا يمثلون قيم الغرب. والقائل: إن ثقافاتنا غير متجانسة هو مخطىء فإن هناك قدراً كبيراً من المعارف يمكننا أن نتعلمه من بعضنا البعض.

## الإسلام يساهم فى ثقافة الغرب

الغرب مدين للإسلام بالشىء الكثير، فالإسلام وضع الأسس الفكرية لمجالات عديدة مهمة وكبيرة فى الحضارة الغربية. فمن الأرقام العربية التى نستعملها إلى فهمنا للنجوم ،فإن الشىء الكثير من أسس حضارتنا يعود الفضل بها إلى العلم الإسلامى.

ومن أكبر الأخطاء التى يمكن للغرب أن يرتكبها هو الظن بأن الثقافة الإسلامية شىء غريب عنا. فهى ليست كذلك البتة. فإن ثقافتينا قد تشابكتا مع بعضهما البعض عبر التاريخ والأجيال. وهى تتشابك أيضا فى وقتنا الحاضر. ويجب أن تستمر فى التشابك كلما أصبح مستقبل كل منا مرتبطا بالآخر.

إن من أهم التحديات الجوهرية التى نواجهها في هذه الأيام هى كيفية تشكيل علاقة إيجابية مع العالم الإسلامى. وهذه هى من المسائل الرئيسية التى تشغل تفكيرى بصفتى وزير الخارجية.

## بداية عهد جديد مع إيران

أرى أننا نسير قدما وبنجاح فى هذا المجال. فنحن نقوم بتذليل بعض العقبات الرئيسية واحدة

تلو واحدة التى تعكر الجو بين الغرب والعالم الإسلامى.

ففى نيويورك عقدت محادثات مع الدكتور كمال خرازى وزير خارجية إيران. وكانت هذه المحادثات مختلفة عن ما يجرى عادة بين وزراء الخارجية. فقمنا سوياً بإعطاء العلاقات بين إيران وبريطانيا بداية جديدة.

وقد أوضح الدكتور خرازى بأن سلمان رشدى لا يواجه أى خطر تجيزه أو تسمح به الحكومة الإيرانية. ولكن أبعاد هذه القضية تذهب إلى أبعد من ذلك. فهى تعنى أنه يمكن لبريطانيا وإيران أن تعملا معا لمواجهة التحديات المشتركة على حد سواء. فمثلاً، سيزداد التعاون العملى فيما بيننا ضد تجارة المخدرات.

وسيصبح الآن بمقدور الاتحاد الأوروبى أن يقيم مع إيران علاقة بناءة أكثر من ذى قبل. إن مفاوضاتنا مع الأمريكان بالنيابة عن الاتحاد الأوروبى قد أزالت فتيل الخطر عن التجارة بين أوروبا وإيران بموجب قانون العقوبات الاقتصادية ضد إيران وليبيا الذى سنته الولايات المتحدة. وستتفتح الأبواب أمام فرص جديدة عديدة للتجارة والاستثمار بين الجانبين وتكون مفيدة للطرفين.

## حان الوقت لإجراء حوار جديد

نحن نسير على الدرب الصحيح لحل المشاكل المعلقة بيننا. وهكذا فقد آن الأوان الآن للبدء ببناء التفاهم والثقة اللتين نحن بأمس الحاجة إليهما. اليوم أريد أن أقترح بأن نبدأ حوارا جديا بين أوروبا والعالم الإسلامى. فقد حان الوقت لكى يبدأ الاتحاد الأوروبى ومنظمة المؤتمر الإسلامى بالتكلم مع بعضهما البعض على أعلى مستوى ممكن ويتحاور أعضاؤهما حول القضايا العديدة التى تهم الجانبين. دعونا نتكلم عن البلقان وعن عملية السلام فى الشرق الأوسط وعن أفغانستان وعن الإرهاب وحقوق الإنسان ومعاملة الأقليات. لأنه بالحوار البناء فقط يمكننا أن نتعلم كيف يفهم أحدنا الآخر ويثق به.

ولكن مثل هذا الحوار يجب أن لا يقتصر على الدبلوماسيين أو حتى على وزراء الخارجية. فأنا مثلاً أنعم بمركز مهم ولكن الأهم من هذا وذاك والذى لا يحيد نظرى عنه هو مصلحة الأمة وخير الشعب. ثم لا شك عندى أن العلاقات المهمة حقاً هى تلك العلاقات التى تكون بين الشعوب.

وهكذا فإن الحوار الذى علينا أن نجريه بين أوروبا والعالم الإسلامى يجب أن يكون بين شعوبنا أيضا. يجب على المعلمين من الجهتين أن يتكلموا معا وكذلك يجب أن يتكلم الفنانون والمعماريون والمثقفون مع بعضهم البعض وعلى جناح السرعة. لأن هناك الشىء الكثير الذى يمكننا أن نكسبه من قيامنا بذلك، والشىء الكثير الذى يمكننا أن نخسره لو أننا لم نقم بذلك.

إن قدرا كبيرا مما ذكرناه يجرى تحقيقه فعلاً في الوقت الحاضر. فلدى بريطانيا معاهدة علمية راقية تقوم بنشاطات ممتازة فى هذا المجال. وهناك جماعات خاصة تساعد على إعادة التوازن فى هذا المجال. ولكن لن نحرز التقدم الذى نحن بحاجة إليه حتى يبدأ المؤثرون على الرأى العام من الجانبين - فى وسائل الإعلام والتعليم وغيرهما - بتعظيم تلك الصور المبسطة والمشوهة، والقضاء على الانطباعات المضللة التى تقع فى صميم

النزاع بين مجتمعينا وتسبب التنافر بين ثقافتينا.

تقوم وزارة الخارجية بأداء دورها فى هذا المجال. يجرى زميلى «ديريك فاتشيت»، وزير الدولة، محادثات دورية مع قادة الجالية الإسلامية فى بريطانيا لتبادل وجهات النظر، وترعى وزارة الخارجية تبادل الزيارات بين الطلبة والندوات العلمية والمؤتمرات المعدة لإزالة الحواجز والعوائق بين الثقافات.

ووزارة الخارجية قائمة على مشروع تحديث لأنظمتها حتى تصبح فعالة حقا فى هذا المجال، فيجب على وزارة الخارجية أن تكون ممثلة أكثر من السابق لكل ما يمكن أن تقدمه بريطانيا من تراث فكرى وتنوع عرقى، وهكذا فإن وزارة الخارجية تشجّع المسلمين البريطانيين الأذكياء من كافة مجالات الحياة أن يأخذوا بعين الاعتبار السلك الدبلوماسى ويلتحقوا به كمهنة، فهم سيلاقون ترحيبا من جانبنا. لأنه بإسهام المسلمين البريطانيين إسهاما فعالا يمكننا أن نقول بأننا قد وسعنا البعد الإسلامى فى سياستنا الخارجية.

لدى بريطانيا ميزتان فى علاقتها مع العالم الإسلامى، فنحن نشترك معا فى ألف عام من التاريخ المشترك مع أنه لم يكن كله تاريخا سهلا أو يسيرا، ولدينا فى بلادنا مجتمع مسلم مزدهر، ففى بريطانيا أكثر من تسعمائة مسجد، ويحق الآن للمدارس الإسلامية أن تتلقى الدعم المالى من الدولة، وحوالى مليون ونصف مليون مسلم بريطانى يساهمون إسهاما كبيرا في المجتمع البريطانى.

يؤدى المسلمون البريطانيون دوراً كبيرا فى الحياة الثقافية والسياسية والاقتصادية للأمة وهو دور آخذ فى الازدياد المستمر، فإن مقدرتهم فى الأعمال التجارية تساعد على دفع الاقتصاد البريطانى وتقويته، وشغفهم بالعلم ومحبتهم له ينعكس في الإسهامات التى يقدمونها للمهن في بريطانيا، وفى العالم اليوم يمكن لبريطانيا أن تستفيد إفادة متزايدة من كونها مجتمعا متعدد الثقافات ومتعدد الأعراق.

### الجالية الإسماعيلية ـ جسر فريد من نوعه

ولذلك فأنا سعيد لأن الجالية الإسماعيلية تشكل جسراً فريداً من نوعه بين الغرب والإسلام، فالجالية منتشرة فى كافة أنحاء العالم. والجالية موالية بقوة لجميع الأقطار التى تعيش فيها ولكن أينما حلت فهى تتمسك تمسكاً قوياً بالقيم السامية لتقاليدها وهى الاتحاد والاعتماد على النفس وتقديم الخدمات عند كل المناسبات فأنتم ـ مثل هذا البناء ـ تنسجمون مع البلد الذى تقيمون فيه وتزيدون من تراثه الفكرى وتقومون بكل ذلك من دون تخفيف أو تقليل أو إجحاف لهويتكم الفريدة.

رجاؤنا الآن وأملنا هو أن يتمكن الغرب والإسلام من التعايش معا فى وئام وسلام ومن فهم الواحد منا للآخر فهما سليما ومن التعلم من بعضنا البعض وبناء الثقة بين مجتمعاتنا، وأملنا أيضا أن نزيد من ثراء بعضنا البعض فكرياً وإنسانياً واجتماعياً من دون أن نفقد هويتنا المستقلة. ولا شك أن الجالية الإسماعيلية قد أثبتت مع الزمن أن تحقيق ذلك أمر ممكن فعلاً.

البعض يفضلونه

# انتماء مدفوع الأجر!!

## الدكتور محمد رأفت عثمان:

## مظاهر البذخ والإسراف ولدت الشعور بالغربة فى الأوطان

## الكاتب الصحفى عزت السعدنى:

## ضاعت هيبة المعلم وفاقد الشىء لا يعطيه

**لو كان الانتماء سلعة تباع وتشترى لبارت تجارتها.. لكنه أحاسيس فياضة تختلج فى النفوس، وبصمة غائرة محفورة فى شغاف القلوب.. ونهر متدفق بالعطاء اللامحدود ترتوى من فيضه الأمم، وقيمة من أنبل القيم التى تسمو بالمرء وترتقى، وصفحات التاريخ زاخرة بكل معانى النبل والانتماء.**

**فانظر معى ذلك المشهد المؤثر الخالد الذى تعجز عن وصفه الأقلام وتدمى له القلوب، واسمع تلك الكلمات الحانية التى تفيض لوعة لنبى الرحمة محمد ﷺ وهو يودع مكة مهاجرا وهو يقول: «اللهم إنى أعلم أنك أحب بلاد الله إلى الله، وأحب بلاد الله إلى نفسى ولولا أن أهلك أخرجونى منك ما خرجت». فما أعظمه من انتماء تهتز لصدقه القلوب ويتضاءل أمامه كل انتماء.**

**ولعل ذلك الإحساس الرفيع بهذه القيمة يتجلى فيما عبر عنه أمير الشعراء «أحمد شوقى»:**

**وطنى لو شغلت بالخلد عنه ❖ نازعتنى إليه فى الخلد نفسى**

**لكن هذه المعانى العظيمة تتراجع الآن وقد بدا الكثيرون عازفين عنها، وصار العطاء للوطن لدى هؤلاء متوقفا على المقابل والأجر.. فهل تراجع الانتماء، ومن المسئول؟ وما المخرج؟**

**علامات استفهام كثيرة تتصارع فى العقل ألقينا بها بين يدى صفوة من رجال الدين والفكر والطب النفسى والقانون.. فماذا قالوا:**

تحقيق: مصطفى إبراهيم خيان

## الدكتور أحمد المجدوب :

# تراجع دور الأبوين وتحولت بعض البيوت إلى فنادق للراحة

### تحقيق الذات

بكلمات لا تنقصها الصراحة يحدد الدكتور محمد رأفت عثمان عميد كلية الشريعة بطنطا مفهوم الانتماء بأنه ليس أمرا كماليا لكنه من أوجب الواجبات التى يجب أن يتحلى بها أفراد المجتمع سواء كانوا صغارا أو كبارا، نساء أو رجالا، والانتماء يجب أن يتبعه تحقيق الذات، وارتقاء الشخص إلى ماهو أكبر وأعظم وهو أمر يحتاجه كل فرد بالمجتمع.

فالإنسان اجتماعى بطبعه بمعنى أنه يجب أن ينتمى إلى جماعة أو طائفة من أبناء جنسه.

### غرباء فى أوطانهم

لكن الملاحظ أن أواصر الانتماء لدى الكثيرين قد ضعفت للأسف وانفصمت الرابطة الحميمة التى تربطهم بالمجتمع فما الأسباب الحقيقية وراء ذلك؟

يجيب: إن الإنسان يميل بطبعه إلى ما يشعره بكيانه وبإنسانيته وإلى ما يجنى من ورائه الفائدة وقد أدت ظروف تاريخية متعاقبة إلى ضعف ما يناله الأفراد من الرعاية فى ذات الوقت الذى يرون فيه آخرين وقد اكتظت جيوبهم بالمال متعدد المصادر ينفقون منه بسفه وبصورة مستفزة الأمر الذى يولد لديهم الشعور بأنهم غرباء فى أوطانهم وهو إحساس خطير له عواقبه الوخيمة إذا ما سيطر على النفوس.

### زراعة الوطنية فى النفوس

وما العلاج؟

على الحكومة يقع العبء الأكبر فى تعميق الانتماء لدى الأفراد، وعليها أن تشعر المواطن بالتقدير حتى تزرع فيهم حب الوطن، وكذلك إشعاره بأنه جزء مهم فى بناء كيان أمته. يساعد على تعميق الانتماء أيضا مناهج التعليم وهى فى حاجة ماسة لإعادة النظر بحيث تحوى ما يزرع الوطنية فى النفوس ويرغب فى حب الأوطان.

أما أجهزة الإعلام فعليها أن تتخلى عن تلك البرامج والمسلسلات التى تسخر من المصرى وتصوره بشكل متدنٍ. أيضا ضرورة مراجعة ما يقدمه التليفزيون من إعلانات مستفزة للسلع الاستهلاكية وما يكتب فى الصحف عن أن بعض الفنانين والراقصات يصرفون ببذخ ويمتلكون شققا بملايين الجنيهات.

وعلينا أن نرجع إلى تعاليم ديننا الحنيف وعلى الأسرة أن تربى أبناءها على العقيدة وحب الوطن وإنكار الذات.

### الانتماء بمقابل

وبكلمات فى ثناياها إحساس من يستشعر الخطر، يقول الدكتور أحمد المجدوب مستشار المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية:

الانتماء يقوم أساسا على العلاقات الودية الحميمة التى تربط الفرد بالأسرة وبالمجتمع الذى يحيا تحت لوائه وهذا الانتماء يخضع للمؤثرات والعوامل المحيطة به ولعل فى مقدمتها:

الدين: وهو الباعث الأكبر على الانتماء والوقود الذى يغذى روح الولاء والوطنية فى النفوس،

فالإنسان المتدين يتعمق لديه الشعور بالانتماء وهو فى سبيل ذلك يضحى بكل نفيس وغال ويكون لوطنه نعم العون فى الملمات، أما إذا افتقد عنصر الدين فإن الانتماء لديه لابد أن يكون بمقابل ولابد من أن يقبض الثمن أولا، والعطاء من منظور هؤلاء لابد أن يسبقه أخذ. والدليل ماحدث فى حرب العاشر من رمضان حين عبرت قواتنا قناة السويس تسبقها صيحة الله أكبر وتتردد على طول جبهة القتال وعند اقتحام خط بارليف وعند رفع العلم المصرى على الضفة الشرقية للقناة.

هذه العبارات التى ترددت ـ كما يضيف ـ حمدا وشكرا لله كانت جميعها دون إعداد مسبق وإنما هو الدين المتغلغل فى نفوسهم.

## تحطم الأمانى

ثانيا: العامل الاقتصادى وله تأثيره المباشر على كافة فئات المجتمع، فالشاب الذى يتعلم ويجتهد وينظر للمستقبل بكل أمل فى حياة أفضل تتحطم أمانيه على صخرة الواقع عند التخرج عندما يفاجأ بأن عليه أن يقف فى طابور الخريجين سنوات طويلة انتظارا لدوره فى وظيفة غالبا لا ترضى طموحه، ناهيك عما يعانيه الكثيرون من عجز عن الوفاء بأبسط التزاماتهم الضرورية.

أما الأسرة فدورها خطير للغاية فهى اللبنة الأولى فى بناء المجتمع وفيها تتشكل شخصية الفرد ومنها يعرف معنى الانتماء، لكن ما يؤسف له أن الأسرة فقدت الكثير من دورها الاجتماعى بعد أن تفككت الروابط بين أفرادها، فالأب غائب أغلب الوقت، والأم العاملة لم تعد قادرة على المواءمة بين عملها وواجبها نحو أبنائها وتحولت البيوت إلى فنادق واختفت الألفة والصداقة من المنزل فراح الأبناء يلتمسونها خارج المنزل مع أصدقاء السوء الذين قدموا لهم مختلف وسائل الانحراف كالخمور والمخدرات وملاحقة الفتيات وغير ذلك.

## انتماء فى ملاعب الكرة

أما عن التعليم ـ والكلام لايزال للدكتور أحمد المجدوب ـ فحدث ولا حرج فقدخلت المناهج تماما من كل ما يعمق الانتماء واختفت مناهج التربية الوطنية وتقلص التاريخ وكل المناهج التى تعطى القدوة وتحث على المشاركة الجادة وعلى القائمين على أمر التعليم أن يعيدوا له كل ما يغذى الوطنية ويحث على حب الوطن.

ولعل المثل الصارخ لأهمية المشاركة وتأثيرها الخطير فى النفوس يتجسد للأسف فى مباريات كرة القدم حيث يتقاتل المشجعون لتشجيع فريق ضد الآخر من أجل مبارة لا ناقة لهم فيها ولا جمل. والمطلوب أن توجه مشاعر الشباب إلى ما يرسخ قيم الانتماء الحقيقية.

## غياب القدوة

**إذا غابت القدوة وتراجعت المثل العليا فماذا تنتظر؟**

هكذا بدأ الكاتب الصحفى عزت السعدنى رئيس تحرير مجلة «علاء الدين» ويضيف قائلا: إن غياب القدوة يأتى فى المقام الأول لضعف الانتماء، ففى محيط الأسرة نجد أن ظروف الحياة جعلت رب الأسرة يلهث بلا توقف جريا وراء المال سواء بالترحال للعمل بالخارج أو حتى داخل مصر، فهو بالنسبة للأسرة كالحاضر الغائب والعمل يستنزف كل وقته، والأم التى كانت المثل الأعلى ونبع حنان للأبناء فقدت الكثير من دورها بعد خروجها للعمل دون أن توازن بين هذا العمل ودورها كأم وبالطبع فالأبناء هم الضحية.

## هيبة المعلم

أما المدرسة فقد اكتظت فصولها بالتلاميذ ولا وقت أمام المعلم يناقش فيه قضية أو يحل مشكلة تواجه تلميذ، واختفى المعلم الذى كان كالأب، وظهرت نوعيات جديدة من المعلمين يلجأ معظمهم مضطرين إلى زيادة دخولهم من خلال الدروس الخصوصية.

وضاعت هيبة المعلم وضعفت رابطة الانتماء إليه، فهل يمكن لمثله أن يغذى التلاميذ بالانتماء؟! إن فاقد الشئ لا يعطيه.

وينبه الأستاذ عزت السعدنى إلى خطأ تحويل التاريخ إلى مادة اختيارية مع تفريغ مناهجه من تاريخ وأمجاد قوادنا وروادنا العظام والقدوة الصالحة.

## المغتربون أكثر انتماء

أما المغتربون فى بلاد المهجر فهم - على حد تعبيره - أكثر انتماء ممن يعيشون على أرض الوطن، ويضيف: لقد زرت دولا عديدة عربية وأجنبية ولمست لديهم انتماء خالصا وإحساسا صادقا بما يكنونه من حب وبما يحتفظون به من ولاء لمصر والذى يتمثل فى متابعتهم لكل ما ينشر عن مصر وتلهفهم لسماع كل شئ عنها، أضف إلى ذلك استعدادهم الخالص لمد يد العون لمصر اقتصاديا واجتماعيا سواء بالمعونات أو بالمساهمة فى برامج الاستثمار، لكنهم ليس لديهم تصور كامل لما يدور على أرض مصر والضمانات المقدمة فى هذا الشأن، فالصلة بيننا وبينهم شبه مقطوعة.

## اختبارات الحفظ والتلقين

إننا لو أردنا إصلاحا - والحديث لايزال للكاتب الصحفى عزت السعدنى - فعلينا أن نبدأ بالتعليم بإصلاح المناهج وتعديل الكتب لتواكب متطلبات العصر، كذلك تغيير نظم الامتحانات التى تعتمد على اختبار القدرة على الحفظ وتستبدل باختبارات القدرة على الفهم والتى تقيس مستوى الذكاء والاستيعاب.

**ممارسات أصحاب الدخول الطفيلية جريمة فى حق المجتمع**

أيضا يجب أن يعود للأسرة دورها فى زرع روح الانتماء لدى الأبناء. أما الإعلام فعليه أن يستبدل البرامج التى عفا عليها الزمن ببرامج هادفة تدعو لتعميق الانتماء والحث على المشاركة فى قضايا الوطن.

وعلينا كذلك أن نعيد الرابطة التى انقطعت بين الوطن الأم وأبنائنا فى بلاد المهجر فهم سيكونوا بلاشك خير عون لنا فى تخطى أزماتنا.

## الرابطة المقطوعة

وفى تشخيصه لهذه القضية يشير الدكتور عادل صادق أستاذ الطب النفسى بجامعة عين شمس إلى تهميش دور المواطن فى المشاركة الجادة فى قضايا الوطن مما يخلق منه إنسانا سلبيا متواكلا، وحتى فى الجامعة فالصلة مقطوعة بين الأستاذ والطالب، وفقدت بذلك أهم أدوارها ولم يبق من العملية التعليمية سوى الحفظ والتلقين.

## ضيوف فى منازلهم

وافتقدت الأسرة - والتى يقع عليها العبء الأكبر فى تعميق الانتماء - الرابطة الأسرية بين أفرادها وصار الأبناء كالضيوف خاصة مع تعقد ظروف الحياة والصراع من أجل لقمة العيش، فلم يعد هناك وقت لتبادل مشاعر الود أو إظهار أحاسيس الرحمة والتراحم، ولا مجال أمام الأبناء لطرح مشاكلهم وهمومهم على الأبوين، حتى مائدة الطعام التى كانت تجمع أفراد الأسرة حولها لم تعد كذلك.. فكيف الحالة برابطة الفرد والمجتمع الأكبر؟!

## مظاهر مرفوضة

ويعترض الدكتور عادل صادق على ما يمارسه البعض من أصحاب الدخول الطفيلية من مظاهر البذخ والإسراف والذين لا يراعون مشاعر الآخرين ممن يصارعون من أجل لقمة العيش فذلك - على حد تعبيره - يعد جريمة فى حق المجتمع لأنه يولد الحقد ويزرع البغضاء والكراهية فى النفوس ويرسخ لدى الآخرين أن مصر ليست بلدهم وإنما هى وطن للأثرياء أما هم فغرباء فى أوطانهم.

أما المغتربون فى بلاد المهجر والذين انقطعت صلتهم بالوطن الأم فيشخص حالتهم بأنها شكل من أشكال الهروب النفسى مما عانوه من مشاكل، الأمر الذى يزيد من عزلتهم ويضعف من انتمائهم.

## انتشار الجريمة

وماذا عن الأعراض السلبية التى تترتب على كل ذلك؟

يجيب الدكتور عادل صادق: بالضبط تكمن الأعراض فى مشاكل جمة لا حصر لها نعانى منها جميعا أفرادا وجماعات، ولعل أخطرها ظاهرة التفكك الأسرى، وانتشار الجريمة بكافة صورها وأشكالها وشيوع المخدرات خاصة بين أوساط الشباب.

وما العلاج إذن؟

بغير تردد يقول د. عادل صادق: العلاج يبدأ بالأسرة التى يجب أن تعيد حساباتها وأن توازن بين احتياجاتها المادية واحتياجات أفرادها العاطفية والتربوية والسلوكية مع مراقبة سلوك الأبناء والمشاركة فى اختيار أصدقائهم.

ثم بات دور التعليم الذى يجب أن يدعم بالمقررات التى تحض على الوطنية وتغذى الشعور بالانتماء واعتبارها مواد أساسية، أما الإعلام فيجب تخليصه من تلك البرامج الركيكة والهابطة واستبدالها ببرامج هادفة تشبع نهم المتلقى وتصرفه عن اللجوء إلى ما تبثه الدول الأخرى من برامج على الأقمار الصناعية تكون لها نتائجها السلبية فى نفسه.

## سلاح الأعداء

أما المستشار حسن حسن منصور نائب رئيس محكمة النقض للأحوال الشخصية فيلقى باللائمة الأولى على الأسرة فيما أصاب المجتمع من أضرار فقد أفرزت السنوات الأخيرة حالات كثيرة للتفكك الأسرى أدت إلى عجز الأسرة عن أداء دورها المنوط بها، فالأب مشغول بجمع المال والأم خرجت لساحة العمل على حساب البيت، إن أعداءنا يجعلون أحد أسلحتهم فى دفع المرأة للخروج.

«الأم مدرسة إذا أعددتها

أعددت شعبا طيب الأعراق»

وفى الماضى كنا نرضع الوطنية والانتماء وتاريخ بلادى من خلال حكايات الجدة، وكانت للأسرة مجالسها التى يجتمع فيها أفرادها يتغذون

### المستشار حسن حسن منصور:

# الانتماء للوطن عنوان السيادة لكل مصرى مهاجر

فيها بحكايات وقصص البطولات التى تزكى مشاعر الوطنية فى نفوسهم.

## حكايات جدتى

أما اليوم فقد صار التليفزيون هو البديل لحكايات الجدة وأصبح الطفل يستمد أفكاره ومعلوماته فى هذه السن المبكرة، وبل وتتكون شخصيته من خلال ما يقدمه من برامج وما يبثه من مسلسلات العنف والخرافات.

ناهيك عن عزوف الشباب عن القراءة وقد كنا فيما مضى نقطع المسافات الطويلة للحصول على الصحيفة، بل وندخر من مصروفنا اليومي لشراء الكتب، أما اليوم فقد صار العديد من شبابنا نهبا لأصدقاء السوء.

## على قدر فلوسهم

ويضيف المستشار حسن منصور: فى اعتقادى أن معظم القضايا التى تضج بها المحاكم ترجع إلى فقد الانتماء، فالاختلاس والسرقة والسلب والنهب والاستيلاء على المال العام وتزوير المستندات العامة وتزييف النقود ماهى إلا تداعيات لتفضيل المصلحة الخاصة على المصلحة العامة، كذلك قضايا الطلاق والأحوال الشخصية يرجع أغلبها إلى ضعف الولاء للأسرة، أضف إلى ذلك اللامبالاة فى مواجهة مشاكل المجتمع وضعف الإنتاج نتيجة أن العامل يقيس كل ما يقدمه بالمقابل المنتظر حتى انتشرت مقولة «على قدر فلوسهم» أما أخطر ما يمكن أن يصيب المجتمع من جراء ضعف الانتماء فهو التعاون والتخابر مع الدول الأجنبية.

وفى المقابل فإنى أرى التركيز على غرس الوطنية المصرية من خلال مناهج تدرس من الحضانة وحتى الجامعة، والنظر فى المشاكل المؤدية إلى التفكك الأسرى مع مراجعة البرامج المقدمة فى الإذاعة والتليفزيون واستبدالها ببرامج تعمق روح الوطنية لدى الشعب مع ربط المغتربين بالوطن الأم فالانتماء بالنسبة لهم هو عنوان السيادة.

□□ ولا نملك فى الختام سوى أن نذكر بقيمة الانتماء الرفيعة التى لو أدركها كل فرد لتحول كل ما نتغنى به من شعارات إلى واقع ملموس ليحقق الوطن كل ما يصبو إليه من رفعة وعزة وتقدم.

ولنا فى رسول الله ﷺ الأسوة والقدوة الحسنة، وهل ينسى تاريخ الإنسانية ذلك الموقف الرائع حين أشفق عليه عمه أبو طالب من أذى المشركين. فما كان من محمد ﷺ إلا أن أطلق كلمته الخالدة والتى زلزلت أركان الدنيا كلها وستبقى ما بقيت الحياة: **«والله ياعم لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى يسارى على أن أترك هذا الأمر ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك دونه».**

ومن بعد الرسول سار الصحابة على نهجه وتغلغل الانتماء للعقيدة وحب الأوطان فى قلوبهم حتى هانت أرواحهم وقدموها فداءً وصدق فيهم قول الحق سبحانه وتعالى: **﴿من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا﴾** سورة الأحزاب: آية ٢٣.

ملف العدد

# لا لقانون الاضطهاد الدينى

- بيـــان البـــابا شنودة
- مصر وقانون الاضطهاد الدينى الأمريكى
- هذا القـانون الأمـريكى المشـبوه
- الحوار الإسلامى المسيحى إلى أين؟
- التأصيل التاريخى للوحدة الوطنية فى مصر
- هل الأقـبـاط مـضطهـدون؟
- ارفـعوا أيديكم عن الأقـبـاط

من حين إلى آخر تجد مصر نفسها مضطرة لكى تعيد تأكيد حقائق ثابتة - كانت ولاتزال - ملمحا رئيسيا فى شخصيتها الوطنية وتجد نفسها مضطرة لأن تتحدث بصوت مرتفع إلى الذين أعماهم الحقد ونصبوا من أنفسهم قواعد للهجوم عليها والنيل من وحدتها الوطنية لعلهم بذلك يوقفون حركة التقدم الجارية على أرضها.

فى هذا الملف يوضح المسلمون والمسيحيون الحقائق ويردون على المزاعم الكاذبة عن وجود اضطهاد دينى فى مصر.

## بيان من البابا شنودة

# جريمة «الكشح».. عادية.. ولا علاقة لها بالوحدة الوطنية

أكد البابا شنودة الثالث بابا الاسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية أن ما حدث فى قرية الكشح جريمة قتل عادية لا علاقة لها بالوحدة الوطنية.. وأن ما نشر فى الصحف الأجنبية مبالغ فيه جدا.. ويسىء إلى سمعة مصر ولا نقبله.

أضاف فى بيان له أننا لا نقبل التدخل الأجنبى فى أمورنا الداخلية.. ودعا الجميع لتهدئة الأمور لا إلى إثارتها.

وفيما يلى نص البيان:

● قرية الكشح قرية هادئة جدا فى أقاصى الصعيد، غالبية سكانها من الأقباط ولم تحدث فيها أية فتنة طائفية. ولا أى خلاف طائفى بين المسلمين والمسيحيين بل العلاقة بينهم طيبة جدا.

● الجريمة التى حدثت فى هذه القرية فى ١٤ أغسطس سنة ١٩٩٨م، وقتل فيها اثنان من المسيحيين، هى جريمة قتل عادية لاعلاقة لها إطلاقا بالوحدة الوطنية.

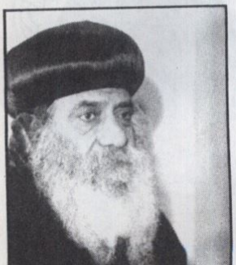

البابا شنودة

● كل مافى الأمر، أن بعض رجال الشرطة حدثت منهم تجاوزات أثناء التحقيق فى الجريمة، وقد أخذ وزير الداخلية إجراء حاسما ضد المتجاوزين فى هذا الموضوع. والنيابة تتولى التحقيق.

● إن ما نشر فى وسائل الإعلام الأجنبية، كان مبالغا فيه جدا، ويسىء إلى سمعة مصر، الأمر الذى لا نقبله.

● أرى من الحكمة أن ينتهى الموضوع عند هذا الحد. ولا نوافق على تصعيد الأمور، فاستمرار هذا التصعيد ليس من الصالح فى شىء.

● نحن لا نقبل التدخل الأجنبى فى أمورنا الداخلية التى نقوم بحلها فى هدوء مع المسئولين فى بلادنا. وقد صرحت بهذا مرارا.

● ختاما، ندعو الجميع إلى تهدئة الأمور، لا إلى إثارتها وتبقى مصر بخير، وفى سلام.

# مصر وقانون الاضطهاد الدينى الأمريكى

من طبيعة اليهود أن يحبوا إثارة الأراجيف والثورات وفيهم يقول الكاتب الفيلسوف برنارد لازار:

اليهودى يضطرم بروح ثورى، وهو داعية للثورة سواء شعر بذلك أو لم يشعر.

ومما يؤكد نسبة أكثر الحركات الهدامة السرية لليهود أنه تظهر دائما فى هذه الحركات آثار التعاليم اليهودية الفلسفية.

ويعترف اليهود بذلك، فقد ورد فى مجلة الجامعة الإسرائيلية نص خطير بهذا الشأن اقتطفه Lonis Daste ووضعه على غلاف كتاب له عن «اليهود والجمعيات السرية»، وفيما يلى هذا النص: نصادف فى كل التغييرات الفكرية الكبرى تقريبا عملا يهوديا، سواء أكان ظاهرا واضحا أو خفيا سريا، وعلى هذا فإن التاريخ اليهودى يمتد بامتداد التاريخ العالمى بجميع مجالاته حيث تغلغل فيه بآلاف الدسائس.

د. أحمد شلبى

ويقرر علماء الغرب أن حركات الهدم التى اجتاحت أوروبا واشتعلت بها عدة قرون لم تكن سوى أثر للجهود السرية التى كان اليهود يبذلونها ضد النصرانية والإسلام فى سبيل هدمها انتقاما لدينهم.

وصراخ السيد المسيح عليه السلام ضد اليهود مشهور ومسجل فى العهد الجديد، ويتوعدهم السيد المسيح بقوله: أيها الحيات أولاد الأفاعى كيف لكم أن تنجوا من عقاب جهنم؟ لقد أرسل الله لكم الأنبياء والحكماء، فبعضهم تقتلون وبعضهم تصلبون.

ومن أجل ذلك تقع عليكم مسئولية كل دم زكى سفك فى الأرض من دم هابيل الصديق إلى دم زكريا بن بركيا الذى قتلتموه بين المقدس والمذبح. الحق أقول لكم: إن هذا كله سيقع عليكم جيلا بعد جيل.

(انجيل متى: ٢٣: ٣٣ـ ٣٦)

وعمد اليهود كذلك إلى التشكيك وإثارة الشبهات ليضعفوا الإيمان فى نفوس المسلمين، وليزعزعوا ثقتهم فى الإسلام، وقد نزل فيهم قوله تعالى: **﴿ودّ كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفارا حسدا من عند أنفسهم﴾** سورة

البقرة: آية ١٠٩. وقوله تعالى: **﴿ودت طائفة من أهل الكتاب لو يضلونكم وما يضلون إلا أنفسهم وما يشعرون۞ ياأهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله وأنتم تشهدون؟۞ ياأهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق وأنتم تعلمون﴾** سورة آل عمران: الآيات: ٦٩ - ٧١.

وحكى القرآن الكريم أيضا موقف اليهود من عداء المسلمين بقوله: **﴿لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى﴾** سورة المائدة: آية ٨٢.

وفى العصر الحديث أقاموا أكبر فتنة للإيقاع بين الغرب والمسلمين، وأعلن زعماؤهم أن المسلمين هم العدو اللدود للغرب بعد الشيوعية، وبعد نهاية الاتحاد السوفييتى، وظهرت بذلك خرافة «صراع الحضارات» حيث انطلق برنارد لويس وهانتنجتون، ومن سار على دربهما مثل ريتشارد نيكسون فألفوا الكتب وكتبوا المقالات لتحريض الغرب على المسلمين، ولم ينسوا مبدأ مهما هو تقوية أعداء المسلمين لينضموا للغرب فى صراعه ضد المسلمين، وكانوا يقصدون بذلك مزيدا من مساعدة إسرائيل التى أحدثت الفتنة وسارت فى ركابها.

ولكن هذه المقولة المشبوهة «صراع الحضارات» كانت قصيرة العمر، فقد أدرك بعض زعماء الغرب جذور هذه الوقيعة بينهم وبين المسلمين، وأظهرت الحقائق والإحصائيات أن المسلمين من أقل الناس إثارة للثورات وصنوف الإرهاب وتذكر الإحصائيات الرسمية وتقارير الخارجية الأمريكية أن أخطر أحداث الإرهاب والتخريب هو ما وقع فى «أوكلاهوما فى ابريل سنة ١٩٩٥م» الذى قتل وأصيب فيه ٧٠٠ شخص ونُسب هذا العمل الإجرامى أولا إلى إرهابيين من الشرق الأوسط، ثم ظهر أن الجناة اثنان من الأمريكيين البيض ونشرت أسماؤهما.

وتقرر هذه الإحصائية أن من بين ١٧١ شخصا اتهموا بالإرهاب لا يوجد بينهم إلا ١١ من العرب المسلمين بنسبة ٦٪. وفى التسعينيات كان ٩٦٪ ممن أدينوا بالإرهاب ليسوا عربا ولا مسلمين.

وهذه الحقائق دفعت الرئيس الأمريكى بيل كلينتون أن يعلن فى خطابه فى الأمم المتحدة هذا العام فساد نظرية «صراع الحضارات» وأن المسلمين ليسوا أعداء للغرب.

وفى نفس الوقت صرح روبن كوك وزير خارجية بريطانيا أن من الظلم الاعتقاد بنظرية «صراع الحضارات» وذكر أن الغرب محتاج للمسلمين كأصدقاء لا كأعداء، ثم كرر كما كرر كلينتون فضل الإسلام على الثقافة الغربية التى تعتبر مدينة للمسلمين.

وما كادت هذه النظرية تترنح وتتجه للغروب حتى كان اليهود يدبرون مؤامرة جديدة ضد مصر التى تعد من أكبر دعائم الاستقرار فى العالم الإسلامى والتى هى مشغولة تماما بالتنمية وترقية اقتصادها بعد سنوات الحرب التى أضعفت هذا الاقتصاد.

وكان الادعاء الجديد متجها إلى أن فى مصر اضطهادا دينيا ضد الأقباط، وأنهم لذلك ينشدون العون ضد المسلمين.

ووجد اليهود ضالتهم فى بعض الأقباط المهاجرين الذين أعماهم حب المال عن الوطن، والذين اكتسحهم الإغراء اليهودى، وإذا بهؤلاء يتكلمون بلسان اليهود عن هذا الاضطهاد المزعوم.

وهذا التضليل دفع الكونجرس إلى اعتماد قانون مكافحة الاضطهاد الدينى، وأدخل القانون مصر ضمن الدول التى يمكن أن ينطبق عليها هذا القانون رغم حذف الإشارة الصريحة لمصر فى الصياغة الأخيرة بهذا القانون.

وبناء على هذا القانون يوقع رئيس الولايات المتحدة عقوبات ضد الدولة التى ترى أمريكا أنها تمارس الاضطهاد الدينى.

وقد غضب المصريون جميعا لا فرق بين مسلم ومسيحى لهذا القانون الجائر الذى يتدخل فى حياة مصر الداخلية ويزرع البغضاء بين المصريين ويوحى بأن بعضهم يحتمى بالخارج ضد أهله ومواطنيه.

ولا نجد فى الرد على هذا القانون الجائر أقوى من الحقائق التالية:

- هذا القانون كان استجابة لادعاء نشرته (مسز لامب) فى صحيفة (صنداى تلجراف) الانجليزية يعلن عن اضطهاد المسلمين بمصر لأقباطها، وقد أخذت هذه السيدة مبلغ ٣٥٠,٠٠٠ دولار أجرا لهذه الفرية، وهذه الصحفية دونت هذه السطور من وحى نفسها الشريرة دون أن تزور مصر أو ترى قرية (الكشح) التى كتبت عنها وأفرغت سمومها مدعية أن المسلمين صلبوا الأقباط فيها وأوقعوا بهم الأذى.

وهذه الصورة هى نتاج فكرها المريض، وربما نتاج بعض صغار النفوس من الخونة المهاجرين الذين استجابوا للمال اليهودى وللمصلحة الخاصة، وتظهر الحقائق حول هذه الفرية عندما يتضح أن هذه القرية شهدت مقتل شخصين من الأقباط على يد بعض الأقباط أيضا الذين اعترفوا بجريمتهم.

ولا تجد فى الرد على هذا القانون الجائر أقوى من الحقائق التالية:

- هذا القانون تفوح منه رائحة العصبية الممقوتة، فهو يجيز للولايات المتحدة أن تعاقب الدولة المسلمة التى تتهم باضطهاد المسيحيين، أما الدولة التى تضطهد غير المسيحيين فلا ينطبق عليها هذا القانون، فلا يعاقب الصرب لعمليات القتل والسطو والاغتصاب التى أحدثوها فى البوسنة والهرسك وكوسوفا، ولا تعاقب الفلبين على ما أحدثته من عدوان ضد المسلمين بها، ولا تعاقب إسرائيل على عدوانها المتكرر على المسلمين فيها وخارجها.

- الولايات المتحدة هى التى تمد المعتدين بأدوات العدوان فى البلاد المختلفة فالقنابل المسيلة للدموع وغاز الأعصاب والعصى المكهربة وغيرها كلها صناعة أمريكية يستعملها الذين يناهضون حقوق الإنسان.

- زار وفد كنائس نيويورك مصر والتقى بقداسة البابا شنودة وزار مناطق عديدة من مصر وعاد يقول إنه لم يجد اضطهادا دينيا بمصر، ووجد المصريين شعبا واحدا متماسكا لا فرق بين مسلم وقبطى.

- قال اللورد كرومر وهو من أخطر أعداء مصر الذين مثلوا الاحتلال البريطانى.

إنه لا يجد فى مصر شيئا يميز بين المسلم والقبطى لا فى الشكل ولا فى الزى ولا فى العادات والتقاليد أو حتى فى أسلوب المعيشة، والشىء الوحيد الذى يميز بينهم أن المسلم يعبد الله فى المسجد، والمسيحى يعبد الله فى الكنيسة.

- إن بعض أقباط المهجر الذين باعوا أنفسهم للشيطان الصهيونى هم منبع الاتهام الأثيم، وهو اتهام ضد شعب يحكم بدستور واحد، وبقواعد المحبة والود بين الجميع وأن من بين الأقباط عددا من الوزراء والنواب ورجال السياسة البارزين، ورجال الأعمال والاقتصاد الذين انفسح أمامهم المجال لتكوين الثروات والشركات، ولا نريد أن نذكر بالتفصيل ما يملكه أثرياء الأقباط من ثروات واسعة.

- وقد شن المستشار القبطى الدكتور إدوارد غالى هجوما قويا ضد هذا القانون الأمريكى، وعلى كل من ردد هذه الأكاذيب ضد مصر وقال: إن ما رددته الصحافة فى شأن هذا الاضطهاد المزعوم ليس إلا صيحة من أعداء مصر الذين يسوؤهم الدور الريادى الذى تقوم به مصر فى المنطقة سواء فيما يتعلق بتأثيرها السياسى والاجتماعى أو بمشروعاتها التنموية العملاقة، وأن هذه الكاتبة التى كتبت المقال المشبوه لم تزر مصر إطلاقا.

ونقول لمن يريد أن يعرف الحق إننا نعيش فى حياتنا متمثلين بقوله تعالى: **﴿ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة﴾** سورة النحل: آية ١٢٥، وقوله: **﴿فذكر إنما أنت مذكر لست عليهم بمصيطر﴾** سورة الغاشية: آية ٢١ ، ٢٢. وقول الرسول ﷺ: **«إن الله سيفتح لكم بعدى مصر، واستوصوا بقبطها خيرا»**.

ومن هنا نجد الوئام والسلام يربط بين المسلمين والأقباط، فنحن جميعا ننحدر من أرومة واحدة، التحق بعضها بالإسلام، وبقى آخرون على دين الأجداد، ونعيش معا فى عمارة سكنية واحدة وجمعتنا معا المدرسة والجامعة والمكاتب والسوق والمواصلات والحفلات، وفى مصر أسماء مشتركة كثيرة يسمى بها المسلمون والأقباط ذكورا وإناثا.

فليخجل الذين يريدون أن يفرقوا بين شعب واحد تربطه أعز الروابط مدى ذلك التاريخ الطويل.

أما تاريخ الاضطهاد الدينى الحقيقى فسيكون موضوع حديثنا التاريخى التالى إن شاء الله.

ونختتم هذا الحديث باقتباس بعض الكلمات والجمل من البيان الذى أصدره قداسة البابا شنودة بطريرك الأقباط الكاثوليك قال سيادته: إن ما نشر فى وسائل الإعلام الأجنبية يسىء إلى سمعة مصر، وإن المسيحيين المصريين لا يقبلون التدخل الأجنبى فى الأمور الداخلية، وليس هناك خلاف طائفى بين المسلمين والمسيحيين بل إن العلاقة بينهما طيبة للغاية، ونحن لا نقبل التدخل الأجنبى فى أمورنا الداخلية.

وهذه كلمات فاصلة تدمغ الادعاءات الكاذبة.

# هذا القانون الأمريكى المشبوه!

**اعتمد الكونجرس الأمريكى مؤخرا قانون مكافحة الاضطهاد الدينى، بعد مقدمات مهدت له، وهيأت الكونجرس لتقبل فكرة أن مصر من بين الدول التى يمكن أن ينطبق عليها هذا القانون، رغم حذف الإشارة إلى مصر صراحة فى الصياغة الأخيرة للقانون، ويثير هذا القانون مشاعر المصريين.. ولهم الحق فى ذلك.**

رجب البنا

من حق المصريين أن يشعروا بالغضب تجاه هذا القانون، وما سبقه من مؤامرات ومناورات فى الإعلام وفى كواليس السياسة الأمريكية لتشويه صورة العلاقة بين المسلمين والمسيحيين المصريين فى وطنهم، مع أن الصداقة بين البلدين لا تحتاج إلى دليل، ولكن ازدياد قوة ونفوذ اللوبى الصهيونى فى الكونجرس، وفى وسائل الإعلام، وداخل البيت الأبيض أيضا، كان وراء الحملة الغريبة التى كان هدفها اختلاق وقائع، والتهويل فى تناول أحداث فردية لكى تبدو وكأنها سياسة عامة، وكذلك فإن استخدام عدد من المصريين المهاجرين فى أمريكا من المغامرين، والباحثين عن الثروة أو المكانة والراغبين فى تقديم خدمات للوبى الصهيونى تفتح لهم الطريق فى المجتمع الأمريكى.

وكانت البداية حملة صحفية ومنشورات أعقبتها لجنة استماع فى الكونجرس، ثم زيارة وفد كنائس نيويورك، فلما أعلن هذا الوفد أنه التقى بقداسة البابا شنودة وبجميع المسئولين، وزار مناطق عديدة فى مصر فلم يجد اضطهادا ولا شعورا بالكراهية، ووجد المصريين شعبا واحدا متماسكا، ولا فرق فيه بين مسلم ومسيحى، جاء عضو الكونجرس الأمريكى فرانك وولف الذى كانت مواقفه عدائية فى أثناء زيارته لمصر،

وبعدها، حتى أنه هاجم كل من قابله فى مصر وأكد له أن الشعب المصرى نسيج واحد، وسيظل كذلك لأنه ليس فيه اختلافات ثقافية وكله من أصول واحدة.. ثم جاء هذا القانون الذى واجه معارضة فى الكونجرس، وتم تعديله لحذف الإشارة إلى مصر، ولكنه مع ذلك سلاح سام فى ترسانة اللوبى الصهيونى إن لم يستخدم اليوم فقد يستخدم غدا، ولذلك فإن الدور على الرئيس الأمريكى لإيقاف هذا القانون أو للتصريح علنا بأنه لا ينطبق على مصر.

ومن حقنا أن نشعر بالشك والقلق من هذا القانون ونحن نرى أن فريقا آخر فى الأوركسترا بدأ يعزف فى بريطانيا نفس النغمة المسمومة، ويصعد بها إلى درجة اللامعقول، وذلك بمقال نشرته صحيفة «صنداى تلجراف» يوم الأحد الماضى وصلت فيه بالكذب إلى مداه، وقالت: إن المسيحيين فى مصر يتعرضون للسجن والقتل والتعذيب، إلى حد أنهم يصلبون على أبواب بيوتهم، وتدق أيديهم بالمسامير.. و..... و..... افتراءات وقصص وهمية مختلفة لا يمكن أن يصدقها إلا مخبول.

والقانون الأمريكى يمكن أن يتحول إلى سلاح سياسى لممارسة الضغوط السياسية والاقتصادية على الدول التى يمكن اختلاق اتهامات لها بممارسة الاضطهاد الدينى، ومن الممكن أيضا أن يكون سلاحا لتأليب أبناء الشعب الواحد، وإثارة التفرقة فى صفوفهم، ودس عوامل التفرقة وإيجاد حساسيات دينية لا أساس لها. هى فى النهاية وسيلة لإضعاف مصر، وتمزيق وحدتها، وتفتيت صلابتها.. وهذا أمر محال لأن وعى الشعب المصرى على مر العصور شديد اليقظة لمثل هذه المؤامرات، وقد أحبطها منذ الاستعمار الفرنسى والاستعمار البريطانى، ولم يبق فى مصر إلا الشعب الذى صرح المندوب السامى البريطانى اللورد كليرن بأن كل محاولاته للوقيعة بين مسلميه ومسيحييه فشلت لأن فى مصر شعبا يعبد الله الواحد، بعضه يعبد الله فى المسجد، وبعضه يعبد الله فى الكنيسة، والجميع يعيشون معا إخوة بلا أية بذور للعداوة.

لكن القانون الذى اعتمده الكونجرس يعطى الرئيس الأمريكى صلاحيات وسلطات لمعاقبة الدول التى ترى أمريكا أنها تمارس الاضطهاد الدينى، وتكفى رؤية أمريكا دون التزام بإقامة دليل على ذلك، ومفهوم الاضطهاد الدينى وفقا لهذا القانون غامض وغير محدد، مما يدل على أن القانون ليس إلا ذريعة للتدخل الأمريكى فى الشئون الداخلية للدول، وجعل الرئيس الأمريكى رئيسا للعالم، فيقرر هو فرض عقوبات أو رفع عقوبات تبعا للمصلحة الأمريكية التى ينص القانون على أنها هى الأساس والدافع الوحيد، دون

خجل مما فى ذلك من ازدواجية المعايير وعدم الموضوعية، بدليل أن أحدا لم يشر إلى إسرائيل وهى الدولة التى تمارس الاضطهاد الدينى علنا وعلى أوسع نطاق، كما لم يشر إلى الحكومة الصربية أو الدول الأخرى التى تمارس الاضطهاد الدينى ضد المسلمين والإسلام، مما دعا منظمة حقوق الإنسان إلى إصدار بيان تعليقا على هذا القانون قالت فيه: إن ادعاء أمريكا بأنها المسئولة عن حماية الأقليات وحقوق الإنسان فى العالم ليس إلا أكذوبة كبرى ويكفى أن الأسلحة التى تستخدمها الدول لانتهاك حقوق الإنسان، ومنها أسلحة وأدوات القتل والتعذيب التكنولوجية الحديثة هى صناعة أمريكية ابتداء من القنابل المسيلة للدموع وغاز الأعصاب والعصى المكهربة، إلى الرصاص المطاطى، والعقاقير التى تجعل الإنسان يفقد عقله وقدرته على التفكير المنطقى، أو تجعله يدلى باعترافات دون وعى.. وإسرائيل تستخدم كل هذه الوسائل الأمريكية..!

ومن الغريب أن تفرض أمريكا على دول العالم قيما ومعايير من عندها، وتستعمل الدين قناعا للمصالح الأمريكية.

وفرض الهيمنة بالضغوط والتهديد، يدين هذا القانون غير الأخلاقى.!

وماذا نعمل والكونجرس الأمريكى لا يريد أن يفهم حقيقة الإسلام الذى يلزم أتباعه بالإيمان بالرسل والرسالات السابقة على الرسول محمد ﷺ وهذا قمة التسامح بينما لا يؤمن الغرب بالإسلام وكتابه ورسوله، وفى القرآن الكريم: **﴿قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل واسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتى موسى وعيسى وما أوتى النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم﴾** سورة البقرة: آية ١٣٦.

وفى الدستور المصرى تنص المادة ٤٦ على إلزام الدولة بكفالة حرية العقيدة وحرية ممارسة الشعائر الدينية، وفى قانون العقوبات المصرى حماية قانونية لقدسية الأديان وفى المادة ١٦٠ عقوبات لكل تشويش على إقامة شعائر ملة أو احتفال دينى خاص بها أو تخريب أو إتلاف أو تدنيس مبنى من المبانى المعدة لإقامة الشعائر الدينية دون تفرقة بين الأديان مع تشديد العقوبة إذا كانت الجريمة من جرائم الإرهاب.

إذا كان الكونجرس الأمريكى لا يريد أن يفهم ذلك.. ولا يريد أن يدرك أن الأقباط فى مصر لا يندرجون فى تعريف الأقليات ووضعهم ليس كوضع المسلمين فى الفلبين والهند أو ألمانيا أو أمريكا نفسها.

فما ذنبنا إذا كان الكونجرس لا يريد أن يفهم..؟

# الحوار الإسلامى المسيحى.. إلى أين؟

**إن المسيحيين والمسلمين، وقد فرض عليهم وحى إيمانهم ودينهم أن يسهموا فى مسيرة البشرية لا يمكنهم الوقوف على الحياد وقفة المتفرج السلبى وهم يرون العالم من حولهم يتخبط فى تقلبات أخلاقية واجتماعية صاخبة، والأسرة البشرية ماضية إلى طريق وحدة لا مناص منها لكنها تسير فى درب مجهول، فلم تتضح بعض معالم هذه الوحدة، أو ما يسمى بالعولمة وبعضهم يحاول عولمة الدين أى يجعله أمرا ثانويا أو نوعا من ألوان الترف العاطفى فيفرغونه من جوهره، كعنصر حيوى ليكون كيان الإنسان سويا، بل هناك جهود لإبداع حضارة «تستبعد» الله والقيم الروحية الخالدة التى زرعت فى صميم نسيج الإنسان يريدون أن تقام حضارة لا دور للدين فيها تسخر من المبادئ الإيمانية كما تعبث بحكمة الموت أو بروعة الحياة بعد الموت.**

**د. الأنبا يوحنا قلته**

لقد تنبأ «نيتشة» فى القرن الماضى بزوال فكرة «الدين» وبسقوط القيم الروحية، وحسبه الإيمان بقيمة «القوة» ولا شىء غير القوة، ومات نيتشة فى مستشفى الأمراض العقلية.

وفى غروب القرن العشرين وأشعة فجر القرن المقبل تضىء أفق التاريخ وتتجدد دعوة موت الدين بصورة أخرى أننا نشهد انتصاب أصنام جديدة، فالجنس «هبة الله» ليس أمرا بيولوجيا صرفا، بل هو طاقة تتصل بعمق أعماق الشخص البشرى، لكنه كما تذيع أطباق الفضاء بلا حياء أو وازع من ضمير، أصيب فى معناه الأصيل، كما أصيبت الحياة كلها تحت تأثير ثقافة فلسفة اللذة المادية، أو لذة اللحظة العابرة إنه صنم يتعبد له الكثيرون فى غير مبالاة، فالوثنيات تتوالد وهى أقوى منها فى أى وقت مضى تستعبد مخلوقات الله باسم السلطة أو المال وباسم العلم والاستهلاك والشهرة الباطلة والحرية الكاذبة.

إننا مسيحيون ومسلمون أمام عالم يضج بالانقلاب الأخلاقى وصراع الغرائز وتضييع قيمة الإنسان وقيمة الحياة، وبرغم ذلك كله وبرغم ضباب فكرى يلف عقل العالم وغزوة مادية، فإن بحث الإنسان عن الله يشتد، والجوع إلى القيم

الروحية يصرخ فى أعماق البشر وكل الطاقات المادية المكتشفة والتى نحن فى سبيل اكتشافها لن تستطيع أن تحل محل الإديان، ولا توازى كلها لحظة صلاة عميقة خالصة لله، ولا تساوى كلها قيمة روح إنسان واحد إننا لا نريد أن يشكلنا الآخرون بل نريد أن نشكل أجيالنا بنسيج ثقافتنا وتراثنا، ولا يقتل نهمنا للعلوم راحة ضميرنا ويدمر صلابة إيماننا، فالأديان تعطى الجواب عن كل سؤال يعجز العلم عنه «ماهو الإنسان؟» ما هو معنى وغاية حياتنا؟ ماهو الخير وما هو الإثم؟ من أين ينشأ الألم وما معناه؟ ما السبيل إلى الحياة الحقيقية؟ ماهو الموت والحياة بعد الحياة؟ وأخيرا ماهو السر السحيق؟ سر مجيئنا إلى الحياة ورحيلنا عنها.

ألا تستحق كل هذه القضايا أن يلتقى المسلمون والمسيحيون لتدارك أمر البشرية اللاهثة وراء زيف المادة وبريق اللذة وتوهج الغريزة. إن الحوار بين المسلمين والمسيحيين ليس بالأمر الجديد وليس بدعة وإنما هو تيار روحى وعقلى موجود منذ بزوغ فجر الإسلام، فقد استيقظ المسيحيون على صوت دعوة جديدة تدعوهم إلى كلمة سواء، فكان الحوار بالتى هى أحسن تارة، وكان فى مناخ من الخوف والقلق تارة أخرى، والمسيحيون أمام الإسلام وانتشاره تمتلكهم مشاعر غامضة تبعث على التساؤل الحائر والغضب والتهجم والمسلمون امتدت حضارتهم إلى أقاصى الأرض ثم دنت شمسها للغروب فى شك من اندلاع حملات صليبية جديدة، وفى شك من هذه الحضارة المادية الوافدة من بلدان الغرب، فهل يعقل أن يكون الدين وهو سمو العقل ونبل الروح ونقاء الضمير مصدرا من مصادر الحروب والدمار والدموع؟ أم أن الحاجة إلى أن يلتقى المؤمنون بالله وبالمصير الأبدى وبقيم الروح للبحث عن بناء حضارة إنسانية لها جذورها الروحية وللدفاع عن حقوق الإنسان وعن العدالة والحرية، وعن كرامة الفرد وقدسية الأسرة؟ وبرغم اعتراض البعض على هذا الحوار بدعوى أنه من نوافل الأمور ويتساءل هل الحوار يغير شيئا؟ الإسلام هو الإسلام والمسيحية هى المسيحية؟

نقول: نعم سيبقى الإسلام بعقيدته وثوابته وقيمه، وستبقى المسيحية بعقيدتها وثوابتها وقيمها، من يستطيع أن يقول غير ذلك.

إن الهدف من الحوار لا يمس الدين والإيمان، وإنما يمس الإنسان المؤمن، والحوار لا يغير أمور الدين وإنما يغير فكرة الإنسان عن أخيه الإنسان الآخر يزرع حبا بدل الكراهية، تفاهما بدل الخصام. تفهما بدل العنصرية. الحوار يقيم جسورا من الود والاحترام لكل ما يؤمن به الإنسان. الحوار دخول إلى أعماق الإنسان الآخر ليرى صدق إيمانه ورجائه فى الله.

إن هناك حقائق بدهية ينبغى أن تدفع إلى الحوار وتقويته، ومنها أن الكرة الأرضية لم يسيطر عليها دين واحد فى أية مرحلة من مراحل تطورها وتاريخها خلال ثلاثين حضارة مرت عليها، وكل دين له مذاهبه وفرقه ونحله، ومن ثم كانت

التعددية سمة للإنسانية وإن الاختلاف بين الأديان سر إلهى، ومن الحقائق الثابتة أن لا إنسان يستطيع أن يقول «أنا أمتلك الله» أنا أمتلك الحق كله وإنما جل ما يستطيع أن يقول المؤمن: «امتلكنى يالله» وكل المؤمنين بالله هم فى طريق إيمانهم يخضعون أمام الله تبارك وتعالى المصدر والغاية الألف والنهاية.

ولا ينكر عاقل أن الحوار هو سبيل إلى المستقبل ينبغى أن يعبر فوق تاريخ حافل بالعداء والبغضاء والحروب وفوق حاضر يمزقه عدم الثقة، إن العالم فى أشد الحاجة إلى حوار المسلمين والمسيحيين من أجل حضارة قادمة يجب أن تبنى على أسس روحية.

كان هناك حوار لم ينقطع بين المسلمين وبين المسيحيين منذ بدء انتشار الإسلام وامتد إلى عصر الأمويين والعباسيين وقامت الحضارة الإسلامية شامخة لها سماتها الإسلامية ولها شموليتها العربية ولها نفوذها الإنسانى، لم يتخلف المسيحيون عن إخوتهم المسلمين فى تشييد صرح هذه الحضارة، بل تكاد مهن بعينها احتكرها المسيحيون كالطب والهندسة والفلك، ولم يجد المسلمون حكاما وشعوبا أية غضاضة فى هذا الأمر «أن لهم مالنا وعليهم ما علينا» ومنذ بداية هذا القرن العشرين المتحضر والعلاقات بين المسيحيين والمسلمين تنمو وتتوسع وتقوى باطراد.

إننا نمضى نحو العيش المشترك أساسه الاحترام والمعرفة، فلم تعد هناك بلدان إسلامية لا يحيا فيها مسيحيون ولم تعد هناك بلدان مسيحية لا يحيا فيها مسلمون، إن الله رحمن رحيم غفور يريد أن يغفر كل منا آثام الماضى، وأن ينسى مخلفات عصور الحروب الدينية والمجابهات الجاهلة.

هل يملك المسلمون والمسيحيون ـ معا وفى كفاح متحد ـ ما يمكن أن يحرر إنسان العصر الذى تجرفه حضارة مادية كاسحة من عوامل الاستعباد المادى والفكرى، ولعل أشد أنواع الاستعباد أن تقتل النبض الروحى فى أعماق الإنسان لتحوله إلى آلة إنتاج واستهلاك؟ هل لديهم الطاقة الروحية التى تربط بين وجدانهم لكى يكتشف إنسان القرن الحادى والعشرين سر عظمة الخالق وسر رحمته ومحبته للبشر؟ هل لديهم القدرة على البرهان أن الله يجمع ولا يفرق وأن الدين طاقة بناء لا تدمير وأن الاختلاف والتعدد ليس معناهما العداء والكراهية؟

من أجل هذه التوجهات صدر نداءان، نداء مسيحى صرح به المجمع الفاتيكانى الثانى عام ١٩٦٤م وقال: «.. ولئن كان قد وقع فى غضون الزمان كثير من المنازعات والعداوات بين المسيحيين والمسلمين فإن المجمع يحضهم جميعا على نسيان الماضى والعمل باجتهاد صادق فى سبيل التفاهم فيما بينهم وأن يحملوا ويعززوا كلهم معا من أجل جميع الناس العدالة الاجتماعية والقيم الروحية والسلام والحرية.

ونداء من مؤتمر العالم الإسلامى ـ أغسطس

١٩٧٥م ـ «إن علاقات من المشاركة بين المسيحية والإسلام هذين الدينين العالميين الكبيرين هى أمر طبيعى قد شاءه الله، ولذلك فإن التعاون الوثيق بين المسيحيين والمسلمين هو مفروض بحدة لصالح السلام العالمى وضمان مستقبل البشرية».

اتصلت الجهود الرائعة من علماء المسلمين والمسيحيين ووضع الفاتيكان المبادرة التى غيرت كثيرا من المفاهيم السائدة، فأنشأ مجلس الحوار بين الأديان وصدرت وثائق عدة وتمت لقاءات مكثفة مع مختلف الشعوب الإسلامية ولعل آخرها لقاء لجنة الحوار مع الأزهر الشريف فى القاهرة خلال شهر يوليو ١٩٩٨م.

وفى تونس أنشئت جمعية الأبحاث الإسلامية ١٩٧٨م بإشراف الأستاذ عبدالمجيد الشرفى والأب كاسبار ونشرت كتابين بعنوان «الكتاب المقدس والقرآن الكريم» و«الإيمان والعدالة تحد مشرك تجاه المسيحية والإسلام» وفى الأردن برعاية ولى العهد قامت مؤسسة آل البيت بعمان بجهود ملموسة فى هذا المضمار ونشر الأستاذ محمد الطالبى كتابه «عيال الله».

وفى المؤتمر الإسلامى السنوى الذى يقيمه المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بمصر يدعى مفكرون مسيحيون من الغرب والشرق وتجتمع سنويا لجنة الحوار العربى الإسلامى المسيحى فى إطار نشاط مجلس كنائس الشرق الأوسط، كما لا يمكن أن نغفل جهود مركز حوار الحضارات الذى أنشأته الهيئة القبطية الانجيلية ويعقد ندوتين كل عام ولا ينكر ما لذلك من تأثير إيجابى على المشاركين المسلمين والمسيحيين، كذلك لا ننسى مساعى جماعة الإخاء الدينى بين المسلمين والمسيحيين والتى كان للشيخ الباقورى وللدكتور عبده سلام والأب قنواتى رحمهم الله دور رائع فى إرساء هذه الحركة البناءة فى مجال الحوار.

وقد اجتهد الدكتور هشام نشابة والأب أوغسطين فى جمع البيانات الإسلامية المسيحية المشتركة من ١٩٥٤ ـ ١٩٩٢م والتى صدرت عن ٢٥١ اجتماعا ولعل من أهم الموضوعات التى نوقشت خلال الأعوام الماضية:

ـ الضمير المسيحى والضمير الإسلامى فى مواجهتهما تحديات التنمية (١٩٧٤م).

ـ معانى الوحى والتنزيل ومستوياتهما فى كل من الديانتين (١٩٧٩م).

ـ حقوق الإنسان ومشاركة المسلمين والمسيحيين فى الدفاع عنها (١٩٨٣م).

ـ الحياة الروحية: مطلب يقتضى العصر تحقيقه (١٩٨٦م).

ـ المشاكل الأخلاقية والاجتماعية التى يواجهها المسلمون والمسيحيون اليوم (١٩٩١م).

وكم أسعدنى أن أشارك فى الكثير من هذه اللقاءات أرقب فجرا جديدا مع إشراقة القرن المقبل سيسطع على روابط الإخوة بين المسلمين والمسيحيين ستبدد أنواره حيرة المتشككين والمترددين، فلن يضير الحوار الإسلام فى شىء كما لن يضير الحوار المسيحية فى شىء. بل أغلب الظن أن الحوار سينير وجدان كل مؤمن بالله لأن إرادة الخالق أن يتحد البشر فى خشوع أمامه تبارك وتعالى.

# التأصيل التاريخى للوحدة الوطنية فى مصر

أود أن أنبه.. بادىء ذى بدء.. إلى أن حديث البحث ليس حديثا- وما ينبغى له أن يكون - عن الوحدة الوطنية فى مصر لأننا نعيشها منذ القدم واقعا مصريا ونمارسها فعلا يوميا حيث تتلاصق الدور، وتتجاور القبور، وتتشارك القدور، وحيث تترامى على ثرى الأرض الطيبة مآذن المساجد وأبراج الكنائس متآخية متناغمة، بل حديثا عن التأصيل التاريخى للوحدة الوطنية فى مصر الكنانة باعتبارها صيغة كونية ومسيرة أزلية وفريضة دينية ووصية إسلامية وقاعدة دستورية.

**الأستاذ/ فهمى ناشد**

إنه تاريخ طويل يبدأ فى مصر القديمة ويقرأ قراءة صحيحة من صناعه الحقيقيين من المصريين الذين عرفوا التوحيد قبل الأديان وأبدعوا الصيغة الكونية للإنسانية التى تجمع بين التوحيد والتوحد: التوحيد بالله والتوحد فى الوطن ومن ثم فقد وقفوا صفا واحدا على مر التاريخ يتصدون للغزو الأجنبى ويظلون على مدى أربعة عشر قرنا من الفتح العربى- أقباطا ومسلمين- فى رباط إلى يوم القيامة خير أجناد الأرض يصدون معا حملات الغزاة فيردون الهكسوس والفرنجة (الصليبيين) والحملة الفرنسية، والاستعمار البريطانى، والعدوان الإسرائيلى على مصر والوطن العربى.

إن بداية مسار الوحدة الوطنية فى مصر جاءت مع بداية فتح مصر فلا يأتى الفتح الإسلامى قصرا أوغزوا، بل صلحا ينعقد فى معاهدة تكشف بنودها عن أصالة البعد الدينى المصرى سواء بين المصريين الذين يعانون من اضطهاد الرومان لعقيدتهم المسيحية، أوالمسلمين الذين يلتزمون بعقيدتهم الإسلامية بأن لا إكراه فى الدين، ويصاغ عهد يكتبه عمرو بن العاص- كما أخرجه الطبرى- عهد الله ورسوله وعهد أمير المؤمنين (بسم الله الرحمن الرحيم.. هذا ما أعطى عمرو بن العاص أهل مصر من الأمان على أنفسهم وملتهم وأموالهم وكنائسهم وصُلُبهم فى برهم وبحرهم لا يدخل عليهم شىء من ذلك ولا ينقص).

لم يأت عهد الفتح بالأمان على النفس والمال والعقيدة وشعائر العبادة من فراغ، بل جاء إعمالا لأحكام الدين الحنيف بحرية العقيدة وللتنزيل الحكيم بأن **«لا إكراه فى الدين»**.

وقد شرفت مصر بالوصية النبوية المشرفة الأخيرة فيما حدَّث به عبد الله بن مسلمة عن عبدالله بن وهب (أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم- سألوه- وهو على فراش المرض- فقال

**«قبط مصر. فإنهم أخوال وأصهار وهم أعوانكم على عدوكم، وأعوانكم على دينكم»**، وهو أول دستور يحكم مصر منذ بداية الفتح الإسلامى- أقباطا أخوالا ومسلمين أعماما فى أسرة اوحدة- متعاونين فى أمور الدنيا متساندين فى شئون الدين تكريسا لحكم الدين الحنيف بأن الدين واحد والشرائع شتى، وإيمانا بالرسالات السماوية لا يفرق بين كتبه ورسله وأنبيائه أجمعين.

ومن هذا الدستور الإسلامى يولد على أرض مصر أول ميثاق عالمى لحقوق الإنسان الذى يحكم شعوب العالم اليوم والذى يتمثل فى مقولة عمر بن الخطاب بعد فتح مصر فى سنة ٢٢ هجرية «متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم احراراً؟! بعد أن تحولت تلك المقولة المشهودة لتكون المادة الأولى من الإعلان العالمى لحقوق الإنسان وقد حملت مصر مسئولية تكريسها عالميا فى إطار الأخوة الإنسانية الشاملة بواسطة الدكتور محمود عزمى ممثل مصر فى اللجنة التحضيرية لمشروع الإعلان العالمى لحقوق الإنسان فى مادته الأولى.. «يولد الناس أحرارا متساويين فى الكرامة والعدل»، والتى تقوم على مرجعية الخصيصة الإنسانية التى توحد بين البشر فى عملية الولادة، فحين يولد الإنسان إنسانا فقد حقت له كافة حقوق الإنسان وأولها حق المواطنة الكاملة دون أى انتقاص وبغير أية تفرقة بسبب الدين أوالجنس أو اللغة أواللون أوالوضع الاجتماعى أوالطبقى.

وهكذا تعكس فلسفة هذا الدستور الإسلامى العُمرى منهج الدين الخالص فى حقوق الوطن والمواطنة فلا تُؤدى سماحا أو تسامحا، بل فريضة من فرائض الدين التزاما بأحكام الوصية النبوية المشرفة المعروفة باسم الصحيفة (صحيفة المدينة) كأول وثيقة دستورية فى التاريخ تكرس حق المواطنة باعتبار أهل الكتاب مع المسلمين «أمة واحدة» يعاملون كمواطنين لا رعايا أ وأجانب **«لهم ما لنا وعليهم ما علينا»** فى الحديث النبوى الشريف.

حتى إذا امتدت مسيرة التاريخ إلى مصر الحديثة نرى ثورة ١٩١٩ تحرص فى نضالها الوطنى ضد المستعمر البريطانى على أن ترفع شعارها الوطنى الخالد.. «الدين لله والوطن للجميع»، وهو شعار يتمسك به الشعب المصرى حتى اليوم وإلى آخر الزمان.

ولا يغير من الأمر أن تشهد مرحلة السبعينات بعض الدعوات المعادية للمجتمع التى لا تستهدف ضرب الوحدة الوطنية وحدها، بل تستهدف الوطن بأكمله بتخريب الاقتصاد القومى فى عملية توظيف الأموال وضرب السياحة والاستثمار لخلق أزمة البطالة بما يسهل تجنيد أعداد من الشباب لخدمة أغراض الإرهاب، فضلا عن التحول من الإرهاب المسلح بقتل الابرياء من المواطنين ورجال الشرطة وذلك إلى الإرهاب المعنوى باشهار سلاح التكفير على التفكير والإبداع، بل على المجتمع بأكمله توصلا لقلب نظام الحكم والاستيلاء على السلطة!

وما كان لتلك العناصر المعادية للوطن والدين أن تحقق أهدافها لولا أنها عمدت من وراء ظهر المجتمع إلى إعداد خطة طويلة الامد تقوم على التدليس على الدين وإنكار الوطن بتنكيس علم مصر وإسقاط نشيدها القومى فى مدارسها والعبث بمناهج التعليم، بل وسرقة التعليم بأكمله!

وتنتهى مرحلة السبعينات العارضة فى تاريخ مصر الوطنى لتأتى مرحلة الثمانينات التى يبعث الله فيها لمصر الكنانة من أبنائها من يؤتيه الحكمة ويورثه الصيغة الكونية للإنسانية فى خصوصيتها المصرية، حيث عبرت التعاليم السرية لقدماء المصريين بأنه لا يمكن لأحد تقديمها ما لم يكن قد تلقى من الله ووُهب رؤية جديدة موافقة للحقيقة ومناسبة للعصر، فيبدأ الرئيس محمد حسنى

مبارك عهده بإعلان الخيار الديمقراطى، وباطلاق سراح المعتقلين من رموز العمل الوطنى، بل وبالإفراج عن عقل الأمة من خلال مشروع مبارك القومى للتعليم الذى يقوم على التجديد لا التقليد، والابداع لا الاتباع، ويستعيد انتماء مصر الوطنى الذى لا تنفصل فيه فكرة الوطن عن مبدأ الدين، ويستدعى هوية مصر العربية فى إطار الثقافة الإسلامية التى تقوم على مبادىء المواطنة والوسطية وحرية العقيدة والضمير وحقوق الإنسان والأخوة الإنسانية الشاملة والتى تلتف حولها مشاعر جميع المصريين- أقباطاً ومسلمين- باعتبارها القاعدة الصلبة لوحدة مصر الوطنية.

ومن يمن الطالع أن يتواكب فى مرحلة التسعينات من عصر مبارك مشروع مصر التعليمى الثقافى مع المشروع الحضارى الإسلامى الذى تقوم عليه النخبة القيادية فى المؤسسة الدينية الإسلامية المتوضئة بنور الإيمان وعطر الوطن حيث تتلاحم عبقرية الزمان والمكان والإنسان فى كل رمز من رموزها على مدى التاريخ فيما عبر عنه شيخ الأزهر خلال ثورة ١٩١٩ منذ ثمانين عاماً شعراً:

كلانا على دين به هو مؤمن

ولكن خذلان البلاد هو الكفر

وهو ذات ما يردده اليوم بطريرك الكنيسة المصرية البابا شنودة الثالث نثراً:

«ليس الوطن وطناً نعيش فيه، بل وطناً يعيش فينا»

وهكذا تبحر مصر إلى شاطىء القرن الحادى والعشرين على سفينة المؤسسة الدينية المصرية الشاملة سواء فى المؤتمر الإسلامى الدولى عن «الإسلام والقرن الحادى والعشرين» الذى استضافته القاهرة من ٢ حتى ٥ يوليو ١٩٩٨، أو فى نص الاتفاق التاريخى بين المجلس البابوى للحوار بين الاديان الذى وقع عليه كل من الكاردينال فرنسيس أرينزة رئيس المجلس، والمطران مايكل فيتز جيرالد أمين سر المجلس- وبين اللجنة الدائمة للأزهر الشريف لحوار الأديان السماوية التى وقع عنها كل من الشيخ فوزى الزفزاف وكيل الأزهر ورئيس اللجنة، والدكتور على السمان نائب رئيس اللجنة وذلك بتاريخ ٢٨ مايو ١٩٩٨ بحاضرة الفاتيكان.

وتقضى أحكام الاتفاقية بأن تؤدى الأديان الدور الخليق بها فى المجتمعات البشرية فى سبيل حل مشكلات الإنسانية جمعاء لتحقيق الأهداف الثلاثة التالية:

١ـ البحث عن القيم المشتركة تدعيما للعدالة والسلام، وترسيخا لقيم الأديان، والاحترام المتبادل بين المسيحيين والمسلمين فى كافة البلدان.

٢- تشجيع الموضوعات ذات الاهتمام المشترك كالدفاع عن كرامة الإنسان وحقوقه، ودعم روح الإخاء والتضامن والتعاون والمعرفة وتبادل المعلومات.

٣- التصدى سوياً للتطرف الدينى بوصفه تعبيراً عن النبذ ومصدرا للكره والعنف والإرهاب.

وهكذا تمضى مصر الكنانة.. أرض الحضارات وملتقى القارات والرسالات ومسار الرسل والأنبياء.. تمضى مصر بحضارتها العريقة ووحدتها الوطنية الراسخة على مدى الزمان وتنميتها الشاملة وضمانات دستورها الحديث لدخول القرن الحادى والعشرين استمرارا لدورها القيادى الرائد إلى أن تتجمع الكلمة فيشرق عصر تتكامل فيه البشرية بظهور الإنسانية الكونية ويبدأ عصر الإنسان حيث تحكم الضمائر من جديد وينتهى الشر والمرض والألم، وتمحى الكراهية والحقد والعمى، وتنقضى المكايدة والمحن والعناء، وتزول فوارق العنصر والجنس واللون واللغة والدين، وتختفى الحزبية والقبلية وبذلك تنتشر الجنة على الأرض.

# هل الأقباط مضطهدون؟

**بقلم : الأنبا بيسنتى •**

**منذ القرن السابع أى من حوالى أربعة عشر قرنا ومنذ دخول الإسلام مصر، وشعب مصر شعب واحد مسيحيون ومسلمون نسيج واحد يأكلون طعاما واحدا من أرض مصر الغالية ويستظلون بسماء مصر ويشربون من نيلها الخالد ويعبدون الإله الواحد، المسيحى فى الكنيسة والمسلم فى الجامع. تجمعهم قيم روحية مشتركة وتقاليد متشابهة جدا، الله محبة فى المسيحية، والدين المعاملة فى الإسلام، وحقوق وواجبات مشتركة «لهم ما لنا وعليهم ما علينا».**

وقفوا صفا واحد معا أمام المستعمر.. ففى أيام صلاح الدين الأيوبى وقفوا معا ضد المستعمر المسيحى الذى رفع الصليب «علامة المحبة والتضحية» ليحولوه إلى علامة الخراب والتدمير فى حروب الفرنجة التى عرفت أيضا بالحروب الصليبية، وأردوه خزيا منهزما عن مصر وعن القدس، وأهدى صلاح الدين الأيوبى ديرا لأقباط مصر فى القدس مكافأة لهم على وطنيتهم ووقوفهم ضد المستعمر المسيحى الغربى، وهذا الدير يعرف باسم دير السلطان إلى الآن «نسبة إلى السلطان صلاح الدين الأيوبى» والذى أخذه الصهاينة وأعطوه للأحباش بعد حرب ١٩٦٧م نكاية فى الأقباط وموقفهم الصلب والمناهض للصهيونية بالقيادة الروحية لقداسة البابا شنودة بالرغم من أن المحكمة الإسرائيلية العليا حكمت بأنه من ممتلكات الكنيسة القبطية.

وهكذا نجد أيضا نفس الوقفة الواحدة من شعب مصر الواحد أقباطا ومسلمين ضد المستعمر الفرنسى والمستعمر الانجليزى.. إلى أن وصلنا إلى ثورة ١٩١٩م حيث نجد ارتفاع شعار «الهلال والصليب والدين لله والوطن للجميع» أمام المستعمر الانجليزى الذى ابتدع مبدأ فرق تسد.. وإذا بالانجليز يصطدمون بواقع شعب مصر إنه شعب واحد فيجدوا القمص سرجيوس يخطب فى الأزهر محمسا الشعب المصرى المسلم بالوقفة الواحدة ضد المستعمر المسيحى البريطانى المرفوض من أقباط مصر.. فما كان من الانجليز إلا إصدارهم أمرا بسجن القمص سرجيوس لمدة تزيد عن شهرين، إلى أن وصلنا إلى حرب أكتوبر ١٩٧٣م حيث تحقق النصر لمصر بأيدى أبنائها أقباطا ومسلمين وسالت دماء شهداء مصر أقباطا ومسلمين فداء لأرض مصر.

فهل نقول أن هناك اضطهادا فى مصر بعد كل هذا؟! كلا إن ما نقوله أن هناك بعض المطالب للأقباط فى مصر.. وبعض هذه المطالب ليست خاصة بالأقباط وحدهم لكن هى عامة، ففى مصر دستور وقوانين لا تفرق بين مصرى وآخر بسبب الدين فقد يحدث لقبطى فى مصر مشكلة -

وأحيانا تنشر بعض المعلومات فى صحفنا ـ فإن القلة القليلة جدا من الأقباط الذين هاجروا (لأن غالبية الأقباط الذين هاجروا لهم حب وولاء عظيم لمصر ولرئيسها المحبوب محمد حسنى مبارك ولكل الشعب مسلمين وأقباطا، هؤلاء كانت لهم بعض المشكلات ولم يجدوا حلا يريحهم، إنهم يتلقفون مثل هذه المادة (المشاكل) ويسعون لنشرها فى الصحافة الغربية وبلاشك فإن العدو الصهيونى المتربص لوطننا ولنا جميعا أقباطا ومسلمين ـ يسعى لاستثمار هذه الأحداث لصالحه لضرب وإيذاء سمعتنا واقتصادنا ووحدتنا الوطنية لهذا فإنى أقترح:

أولا: التأكيد على المعاملة الحسنة العادلة لجميع المواطنين بصرف النظر عن الدين أو عن المركز الاجتماعى والذى أحسن يكافأ مسلما كان أم مسيحيا والمخطئ يعاقب مسلما كان أم مسيحيا.

ثانيا: لقد صرح الرئيس المحبوب محمد حسنى مبارك أنه لم يمنع تصريحا لبناء كنيسة، إن ما نرجوه تسهيل الإجراءات واختصار الوقت، فالشعب المصرى الآن لديه من الوعى والحب والفهم الذى يجعله يفرح ببناء الجامع ويفرح ببناء الكنيسة فللجامع والكنيسة رسالة واحدة لتنشئة المواطن المصرى المتدين المحب المتعاون والأمين لله وللوطن وللناس.

ولقد نشر هذا الخبر فى جريدة «الأهرام» يوم ٧ نوفمبر ١٩٩٨ أن فضيلة الإمام الأكبر د. طنطاوى شيخ الجامع الأزهر وقداسة الباب شنودة الثالث وقادة رجال الدين الإسلامى والمسيحى يفتتحان مسجدا ويضعان حجر أساس كنيسة فى محافظة البحيرة، إنها صورة رائعة سيراها العالم ويغبط شعب مصر على هذا. هنيئا لشعب مصر بهذه الوحدة الوطنية وبهذا الحب تحت رعاية السيد الرئيس المحبوب محمد حسنى مبارك راعى الوحدة الوطنية فى مصرنا الحبيبة.

■ أسقف حلوان والمعصرة والتبين ومدينة ١٥ مايو

# إرفعوا أيديكم عن الأقباط

المستشار الدكتور
ادوار غالى الدهبى

إن أشد ما يغضب الأقباط ويسيئ إلى مشاعرهم هو الحديث عنهم أو التعامل معهم كأقلية، فهم يحرصون داما على التعامل مع إخوانهم المسلمين باعتبارهم جزءا لا يتجزأ من نسيج المجتمع المصرى كله، الذى انصهر فى بوتقة واحدة على مر التاريخ وتكونت منه سبيكة متينة متجانسة لا يمكن الفصل بين أجزائها، ولذلك حق لمصر أن تتباهى بأنها أعظم بوتقة انصهار فى العالم.

لقد رفض الأقباط ـ على مر التاريخ ـ أى تدخل أجنبى فى شئونهم، وخير شاهد على ذلك موقف الأقباط من تصريح ٢٨ فبراير ١٩٢٢م، فقد ثاروا عليه وأسقطوه ورفضوا أن يكونوا تحت الحماية البريطانية. كما أنهم قاطعوا مؤتمر الأقليات سنة ١٩٤٤، ورفضوا وضعهم جنبا إلى جنب مع الأكراد فى العراق، والبربر فى المغرب العربى، والدروز فى إسرائيل، والأرمن فى لبنان، وأعلن رأس الكنيسة قداسة الباب شنودة الثالث أن أقباط مصر ليسوا أقلية ضمن أقليات العالم العربى والشرق الأوسط.

إننى أقول لكل من يحاول التدخل فى شئون الأقباط: إرفعوا أيديكم عن الأقباط، فأنتم لستم أوصياء عليهم، دعوهم يعيشون فى سلام مع إخوانهم المسلمين، ولا تحاولوا أن تبذروا بذور الفتنة بينهم، فمن يقرأ تاريخ مصر، يدرك على الفور أن مثل هذه المحاولات سوف تتحطم على صخرة الوحدة الوطنية.

■ رئيس هيئة قضايا الدولة الأسبق وعضو مجلس الشعب

# الحضارة والعلوم

- رؤية إصلاحية لتوجيه العلوم إسلاميا
- الخـوارزمى مـؤسس علم الجـبـر

في ظلال العلم والإيمان

# رؤية إصلاحية لتوجيه العلوم إسلاميا

أيقنت المجتمعات المتقدمة، أو التى تسعى بوعى وإصرار نحو التقدم أن الدعامة الأساسية فى تحقيق نهضتها ومواصلة تقدمها يجب أن تقوم على تأصيل ثقافتها وتعزيز قيمها بما يجعل سلوك الفرد فيها متوافقاً مع الإطار الفكرى الذى يحكم حركتها ويحدد أهدافها، فالعلاقة جد وثيقة بين تنمية الإنسان حضارياً وبين انتمائه فكرياً وعقائدياً. وتتوقف الحصيلة الحضارية ـ بطبيعة الحال ـ على درجة استيعاب الإنسان لعلوم عصره، وحسن استخدامه لها وفق مقومات ثقافته ومنهج تفكيره، وفى إطار القيم والمعايير والضوابط التى يرتضيها المجتمع أساساً لتوجيه السلوك ورسم خطى التقدم والرقى.

أ.د. أحمد فؤاد باشا

## ضرورة التوجيه الإسلامى للعلوم:

إن الأخذ بالمفهوم الإسلامى للعلم يجعلنا نُسلِّمْ بأن إسلامية العلوم الكونية حقيقة واقعية، وأن التوجيه الإسلامى لهذه العلوم ضرورة حضارية، ذلك أن العلوم الكونية إسلامية بطبيعتها، لأن مادة البحث التى تعرض لها كل ما خلق الله سبحانه وتعالى فى عالم الشهادة، ولأن واجب البحث فيها مطلب إسلامى من أجل تعميق الإيمان بالخالق الواحد على هدى وبصيرة، ولعمارة الكون بالحياة إلى ما شاء الله. هذا بالإضافة إلى أن هذه العلوم ـ بشهادة المنصفين من مؤرخى العلم والحضارة ـ قد نشأت وتأسست، أو شهدت تطوراً وازدهاراً، على أيدى علماء الحضارة الإسلامية بفضل توجهاتهم الإسلامية الرشيدة.

أما قولنا إن التوجيه الإسلامى للعلوم الكونية بخاصة، والعلوم بعامة، ضرورة حضارية، فذلك لأن إسلامية المنهج العلمى، أو «أسلمته»، من شأنها أن تحفظ للعلوم الكونية موضوعيتها، وأن تخلع عليها من خصائص الإسلام ما يجعلها صالحة للتطبيق فى كل زمان بما يحقق الخير للإنسان أينما كان. وإن إدراك المسلمين الأوائل لهذا المعنى بكل أبعاده الإيمانية كان السبب الأول لتقدمهم ورقيهم، بعد أن وجدوا فى مبادئ الإسلام كل مقومات الازدهار العلمى والحضارى، وهدتهم تعاليم الدين الحنيف إلى أصول المنهج العلمى السليم وحثتهم على اتباعه.

## التعليم أساس الإصلاح:

تخضع العملية التعليمية، حتى فى أكثر الدول

تقدماً للفحص والمراجعة بصورة مستمرة بغرض الكشف عن مواطن القوة للاستزادة منها، والتعرف على مواطن الضعف للتخلص منها، والوقوف على المستوى الحقيقى لكفاية الأداء والقدرة على بلوغ الأهداف مع الحفاظ على الجمع بين تحديث الثقافة الذاتية وتأصيلها فى نفوس النشء. ويكفى أن نسوق المثال على ذلك بما جاء فى ديباجة التقرير النهائى للجنة تقييم مؤسسات التعليم النظامى فى الولايات المتحدة الأمريكية من أنه: «لو قامت (قوة معادية) بغرض أداء تعليمى قليل الجودة على الشعب الأمريكى لاعتبر ذلك مدعاة للحرب، ولكن ذلك يحدث الآن من خلالنا نحن الذين سمحنا به. لقد بددنا هدراً المكاسب التى حصلنا عليها فى رفع مستوى التحصيل التعليمى لطلابنا بعد التحدى الذى واجهناه بإطلاق القمر الصناعى (سبوتنيل). إن هذا التدنى فى قبول تلك المستويات من التعليم عمل بلا تفكير وعملية نزع لسلاح التعليم».

وعندما يقترح «هتشنجر» أحد أعلام التربية الأمريكيين تصورا لإصلاح التعليم يقضى باعتبار المدرسة الثانوية المخطط لها بعناية فائقة فى أوروبا مثالا يجب أن يحتذى فى أمريكا، فإنه يواجه باعتراضات شديدة على أساس أن هذا التصور لا يلبى حاجات طلاب التعليم العام فى أمريكا من الأقليات التى تنتمى إلى أصول ثقافية مختلفة، ولهذا فهو لا يخدم مواقع العمل فى الثقافة الأمريكية المعاصرة التى تتسم بالتقدم العلمى والتقنى، فضلاً عن أنه يعكس ظلال الثقافة الغربية بوجه عام، ويحرم الأمريكيين من التعرف على ثقافات الأمم التى تؤدى فيها أمريكا دورا ما، قل أو كبر.

## واقع التعليم فى الأمة الإسلامية:

إذا ما انتقلنا الآن إلى استعراض سريع لواقع التعليم العام فى الأمة العربية والإسلامية، فإن النشرات الإحصائية توضح لنا أن جهدا ملحوظا يبذل فى تعميم التعليم وتوسيع رقعة انتشاره، لكن الدراسات التحليلية والتقويمية تؤكد لنا ـ مع الواقع الملموس ـ أن هذا التطور الكمى لايواكبه تطور نوعى يفى باحتياجات الأمة ويقيلها من عثرتها، وأن الفجوة واسعة بين الهدف والتطبيق. وتعزى الدراسات العالمية المقارنة هذا العجز الذى يصيب نظام التعليم العام فى دول العالم الثالث عموما إلى أن كثيرا من الدول النامية قد غدت معرضاً عالمياً كبيراً لأشتات من النماذج والفلسفات التعليمية الوافدة من كل أنحاء العالم الصناعى، وأنها تحاول تطبيقها كما هى، أو مرتدية شعارات التجديد والتطوير فى بيئة تختلف عن بيئاتها الأصلية.

يتضح مما سبق أن فلسفة التعليم العام التى تأخذ بها مجتمعات العالم المتقدم، وتتلخص فى اعتباره أهم أداة لتأصيل الهوية الثقافية وتجديدها، تكاد تكون غائبة منهجا وتطبيقا فى أغلب مجتمعات العالم الإسلامى، حتى وإن كانت هدفا ينص عليه فى الاستراتيجيات وفى توصيات الندوات والمؤتمرات. أما غياب المنهج العلمى السليم فى فلسفة التعليم العام فيمكن أن نستدل عليه من خلال ما يغمر ساحة الفكر العربى

والإسلامى من جدل ونقاش حول المفاضلة أو التوفيق بين ثنائيات الألفاظ والصيغ التى تطرح من حين لآخر، مثل الأصالة والمعاصرة، والتجديد والتقليد، والإبداع، والاتباع، والإسلامية، والعلمانية، وغيرها. وكيف يمكن الاتفاق على منهج محدد الخطوات والغايات فى وسط ثقافى وفكرى باهت الهوية لايزال فى حاجة إلى اسم ونسب؟.

إن الحوار بين المفكرين لايزال مستمرا فى سبيل إقرار أبسط مبادئ التفكير العلمى الذى يصنع التقدم، بينما نجد التقدم نفسه عند الآخرين يركب الآن صاروخا ومكوك فضاء ويسافر نحو الشمس والقمر والكواكب البعيدة!! وأما عن غياب التطبيق السليم لأهداف التعليم العام، فيكفى شاهدا عليه أن يكون تدريس مادة «التربية الإسلامية» فى كثير من البلدان الإسلامية أمرا ثانويا أو هامشيا، وأن يأتى تقويمها ـ على أحسن الفروض ـ فى مستوى واحد مع التربية الفنية والتربية الموسيقية والتربية الرياضية وغيره، فينظر إليها الطلاب على أنها من قبيل تحصيل الحاصل.

## رؤية إصلاحية :

والآن، إذا ما أردنا أن نستفيد من تجارب المجتمعات المتقدمة فى اعتبار التعليم العام أداة لتأكيد الهوية الثقافية وتجديدها، يكون علينا أن نعول على ثقافتنا الإسلامية وليس على ثقافة الغير، وأن ننطلق من التصورات والمعتقدات والقيم التى يؤمن بها أبناء أمتنا الإسلامية لتكون زادهم الحقيقى فى العمل والكفاح من أجل حياة أفضل.

ويقينى أن هذا هو ما يجب أن يمثل حجر الزاوية فى فكر الصحوة الإسلامية المعاصرة التى تؤمن بدور العلم فى صنع التقدم وتدعو إلى الأخذ به بنية ونهجاً، على أن يبدأ الإصلاح بإعادة نظر شاملة وفورية فى جميع المناهج الدراسية لتنقيتها من أى مفاهيم غير إسلامية وإعادة صياغتها بعد تحديد أهدافها ومحتواها وأساليب تدريسها وتعلمها وعملية تقويمها فى ضوء التصور الإسلامى المستند إلى كتاب الله الكريم وسنة نبيه الأمين.

إن المنهج الإسلامى قد احتضن حضارة المسلمين الأولى، ولايزال قادراً على ابتعاث حضارة جديدة إذا ما أدركنا الحاجة الماسة إلى إحياء تراثنا الإسلامى وتنقيته وتوسيع دائرته وترشيد العقول المفكرة به فى إطار الإلمام الواعى بحقائق الواقع المعاش، وباحتياجات الأمة وآمالها، وباتجاهات الفكر العالمى وفلسفاته التقليدية والمعاصرة، دون انبهار بنماذج غربية أو شرقية.

والموضوع على هذا النحو متصل فى جانبه التربوى بمعانى التربية الإسلامية وغاياتها فى كل أوجه نشاطها، فالتعليم فى أية أمة من الأمم ـ بحكم بنائه وتوجيهه ـ يمثل الوجه الأهم من أوجه التربية والجزء الأعظم من قوتها الدافعة، والوسيلة الأمثل لضمان بلوغ غاياتها. ويتفق المفكرون الإسلاميون وعلماء التربية الإسلامية على أن غاية التربية الإسلامية العليا هى بلوغ الكمال الإنسانى لأن الإسلام نفسه يمثل بلوغ الكمال الدينى. مصداقا لقوله تعالى: ﴿اليوم

**أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام دينا﴾** سورة المائدة: آية ٣. ويأتى فى مقدمة خصائص الكمال الإنسانى الذى تنشده التربية الإسلامية إعداد الإنسان الصالح العابد لله حق عبادته والجدير بحمل الأمانة والبحث عن الحقيقة وإعمار الحياة فى الأرض.

ولا يتسع المجال هنا لعرض كل ما يتعلق بغايات التربية الإسلامية فى تنشئة الشخصية الإسلامية المتكاملة الى تفهم معنى عبادة الله تعالى بأنها أوسع وأشمل من مجرد إقامة الشعائر، وتنطلق فى تفكيرها وأعمالها من مسلمة التوحيد الإسلامى الذى يعمق فى الإنسان معنى الربانية كأساس لكل خصائص التصور الإسلامى فى تحقيق المنهج الإلهى على الأرض، ولكن يجب إيضاح أن التربية الإسلامية والتعليم هما من مهمة النبوة التى كلف بأدائها سيد المرسلين، مصداقا لقوله سبحانه: **﴿يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة﴾** سورة آل عمران: آية ١٦٤. وقول رسوله الأمين ﷺ: **«إن الله بعثنى معلما ميسراً»** رواه مسلم. ولنا فى أسلافنا الذين تربوا على الإسلام أسوة حسنة، لأنهم أدركوا أن الاهتمام بالعمل قضية تعبدية بالدرجة الأولى، وليست مجرد الحصول على شىء من القوة الغاشمة أو التسلط الظالم فى هذه الدنيا، فالذين يعيشون ويعملون فى كنف الإيمان بالخالق الواحد هم الذين يستطيعون ـ أكثر من غيرهم ـ مواصلة الترقى فى السلم المعرفى إلى غايته القصوى بإدراك حقيقة الوجود الإنسانى فى هذا الكون كما أرادها رب العالمين، ومن ثم فهم القادرون ـ أكثر من غيرهم ـ على جنى كل ثمار المعرفة التى حصلوها دون أن يسيئوا استخدامها فى غير موضعها.

وإذا ما قبلنا ذلك التوضيح لواقع التعليم العام فى العالم الإسلامى، فإننا لن نجد صعوبة فى الوقوف على السبب الحقيقى لتخلف الأمة الإسلامية وتدهور مستوى التعليم فى مدارسها وجامعاتها على كثرتها ووفرة إمكاناتها. فلن يكون لهذا التعليم دور مؤثر فى ابتعاث النهضة الحضارية المنشودة إلا إذا تحددت أهدافه فى «تأصيل الثقافة الإسلامية، وإلا إذا استحدثت صيغة جديدة للتطوير والإصلاح، تستند فى سياستها إلى المنهج الإسلامى القويم وتؤمن بدور العلم والتقنية فى ربط المجتمع الإسلامى بواقع الحياة المعاصرة». وهذا يتطلب فى المقام الأول إسهام العلماء والمفكرين الإسلاميين فى بناء المدرسة العملية الإسلامية المتميزة من خلال برنامج واضح ومتكامل لأسلمة نظام التعليم العام بمختلف عناصره ومؤسساته، على أن يكون البدء بأسلمة المناهج الدراسية طريقاً إلى وحدة المعرفة الإسلامية فى التعليم، وأساسا لبناء الشخصية الإسلامية المعاصرة. وعندئذ فقط ينكسر حاجز الجمود فيما يمكن أن يسمى بنظام التعليم السلمى، وتزول حالة التشاؤم من ثقافة مستسلمة، وتنتقل الأمة إلى وضع جديدة يحدوها الأمل والتفاؤل بنهضة حضارية جديدة تحقق إرادة الله فى ترقية الحياة على الأرض، وترسى قواعد المنهج الإلهى الذى يتناسق مع الناموس الكونى العام.

# الخوارزمى مؤسس علم الجبر

أ.د. محمد يونس الحملاوى

فى كلمة ألقاها دوايت أيزنهاور رئيس الولايات المتحدة الأمريكية الأسبق أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة عام ١٩٥٧م قال «كلما أنظر إلى المستقبل أرى بزوغ الدول الإسلامية الحديثة التى من شأنها أن تسهم إسهاما يتجاوز ما سلف لها من إسهام لا يمكن أن ننساه، وعلينا أن نتذكر أن الفضل فى علم الجبر والحساب الغربى عائد إلى الرياضيين المسلمين كما أن معظم الأسس العلمية الحديثة فى الطب والفلك أرساها علماء المسلمين». كلمات كم أتمنى أن نعيها جميعا وأن نكون عند ظن العالم بنا! وما يعنينا فى هذه المقولة - على وجه الخصوص - هو علم الجبر الذى أشار إليه الرئيس الأمريكى. فعلم الجبر هذا هو من وضع عالمنا الخوارزمى؛ فهو الذى وضع أساس هذا العلم وجعله علما مستقلا بل وألف أول كتاب فيه ألا وهو كتاب الجبر والمقابلة.

وعالمنا الخوارزمى يبدأ كتابه: الجبر والمقابلة هذا، بحمد الله والثناء عليه ثم الصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله ثم يقول فى أسباب تأليف الكتب: «لم يزل العلماء فى الأزمنة الخالية والأمم الماضية يكتبون الكتب مما يصنفون من صنوف العلم ووجوه الحكمة نظرا لمن بعدهم واحتسابا للأجر بقدر الطاقة ورجاء أن يلحقهم من أجر ذلك وذخره وذكره ويبقى لهم من لسان الصدق ما يصغر فى جنبه كثير مما كانوا يتكلفونه من المؤونة ويحملونه على أنفسهم من المشقة فى كشف أسرار العلم وغامضه. إما رجل سبق إلى ما لم يكن مستخرجا قبله فورثه من بعده. وإما رجل شرح مما أبقى الأولون ما كان مستغلقا فأوضح طريقه وسهل مسلكه وقرب مأخذه. وإما رجل وجد فى بعض الكتب خللا فلمَّ شعثه وأقام أوده وأحسن الظن بصاحبه غير راد عليه ولا مفتخر بذلك من فعل نفسه». كلمات تدل على عظم المسئولية فيمن يتصدى للعمل بالعلم وتدل على ملامح الشخصية العلمية فى عصر النهضة الإسلامية متمثلة فى التحلى بأنبل الصفات والترفع عن الصغائر والاجتهاد فى كشف أسرار العلم وغامضه مما يعود على الناس بالنفع والتمسك بالأمانة العلمية وحب العلم والمثابرة عليه ابتغاء الأجر من الله سبحانه وتعالى بوضع العمل بالعلم فى موقعه الصحيح كعبادة نثاب عليها إن خلصت النية، لنكون من الرجال الثلاثة الذين أشار إليهم الخوارزمى.

وعلم الجبر الذى أجمل قواعده الخوارزمى فى ذلك الكتاب يعد من أعظم أوضاع العقل البشرى لما يتطلبه من دقة وإحكام فى القياس ولا يخفى ما لعلم الجبر من أثر فى الحضارة من ناحية الاكتشاف والاختراع اللذين يعتمدان إلى حد كبير على المعادلات والنظريات الرياضية. ومن الجدير بالذكر أن العالم أجمع قد استعمل كلمة الجبر كاسم لهذا الفرع من الرياضيات الذى ابتدعه الخوارزمى فى كتابه الجبر والمقابلة. كما غدا التسلسل المنطقى فى التفكير منهجا مستقلا فى التفكير حتى فى العلوم الحديثة ويعرف فى اللغات الأجنبية بالخوارزميات.

ولكن ماذا تعنى كلمة الجبر؟ إنها تعبير استخدمه الخوارزمى من أجل حل المعادلات بعد تكوينها وتعنى أن طرفا من طرفى المعادلة الرياضية يُجبر أى يُكمل ويزداد فى طرفى المعادلة بقيمة الحد السالب فى المعادلة لنحصل على حدود موجبة فى الطرفين. أما المقابلة فتعنى أن الحدود المتجانسة المتساوية فى الطرفين تسقط منهما. وكتاب الجبر والمقابلة هذا مثال جيد لما يمكننا أن نكتب فى وقتنا الحالى من البدء بالتعاريف ثم الأساس النظرى ثم التطبيق الذى غالبا ما يكون المحرك للعمل. ولقد بدأ الخوارزمى كتابه بتقديم الأرقام العربية (٠١٢٣٤٥٦٧٨٩) فى أقدم مخطوطة عربية استعملت الأرقام التى نستعملها فى مصر والمشرق العربى ومنذ ذلك الوقت وبلا انقطاع. ثم قدم لنا الأعداد والحدود الجبرية ثم ربط علم الجبر بعلم الهندسة فى تزاوج رائع حينما استعمل علم الجبر فى حل المسائل الهندسية واعتمد على الهندسة فى حل المسائل الجبرية واضعا بذلك أسس علم الهندسة التحليلية. ثم أفرد جزءا كبيرا من كتابه للتطبيقات المختلفة التى يحتاج إليها الناس فى معاملاتهم الشرعية والحياتية؛ من حساب للميراث وللمساحات ولغيرها. لقد كان كتاب الجبر والمقابلة منهلا استقى منه علماء الغرب والشرق وأخذوا عنه كثيرا من النظريات. ولا ننسى أن نشير إلى أن الخوارزمى استعمل الرموز لحل المسائل الرياضية فى كتابه هذا، وبذا يكون قد وضع حجر زاوية فى تطور الفكر الرياضى. لقد استعمل الخوارزمى الرموز العربية فى حل معادلاته ومسائله وقدم لنا الأرقام العربية المشرقية فهلا تذكرنا ذلك ونحن نضحى بهما الآن وفى كتبنا المدرسية؟

ولكن من هو الخوارزمى؟ إنه محمد بن موسى الخوارزمى المُكنَّى بأبى جعفر، ولد ببلدة خيوة بخوارزم (أوزبكستان حاليا) عام ١٦٤هـ وتوفى عام ٢٣٥هـ الموافقين لعامى (٧٨٠ - ٨٥٠م) وأقام فى بغداد وعمل أمينا لبيت الحكمة فى عهد الخليفة العباسى المأمون. والخوارزمى هو أول من حل معادلات الدرجة الثانية الجبرية للأعداد الموجبة وأول من أدرك جذريها الإيجابى والسلبى ووضع عدة قوانين لجمع المقادير الجبرية وطرحها وضربها وقسمتها وكذلك جذورها. كما أوجد قطر الدائرة والسهم ومساحة بعض السطوح المستوية والمجسمات ومساحة الدائرة والقطعة وحجوم بعض الأجسام كالهرم الثلاثى والهرم الرباعى والمخروط. كما عين قيمة النسبة التقريبية (نسبة محيط الدائرة إلى قطر الدائرة) بدقة عالية (قيمتها ٢٢ مقسومة على ٧) وهى

نفس القيمة التى تستعمل فى مختلف المدارس والمعاهد العلمية حتى الآن ومنها معاهدنا ومدارسنا بدون أن نشير إلى أن أول من حسبها هو الخوارزمى! لقد تلقف عمر الخيام والكرخى حل معادلات الدرجة الثانية التى وضعها الخوارزمى وطورها لتصير على الصورة التى تدرس حاليا لطلاب المدارس والجامعات فى العالم أجمع وفى بلادنا دون أن نشير إلى أى من علمائنا فى بلادنا! ولا عجب فنحن لا نشير من قريب أو بعيد فى كتب الجبر التى تُدرس فى مدارسنا ومعاهدنا إلى الخوارزمى الذى أبدع الجبر وهو من أسمى فروع العلم وأهمها!

لقد لمع اسم الخوارزمى ليس فقط كعالم للرياضيات بل كذلك كعالم فى علم الفرائض وهو أحد علوم الشريعة وفى علم الفلك والجغرافيا والتاريخ فى نفس الوقت. لقد ألف أكثر من خمسين كتابا منها كتاب الحساب الذى ظل مرجعا مهما لعدة قرون فى أوروبا لحسابات المعاملات التجارية والبيع والشراء. كما ألف عالمنا كتاب السند هند الصغير فى الفلك الذى اشتمل على جداول الخوارزمى الشهيرة فى الفلك والتى ظلت لعدة عقود أساس علم الفلك فى الغرب. ومن المفيد أن نشير إلى أن الخوارزمى فى كتابه هذا؛ والذى هو فى الأساس اختصار لكتاب الدهنت الهندى؛ قام بتعديل الجداول الفلكية الهندية فى الكتاب الهندى بالاستعانة بما أبدعه بنفسه فى الرياضيات لمعرفة مسارات الكواكب.

ولا يفوتنا أن نشير إلى أن الخوارزمى قد شارك فى أعمال الرصد الفلكى فى مرصد بغداد لقياس محيط الأرض ومساحتها وتحديد خطوط الطول والعرض بدقة، ووضع ثمرة تلك الأبحاث فى كتابه «صورة الأرض» الذى صور فيه الأرض بمدنها وجبالها وبحارها وجزرها وأنهارها كما أورد فى الكتاب العديد من الجداول الفلكية. ونشير إلى أن خرائط هذا الكتاب أدق من خرائط بطليموس التى صور فيها الأرض فى كتابه الشهير «الجغرافيا». هذا الكتاب قال عنه المستشرق الإيطالى نيللينو: إنه ليس بمقدور أمة أوروبية بكاملها إنتاج مثل هذا الكتاب فى فجر الحضارة الأوروبية. وتعددت إضافات الخوارزمى حتى بلغت أكثر من خمسين كتابا فى العديد من فروع العلم المختلفة فله كتاب آخر يسمى: الرخامة يختص بتعيين مواقيت الصلاة عن طريق المزولة الرخامية. كما وضع عالمنا أبو جعفر أقدم جداول فى حساب المثلثات وهى جداول الظل.

لقد كانت علوم الشرع هى المحرك الذى كرس الخوارزمى حياته لخدمته، ولقد لخص عالمنا أهمية المزج بين علوم الشرع والعلوم التطبيقية فى كلمات قالها للخليفة هارون الرشيد: «إن رجل الدين لا يحق له أن يكون عالما حق العلم بفقه الشريعة قبل أن يدرس علوم الرياضيات فهو بحاجة إليها فى فقه الفرائض والمواريث وفى أحكام المعاملات الشرعية فى البيع والشراء والرهن والوقف والإجارة والمزارعة والديون والتجارات وضرائب الخراج والعشور وغنائم الحروب. بل وفى أمور العبادات لتحديد مواقيت الصلاة وأنصبة الزكاة ومواقيت الصوم والحج». وحتى تكتمل صورة العصر الذى عاش فيه عالمنا واهتمام الدولة بالعلم والترجمة وبسط العلم للجميع؛ لابد من أن نشير إلى أن هارون الرشيد

حينما انتصر على الدولة الرومانية البيزنطية فى آسيا الوسطى أبى أن يفتدى الأسرى بالذهب والفضة، وأبى إلا أن يأخذ فداء أسرى الروم كتبا يونانية فى مكتبة إمبراطور الروم فى شتى العلوم. وكان أن شارك الخوارزمى فى الإشراف على أعمال الترجمة العلمية فى بيت الحكمة ببغداد.

تلكم كانت بعض ملامح حياة أبى جعفر محمد ابن موسى الخوارزمى أول من قدم لنا الأرقام العربية المشرقية (٠١٢٣٤٥٦٧٨٩) بعدما كان العرب يستخدمون حساب الجُمل فى أعمالهم، وهو أول من ركب العدد كاملا على أساس النظام العشرى فمكننا من كتابة الأعداد الكبيرة فى أقل من سطر واحد على ورقة صغيرة؛ كما أنه أول من قدم لنا الرموز فى علم الرياضيات ليدفع ذلك العلم إلى الانتقال من الحسى إلى المجرد.

لقد ساهم عالمنا الخوارزمى فى العديد من فروع العلم سواء الشرعى أم التجريبى، مجسدا سلوك المسلم فى فترة ازدهار حضارتنا الإسلامية العربية؛ سلوكا يجسده قوله لرأس الدولة هارون الرشيد: «إننى أفكر الآن فى أمر واحد هو: كيف أُيَسر دراسة الرياضيات لكافة الناس فى مختلف أعمارهم، فلا خير فى علم لا يطبق فى الحياة العملية بما ينفع الناس وييسر عليهم أمور الحياة والمعاش والمعاملات». لقد كانت تلك الكلمات تجسيدا لمزية أساسية للحضارة الإسلامية العربية من حيث كونها بلا كهنوت حيث لم يكن الإسلام، ولم تكن الدولة تعزل العلم عن مواطنيها بل على العكس تدعو الجميع إلى العلم، فأُشرب المسلمون هذا الاتجاه فى أعمالهم وقاموا بجانب البحث والدراسة بنشر العلم وتبسيطه للجميع.

## المراجع:


١ - على عبدالله الدفاع؛ لمحات من تاريخ الحضارة العربية والإسلامية؛ مكتبة الخانجى؛ القاهرة ١٩٨١م.

٢ - أحمد فؤاد باشا؛ التراث العلمى للحضارة الإسلامية ومكانته فى تاريخ العلم والحضارة، دار المعارف القاهرة ١٩٨٤م.

٣ - أحمد محمد عوف، صناع الحضارة العلمية فى الإسلام؛ الجزء الثانى؛ سلسلة العلم والحياة؛ الهيئة المصرية العامة للكتاب؛ القاهرة ١٩٩٧م.

٤ - سليمان فياض؛ الخوارزمى أبو الرياضيات؛ سلسلة علماء العرب؛ العدد التاسع؛ مركز الأهرام للترجمة والنشر؛ القاهرة ١٩٨٨م.

٥ - محمد الصادق عفيفى؛ تطور الفكر العلمى عند المسلمين؛ مكتبة الخانجى؛ القاهرة ١٩٧٦م.

٦ - محمد بن موسى الخوارزمى؛ الجبر والمقابلة؛ تقديم وتعليق على مصطفى مشرفة ومحمد مرسى أحمد؛ دار الكاتب العربى للطباعة والنشر فرع مصر؛ القاهرة ١٩٦٨م.

٧ - موريس شربل؛ الرياضيات فى الحضارة الإسلامية؛ جروس برس؛ طرابلس، لبنان، ١٩٨٨م.

٨ - كتاب المعرفة: شخصيات عربية؛ شركة ترادكسيم؛ جنيف، سويسرا؛ ١٩٨٦م.

٩ - تقرير لجنة الرياضيات؛ مجمع اللغة العربية؛ القاهرة؛ الدورة ٤١؛ ١٩٧٥م.

# ابتهال

شعر: عمر موسى البرعى

يا مَنْ له الأمرُ فى الأولى وفى الأُخرى *** جلَّتْ أياديكَ فاقْبَلْ مِنِّىَ الشُّكْرا

يا خالق الأرض والأفلاك مُقتدرا *** في بدْعِ صنْعك رحنا نُمعِنُ الفكْرا

يامَنْ جِبَاه الورى تَعْنو لِعزَّته *** اكْشف بفضلك عنّا البَأس والضُّرّاً

أنت المُيَسِّر لليُسْرى وأنْتَ إذا *** ما شئْت بدلّت عُسْرَ المُشتكى يُسْرا

فى ظلِّ فَضْلكَ يحْيا النّاسُ فى رَغَدٍ *** مَنْ يَرْتجيكَ بِصدقٍ لا يرى الفَقْرا

أنْتَ الذى أبْدَعَ الأكْوانَ مِنْ قدمٍ *** وَسَخَّر الشَّمْسَ والأفْلاكَ والبَدْرا

وأنْتَ مَنْ أبْدَعَ الأشْياء فى صُورٍ *** شتّى وأنشأ فيها السَّهْل والوَعْرا

قد سَبَّحَتْ باسْمك الدُّنيا بأجْمعها *** طَوْعاً وأخْلَصت التّوحيدَ والذِّكْرا

مَنْ يَعْبدُ الواحدَ الدّيّان مُحْتسباً *** أثابهُ اللهُ واسْتوفى لَهُ الأجْرا

يا كاشفَ الضُّرِّ والأرزاء مَكْرُمةً *** فى ظلِّ فَضْلكَ نَرْجو العَفْو والخيْرا

إنى بجاهكَ يااللهُ مُعْتصمٌ *** ومَنْ يلوذُ به لا يَرْهَبُ الدَّهْرا

مَنْ يَتّقِ اللهَ للتوحيد مُنْتسباً *** بَنَى له اللهُ فى جنّاته قَصْرا

يا عالمَ الغيْب والأسْرار أجْمعها *** لأنْتَ تَعْلمُ مِنّى السِّرَّ والجهْرا

إنى اقْترفْتُ ذُنوبا لا عِداد لها *** وأنْت مَنْ يَغْفِرُ الزلّاتِ والوِزْرا

يا سابغ الفَضْلِ إحْسانا ومَرْحمةً *** أسْبغْ علينا الرِّضا والفَضْلَ والسَّتْرا

فاللهُ يَحْفظُ مَنْ بالحُبِّ أثرهُ *** وفى عِبادَته يَسْتَعذبُ الصَّبْرا

أنْزلت ذِكْركَ للإنسانِ مَوْعظةً *** كم فاز بالخَيْر عَبْدٌ يَقْرأُ الذِّكْرا

فاجْعلْهُ يارب يوم العَرْض يَشْفعُ لى *** يامَنْ له الأمْرُ فى الأولى وفى الأُخرى

# الفقه والتشريع الإسلامى

- مبادئ دستورية فى الفقه السياسى الإسلامى
- من لهـــذه الزوجـــة المطلقـــة؟

قرأت لك

# مبادىء دستورية فى الفقه السياسى الإسلامى

موضوع هذا الكتاب من الموضوعات التى لم تدرس بعد بما تستحقه من تفصيل، والسبب معروف للجميع، وهو الاعتقاد السائد بأن النظام السياسى فى الإسلام يقوم على مفاهيم مختلفة تماماً عن مفاهيم النظم السياسية المعاصرة، ومن ثم فإن دراسته بمفاهيم هذه النظم تصبح صعبة وربما مستحيلة، فضلاً عن هذا فإن الأكاديميين لا يحبون لأنفسهم أن يكونوا من الحريصين على الوصول إلى أوجه الشبه بقدر ما هم حريصون على التوصل إلى وجوه الاختلافات.

للأستاذ: فريد عبد الخالق

عرض الدكتور: حمد الجوادى

ومع هذا فإن تيار الوعى الإسلامى المعاصر حرص على أن يدرس جوانب شتى فى نظام الدولة فى الإسلام.. وتأتى دراسة الأستاذ فريد عبدالخالق اليوم لتضيف أبعاداً دقيقة وزوايا مضيئة إلى جانب من أهم الجوانب فى الدراسات القانونية للنظم الإسلامية، وهو دراسة مبادىء قانون الدستور الإسلامى.

وعلى الرغم من أن الدراسات المتاحة لم تصل بعد إلى إطلاق هذا اللفظ على ماهو موجود من مبادىء دستورية فى الفقه السياسى الإسلامى، إلا أن فريد عبد الخالق بدراسته المتعمقة التى يتضمنها هذا الكتاب يدفع بنا دفعاً ويأخذ بأيدينا أخذاً إلى الاقتناع التام بوجود هذا الفرع من القانون بالفعل فيما تضمنته مبادىء السياسة فى الإسلام، وما تضمنته أصول الفقه فيما يتعلق بهذه القضايا الحية والحيوية، وينبغى لنا هنا أن نسارع بتذكير القارىء أن هذا المؤلف العظيم ظل طيلة أكثر من نصف قرن من الشخصيات الفاعلة فى الحركة الإسلامية الديناميكية بدءاً من عضويته البارزة فى الإخوان المسلمين منذ عهد حسن البنا حتى قيامه اليوم بخطبة الجمعة فى مسجد محمود بالمهندسين.

وقد اختار المؤلف أن يدير حديثه فى إطار اشتمال الفقه الإسلامى على أركان العدل والمساواة والشورى وأشهد أنه استطاع أن يتناول

هذه الأركان الثلاثة بتحديد واضح، وشمول مقصود ولكنه على الرغم من هذا جعل كتابه من بابين، وخصص الباب الأول للشورى على حين خصص الباب الثانى لمبدئى العدل والمساواة فى فصلين متناظرين.

**أما الباب الأول: فقد قسمه المؤلف إلى عدة فصول:**

**الفصل الأول :** مبدأ الشورى وما تفرع عنه.

**الفصل الثانى :** شروط أهل الحل والعقد.

**الفصل الثالث :** الحقوق السياسية لغير المسلمين فى الإسلام ودولته.

وهكذا يمكن لنا أن نفهم ،أن المؤلف استطاع أن يضع يده وأن يدلى بدلوه فى مجموعة مهمة من القضايا الخلافية التى يدور حولها جدل ولغط من حين لآخر، وسوف نجد أن المؤلف استطاع أن يصل إلى آراء جزئية فيما يتعلق بموقف الإسلام من هذه القضايا، وربما يتعرض المؤلف فى القريب العاجل لانتقادات كثيرة حول ما توصل إليه من آراء فى هذه القضايا، ولكنى لا أعتقد فى ذلك لسبب غير موضوعى وهو أن أحداً لا يقرأ الآن ولا يهتم إلا بالقضايا الخفيفة، ولكن مؤلفنا يمضى فى طريق آخر جاد كل الجدية. ولنأخذ على سبيل المثال موقفه من المرأة، فقد حاول أن ينصفها وهو يؤكد أن الشريعة لا تعرف تفرقة بين الرجل والمرأة فى مباشرة الحقوق السياسية ومنها بطبيعة الحال الحق فى اختيار أهل الشورى، بل والحق فى الوجود بين أهل الشورى أنفسهم، ومن الواضح أن المؤلف يتحدى بهذا كثيراً من الآراء السابقة بل والسائدة، وهو يعلم ذلك علم اليقين، بل ويناقش حجج هؤلاء ويرد هذه الحجج ببراعة واقتدار. ولنأخذ على سبيل المثال أيضاً مناقشته لحديث الرسول صلى الله عليه وسلم «**لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة**» وهو بعد استعراض مطول للفكر السياسى الذى استند إلى هذا الحديث لا يجد مانعاً فى أن يجاهر برأيه قائلاً: «إن الحديث هو من أحاديث الآحاد ذات الصيغة الظنية وقد ورد فى مناسبة تاريخية معينة حين أُبْلِغَ الرسول صلى الله عليه وسلم بأن الفرس كانوا فى حالة انهيار سياسى وانحلال أخلاقى، تحكمهم ملكية استبدادية فاسدة وصراعات على السلطة بلغت بهم حد الاقتتال عليها والحرب دائرة بينهم وبين العرب. قد أسندوا أمر قيادتهم ومملكتهم إلى ابنة كسرى تعلقاً بأوهام الوثنية السياسية لا عن رأى ولا شورى. فكان الحديث وصفاً لحال الفرس المتردى وقراءة بصيرة فى سنن قيام الدول وانحلالها، فهذا إخبار عن حال وليس تشريعاً عاماً ملزماً. ذلك ما يدل عليه فقه الحديث».

«فهناك من القرائن إذن ما نجيز صرفه عن معناه الظاهر أو نصرفه من العموم إلى الخصوص، وإن نصب الإمام يعتبر من أعمال السياسة التى لم يرد فيها نص قطعى يفيد المنع من نصب امرأة للخلافة إن هى استوفت شرط الخلافة وفضلت فى ذلك عن غيرها ممن يرشحون لها، فالمطلوب شرعاً توسيد الأمر لأهله وتقديم الأفضل على دونه إلا أن يوجد مانع شرعى، فهو من الأمور المسكوت عنها فى أحكام

الشريعة فيعمل فيها بمقتضى قاعدة درء المفاسد وتحقيق المصالح والأحكام الشرعية مبنية على الحكمة ومعللة بما يرجع إلى القاعدة المذكورة آنفاً ولذلك لم يصح عندنا أنها من السنة التشريعية العامة الملزمة وإنما هى إخبار جاء فى واقعة عين «ولكل معين خصوصية ليست في غيره ولو فى نفس التعيين وليس ما به من الامتياز معتبراً فى الحكم بإطلاق ولا هو طردى بإطلاق» والخلاف فى المسألة - عندنا - هو من الخلاف المتعلق بتحقيق المناط وإدراج الجزئى المعين فى نطاق القاعدة الكلية التى تشمله والأصل فى هذا الخلاف أنه من جنس فى الفروعيات التى لا يشنع فيها على المخالف ولا يقدح بها فى دينه، ولا فى عدالته لارتباطه بالدراية بالواقع أكثر من ارتباطه بالعلم بالشرع، وإنما يتكلم فيه بالحجج العملية، إن آية فى كتاب الله بينت لنا أصلين مطلوبين فى الولاية العظمى لينتظم أمرها - ولا إشارة فيها إلى اشتراط الذكورة ولا فى غيرهما - أداء الأمانات إلى أهلها، والعدل فى الحكم بين الناس».

وذلك فى قوله تعالى: **«إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل إن الله نعما يعظكم به إن الله كان سميعاً بصيراً»** صدق الله العظيم «النساء: الآية ٥٨» يقول ابن حزم، «وهذا متوجه بعمومه إلى الرجل والمرأة، وقال العلماء نزلت فى ولاة الأمور».

وعند هذه النقطة يستشهد الاستاذ فريد عبدالخالق بما ذكره عالم الإسلام ابن تيمية فى كتابه «السياسة الشرعية» حيث يقول: وركنا الولاية: القوة والأمانة. كما قال تعالى **«إن خير من استأجرت القوى الأمين»** صدق الله العظيم «القصص: الآية ٢٦» والقوة فى كل ولاية بحسبها والواجب تولية الأمثل فالأمثل ومع أنه يجوز تولية غير الأهل للضرورة إذا كان أصلح الموجود فيجب مع ذلك السعى فى إصلاح الأحوال حتى يكمل فى الناس ما لا بد لهم منه من أمور الولايات والإمارات ونحوها والمهم فى هذا الباب معرفة الأصلح وذلك إنما يتم بمعرفة مقصود الولاية ومعرفة طريق المقصود فإذا عرفت المقاصد والوسائل تم الأمر وإذا سوى فإن الوسائل غير محددة شرعاً وعقلاً وإنما هى متروكة لمقاصدها من درء للمفاسد وجلب للمصالح ودفع الحرج والعسر وإنما تركت دون تحديد توسعة من الشارع الحكيم على عباده واكتفاء بما قرر الشارع من مبادىء كلية وقواعد عامة وقيم أخلاقية يرجع إليها ويهتدى بها فى صياغة أنظمة الحياة كلها فى الحكم والمال وغيرهما وفى السياسات التى لا قيام للحياة الإنسانية والعمران البشرى بدونهما وإن لم تكن معهوذة فى صدر الإسلام.

كما يستشهد فريد عبد الخالق بما ذكره في نفس المعنى الدكتور عبد الحميد متولى فى كتابه القيِّم «مبادىء نظام الحكم في الإسلام» حيث يقول:

«القول إن الشرع الإسلامى وضع شروطاً معينة لجزئيات أنظمة الحكم هو قول لا يخدم نظام الحكم كما أنه لا يخدم الشرع الإسلامى بل يسىء إلى الاثنين معاً فضلاً عن أنه يتعارض مع خاصيتين من أهم خصائص الشريعة الإسلامية وهما: خاصية المرونة ومراعاة مقتضيات ظروف

البيئة أو الصالح العام، وخاصية التيسير ونفى الحرج، ومما هو بيِّن أن الشروط الواجب توافرها فى الناخب أو النائب ـ مثلاً ـ تعد من ضروب تلك الجزئيات المتغيرة المتطورة بطبيعتها».

ويعود الأستاذ فريد عبد الخالق إلى القضية التى يدافع عنها حيث يقول:

«كما تجدر الإشارة هنا إلى أن ما جاء ذكره فى الحديث عن حكم تولية المرأة وما فهمه فريق من العلماء من أنه يفيد النهى عن ذلك هو محل نظر لأن تخريج مناطه عندنا ليس هو تولية المرأة وإنما هو فساد نظام الحكم فيهم وعدم إقامته على أداء الأمانات إلى أهلها وعدم الحكم بالعدل بين الناس وإسناد أمرهم إلى امرأة ليست أهلاً للإمامة وإنما اختاروا لها ابنة كسرى بعد موته وهذا هو سبب عدم فلاح القوم المشار إليه فى الحديث، ولم يصح عندنا رأى من جعل تولية امرأة هو المناط لأن تحقيقه على هذا الوجه لا يصح لأن كتاب الله قد جاء فيه ما يعارضه وذلك فيما حكى لنا عن فلاح قوم آخرين ولوا أمرهم امرأة فى قصة مملكة سبأ وملكتهم بلقيس فى سورة النمل، ومناط فلاحهم صرحت به الآيات فيما ذكرت من انتظام أمرهم على قاعدتى الشورى والعدل وغيرهما مما تقوم به الممالك وتفلح الأقوام فلا وجه للقول إن ما جاء فى الحديث عن نهى تولية المرأة هو بيان من السنة لما أجمله القرآن ولا هو تشريع عام وإنما هو وصف أخبار فى واقعة عين والله أعلم.

وعلى مثل هذا النحو وبمثل هذا التفكير والتحرير استطاع الأستاذ فريد عبد الخالق أن يمضى فى كل القضايا التى تعرض لها بشخصية قادرة على النفاذ إلى الحق فى أعماق النصوص والقرآن وقد استعان على ذلك بثقافة عالية رفيعة وامتداد شجرة المعرفة الدينية والسياسية والاجتماعية لتشمل أوسع دائرة ممكنة من الثقافة اللازمة للحكم فى أمور النظام السياسى فى الدين الإسلامى ويكفى أن نتأمل ما أورده من أسباب متعددة أقام بها الحجة الشرعية على وجوب الشورى كمبدأ إسلامى أساسى، وتعداده للشروط الواجبة فى أهل الشورى أو أهل الحل والعقد كما يسميهم.

ومن الجدير بالذكر أنه يحبذ الانتخاب كوسيلة لاختيار هؤلاء ولكنه يتحفظ مشترطاً اجراء الانتخابات فى جدية ونزاهة، وقد سبقنى الدكتور عبد الوهاب العشماوى إلى التحفظ على هذه النتيجة التى وصل إليها المؤلف، وطرح عليه فى تقديمه للكتاب سؤالاً: هل عملية الانتخاب لو توافرت لها النزاهة واتسمت بالجدية والوعى من جانب الناخبين كفيلة بأن تحمل إلى المجلس المنتخب من هم حقيقة أهل الرأى والشورى؟ لقد أثبتت التجربة أن العيب ليس فى كيفية إجراء الانتخابات، وإنما قد يكون فى اصلاح النظام ذاته.

ويعقب الدكتور العشماوى بملاحظة ذكية يقول فيها إن اصحاب الحرف يقولون إن محاولة إصلاح ترس واحد من تروس المركبة قد لايترتب عليه إصلاحها بل قد يؤدى إلى تعطل المركبة بأكملها.

# من لهذه الزوجة المطلقة؟

**نعرض هنا لصورة قد تكون متكررة الحدوث فى المجتمع، وهى لامرأة تزوجت وصارعت مع زوجها مكابدات الحياة وأنجبت الأولاد وسهرت على تربيتهم حتى كبروا وتزوجوا أيضا، وتقدمت بهاالسن حتى جاوزت سن اليأس بالكثير من الأعوام، وربما توفى والداها إلى رحمة الله تعالى، وبعد كل هذا يباغتها الزوج بالطلاق دون رضاها أو أية رغبة منها أو حتى بدون علمها.**

المستشار حسن حسن منصور

إن هذه المرأة تجد نفسها فى أسوأ حال يمكن أن يصادف أى إنسان فى هذه الحياة، لأن الحقوق المقررة لها شرعا وقانونا وفقا لما يجرى عليه العمل فى قضاء الأحوال الشخصية هى ذات الحقوق المقررة للزوجة التى طلقها زوجها بعد يوم واحد من الدخول بها، بل يمكن أن تكون أقل منها، فمثلا إذا كانت هذه المرأة غير حاضنة لبلوغ أولادها سن الحضانة فإنها لا تستحق على مطلقها أى مسكن، وفى هذه الحالة إذا لم يكن لها عائل من أهلها فإنها تصبح من المتشردين، وحتى بفرض وجود عائل لها من أهلها فما أثقل هذه الإعالة على نفسها بعد هذا العمر الطويل.

لقد بحثت فى قوانين الأحوال الشخصية المعمول بها الآن بساحات القضاء فلم أجد فيها ما يميز المرأة المطلقة على هذه الصورة إلا نص المادة ١٨ من القانون رقم ٢٥ لسنة ١٩٢٩ المضافة بالقانون رقم ١٠٠ لسنة ١٩٨٥م التى تقرر أن للقاضى عند تقدير مبلغ المتعة للمطلقة بدون رضاها وبلا سبب منها أن يراعى مدة الزوجية بحيث لا يحكم بمتعة تقل عن مدة سنتين، حتى ولو كانت الحياة الزوجية استمرت يوما واحدا، وهذا الاعتبار وحده، لا يكفى لمواجهة الآثار السلبية التى تنجم عن مثل هذه الحالة، ومن هنا فإننا نرى ضرورة تدخل المشرع القانونى لوضع الحل التشريعى المناسب لهذه المشكلة، ونقترح فى هذا الصدد الآتى:

أ ـ تعديل نص المادة ١٨ من القانون سالف الذكر بوضع حد أدنى لعدد السنوات المقرر بمقتضاها الحكم بالمتعة، بحيث تتناسب مع مدة الزوجية، فمثلا إذا كانت مدة الزوجية ثلاثين عاما

فيجب ألا تقل المتعة عن عشر سنوات، وكلما زادت مدة الزوجية زاد الحد الأدنى للمتعة المحكوم بها، وجعل ذلك وجوبيا على القاضى، لأنه فى الوضع الحالى يختلف الأمر من محكمة إلى أخرى لاختلاف وجهات النظر فى التقدير، وجعل هذا التقدير فى أضيق وأقل الحدود، ولتحقيق ذلك نرى أن يكون هذا النص على الوجه التالى: الزوجة المدخول بها إذا طلقها زوجها بغير رضاها وبلا سبب من قبلها تستحق متعة لا تقل عن سنتين إذا كانت مدة الزوجية لا تزيد على خمس سنوات، ولا تقل المتعة عن خمس سنوات إذا زادت مدة الزوجية عن عشر سنوات، ولا تقل المتعة عن عشر سنوات إذا زادت مدة الزوجية على ثلاثين عاما، ويجوز للقاضى أن يحكم بأزيد من هذا الحد الأدنى للمتعة إذا رأى من ظروف الطلاق ما يبرر ذلك.

ب ـ إذا كانت الشريعة الإسلامية الغراء قد امتازت عن غيرها من الشرائع الأخرى بخاصية فريدة وهى صلاحيتها للتطبيق فى كل زمان ومكان، فإنه يجب البحث فى هذه الشريعة لإيجاد الحلول المناسبة لمشكلة هذه المرأة، وبالنظر إلى الحقوق والواجبات الزوجية كما هى واردة فى شريعة الإسلام يمكن الوصول إلى هذه الحلول، وبيان ذلك نعرضه على الوجوه الآتية:

١ ـ من الحقوق التى تقررها الشريعة للزوجة وهى فى ذات الوقت واجبات على زوجها: النفقة وهى مقابل احتباسها على ذمته، والمهر بموجب العقد عليها، والجهاز بمقتضى الإقامة معا فى مسكن واحد، والمتعة جبرا لخاطرها إذا طلقت بغير رضاها، والمسكن لو كانت حاضنة لولدها الصغير من الزوج المطلق، وهذه الحقوق تحصل عليها فور طلاقها من الزوج مباشرة وإلا كان لها أن تلجأ إلى القضاء للحصول عليها جبرا عنه وينفذ عليه بالحبس إذا تخلف عن الوفاء بها، كما هو الحال فى دين النفقة الذى لا يملك فيه الزوج أو المطلِّق إلا أحد خيارين: الدفع أو الحبس..

٢ ـ هناك بعض الحقوق للزوجة قد ترى التسامح فيها مع زوجها، أو تسكت عنها بحسب العرف السائد بين الأزواج فى مكان معين، ولا يعتبر ذلك تنازلا منها عن هذه الحقوق، فتظل قائمة على عاتق الزوج ولابد من مراعاتها فى تعامله مع زوجته، ومن أمثلة ذلك: ما يقرره الفقهاء بالنسبة لنفقة الزوجة بقولهم: «ويجب على الزوج تمليك زوجته الطعام ويجب لها مسكن يليق بها عادة وإن كانت ممن يُخدم مثلها فعليه إخدامها بخادمة حرة أو أمة مستأجرة أو بالإنفاق على من صحب الزوجة من حرة أو أمة لخدمتها إن رضى الزوج بها».

٣ ـ وهناك حقوق للزوجة مقابل أفعال تقوم بها من منطلق العاطفة التى تتميز بها المرأة، كالرضاعة التى تؤديها الزوجة لابنها الصغير بدون مقابل، وهذا ليس واجبا عليها، بل هو واجب على الزوج ووارثه من بعده، لقول الله تعالى: **﴿والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف لا تكلف نفس إلا وسعها لا تضار والدة بولدها ولا مولود له بولده وعلى الوارث مثل ذلك فإن أرادا فصالا عن تراض منهما وتشاور فلا جناح عليهما وإن أردتم أن تسترضعوا أولادكم فلا جناح عليكم إذا سلمتم ما آتيتم بالمعروف واتقوا الله واعلموا أن الله بما تعملون بصير﴾** سورة البقرة: الآية ٢٣٣، ومما قاله ابن

كثير فى تفسير هذه الآية: «إذا اتفقت الوالدة والوالد على أن يتسلم منها الولد، إما لعذر منها أو عذر منه، فلا جناح عليها فى بذله ولا عليه فى قبوله منها إذا سلمها أجرتها الماضية بالتى هى أحسن، واسترضع لولده غيرها بالأجرة بالمعروف..»."

وعلى هذا فإذا كانت الزوجة لها كل هذه الحقوق على زوجها ومع كل ذلك طلقها فى أواخر رحلتها الزوجية، وقد لا تحصل على كل هذه الحقوق، فمن العدالة أن تعوض هذه الزوجة عن حقوقها الضائعة.

إن مشكلة الزوجة التى طلقها زوجها بعد حياة زوجية طويلة ولم يكن لها يد فى ذلك تتطلب حلا عادلا، وهذا الحل يجب أن يكون على أساس من التوازن بين الآثار السلبية لهذه المشكلة وبين حق الزوج فى الطلاق باعتبار أن الله تعالى قد منحه إياه لحكمة سامية أرادها سبحانه، وعلى ضوء الحقوق المقررة للزوجة وفى إطار مبادئ الشريعة الغراء يمكن اقتراح الحلول الآتية:

أولا: الزوجة التى شاركت زوجها مشاق الحياة الزوجية مدة طويلة وتعبت فى تربية الأولاد بعد الحمل والولادة وربما كان لها دور غير منكور فى تكوين ثروة الزوج وغير ذلك من أنواع المشاركة فى إقامة صرح الأسرة، فإذا طلقها هذا الزوج بدون رضاها وبلا سبب من قبلها، فإن العدالة تستوجب أن تحصل هذه الزوجة على بعض المقابل لهذه المتاعب بعيدا عن المتعة التى شرعت جبرا لخاطر المطلقة، وهذا المقابل قد يكون فى صورة مبلغ نقدى غير نفقة العدة يدفعه الزوج المطلق لزوجته المطلقة جملة واحدة أو على أقساط لتستعين به على مواجهة أعباء حياتها بعد الطلاق، وهذا المبلغ لا يعتبر قيدا على حق الزوج فى الطلاق لأنه لا يدفع إلا فى حالة وقوع الطلاق بدون سبب من قبل الزوجة أو بغير رضاها، وفى هذه الحالة يكون الزوج مقتدرا على كل أعباء الطلاق، وهو لا يقدم عليه إلا بعد أن يكون قد أعد له ولكل آثاره العدة المناسبة، فلا أقل عليه من دفع هذا المبلغ لمن تستحقه.

ثانيا: مع زيادة أعداد المطلقات على هذا النحو يمكن لوزارة الشئون الاجتماعية التدخل لرعايتهن بالوسيلة المناسبة، كإنشاء صندوق خاص لمساعدة المطلقات فى سن متأخرة ولا عائل لهن، فيمكن لكل واحدة منهن أن تحصل على معاش من هذا الصندوق تستعين به على تكاليف الحياة بعد الطلاق، ولا مانع أن يتم تمويل هذا الصندوق من بعض رسوم توثيق عقود الزواج وشهادات الطلاق وغير ذلك.

وقد يقول قائل: لماذا لا تستحق هذه الزوجة المطلقة تعويضا من مطلقها بسبب هذا الطلاق؟ ونبادر إلى القول بأن هذا التعويض يتعارض مع حق الزوج فى الطلاق، إذ أن المطالبة بالتعويض تتطلب قيام خطأ فى جانب الزوج وليس فى استعماله لحقه فى الطلاق أى نوع من الخطأ، ولهذا فإن المقابل النقدى المذكور آنفا لا يعتبر تعويضا ولكنه مجرد مساعدة من المطلق المقتدر ماديا لمن كانت منذ قليل زوجة له وشاطرته حياة استمرت بينهما أمدا طويلا، وأساس المطالبة به قول الحق تعالى: **﴿ولا تنسوا الفضل بينكم﴾**.

والله يقول الحق وهو يهدى السبيل.

# مع الشباب

بدر الدين السيد

■■ عزيزى الشاب المسلم :

**هذا الباب من أجلك.. نلتقى فيه بك أو نناقش معك قضية تهمك.**

بدء الكلام

# عالم شاب

● **جراحات القلب عن بعد ـ باستخدام الكمبيوتر والروبوت ـ طفرة طبية تحققت فى مايو الماضى فى باريس لأول مرة، غير أن الكثيرين لا يعرفون أن وراء ظهور الجهاز المستخدم فى تلك الجراحة. جهد عالم مصرى شاب. هو أحد سبعة جراحى قلب بهذا الأسلوب فى العالم.**

«منبر الإسلام» التقت د. عمرو البسطويسى الشاب. الذى عاد مؤخرا من رحلة بحثية شملت جامعة ماكجيل بكندا، والمراكز البحثية الأمريكية.. لتكون أول مطبوعة عربية تحاوره. قال د. عمرو:

ـ جراحة القلب والصدر حديثة العهد عالميا، وقد لا تتوقع أن مصر من أوائل الدول التى بدأت جراحات القلب المفتوح فى السبعينيات، وهى الجراحات التى يكون القلب فيها موصولا بجهاز القلب الصناعى حيث يوقف قلب المريض مؤقتا لإتمام الجراحة. وبفتحات كبيرة فى الصدر.

والجديد هو جراحات القلب بالفتحات البسيطة. ولقد قمت بدراسات وأبحاث بجامعة ماكجيل بكندا وبعدة مراكز بحثية أمريكية على تلك الجراحات والتى تتميز بأنها تحول دون حدوث اضطرابات كبيرة فى جسد المريض، وأن نتائجها أفضل وفترة

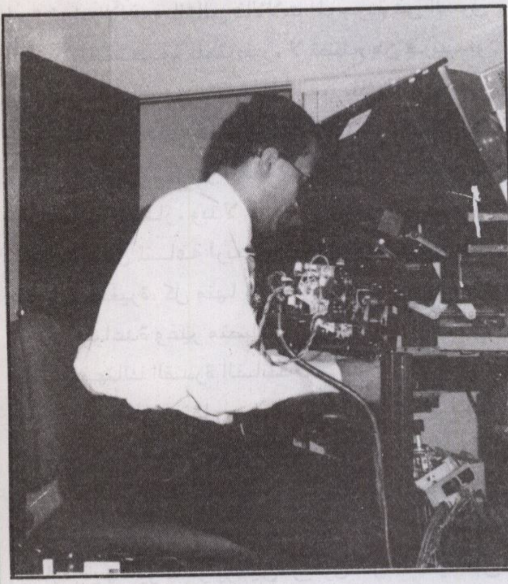

بقاء المريض بالمستشفى أقل.

ـ وعندما سافرت لكندا كان تفكيرى فى جراحات القلب دون استخدام القلب الصناعى خاصة فى جراحات الشرايين. وما لبثت الفكرة أن تطورت فى ذهنى لما هو أحدث وهو جراحات القلب بمساعدة الكمبيوتر واستخدام الأذرع الآلية عن بعد.

● **وكيف تتم جراحات القلب عن بعد؟**

ـ بأسلوب نقل الحركة من يد الجراح إلى الأذرع الآلية. فليس الإنسان الآلى هو الذى يجرى العملية وإنما هو يحاكى حركة يد الجراح. وكأننى من خلال جهاز الرؤية قد دخلت بيدى وعينىّ فى صدر المريض. ويتم ذلك من خلال كابلات تمتد كما نشاء.

● وما الحكمة فى أن تفصل بين المريض والجراح مسافة طالت أم قصرت؟

ـ يتيح لنا ذلك إمكانية إجراء جراحة القلب بالمنظار. حقا هناك جراحات أخرى تتم بالمنظار، كجراحة المرارة وغيرها، إلا أنها تعد جراحات أكثر خشونة، والحركات الجراحية خلالها ليست صعبة ولا معقدة بينما جراحات القلب تحتاج لدقة متناهية فى استخدام الآلة. وبالتالى فالآلات الموجودة فى السوق الطبى والمستخدمة للمناظير، لا تصلح من قريب أو بعيد للاستخدام فى جراحات القلب بالمنظار.

أما جراحة القلب بالمنظار باستخدام الكمبيوتر والأذرع الآلية فتتميز بإمكانية إجراء كل الخطوات من خلال المنظار. وبدلا من شق صدر المريض من أعلى لأسفل لمسافة أربعين سنتيمترا. نفتح ثلاث فتحات صغيرة، كل منها لا تجاوز سنتيمترين اثنين، وتكون متباعدة وغير متصلة.

أيضا فهناك القدرة الفائقة على التكبير، حيث نستخدم منظارا ينقل صورة ثلاثية الأبعاد تشعرك بعمق الصورة مما يؤدى لدقة وضبط الغرز. وكل هذا ينعكس على المريض. فبدلا من المكوث فى المستشفى عشرة أو خمسة عشر يوما قد يصبح بقاؤه فيها يوما أو يومين. ويكون أثر العملية فى جسده أقرب للجروح البسيطة منها لآثار العمليات الجراحية.

● خلال الجراحة كيف يستخدم الجراح الجهاز؟

ـ ليست هناك أزرار، إنما الجراح يجلس أمام جهاز قاعدة العمل المخصصة له، وأمامه شاشة يرى عبرها صدر المريض بصورة ثلاثية الأبعاد، ويضع أصابعه التى يستخدمها من كل يد فى «السيميليتور» أو المحاكى للأصابع وهو الذى ينقل الحركة. وفى كل إصبع قطعة مستديرة مثل الكوتش تخرج منها أسلاك وأربطة يتم توصيلها من خلال نظام معقد بالكمبيوتر. وبجسد المريض فى مكان آخر. وعندما يحرك الجراح يديه بالسيميليتور ـ وهو يرى الصدر المفتوح على الشاشة ـ تنتقل حركة أصابعه للذراع الآلى الذى يرقد تحته المريض وهكذا .. ....

ووصل الأمر أنه إذا اصطدم الذراع الآلى فى صدر المريض، بأى جسم، فإن الجراح يشعر بها فى يده، مهما بعدت المسافة. وهو ما يطلق عليه «تتش فيد باك» والمنافسة الآن بين الشركات الأمريكية حول: أيها أكثر قدرة على إنتاج نظام يسمح بنقل حركة يد الجراح بالدقة والتفصيل لدرجة المحاكاة الأكثر تقدما، على مستوى الأذرع الآلية.

● لو أردنا التأريخ لجراحات القلب عن بعد ماذا نقول؟

ـ نقول: إن بداية الأبحاث كانت عام ١٩٩٧، وفى عام ١٩٩٨ تم استكمال هذه الأبحاث، وفى مايو الماضى تم أول تطبيق لجراحة قلب بشرى عن بُعد، ولقد قمت والحمد لله مع طبيب كندى من أصل عربى هو د. هانى شنيب بالأبحاث الرئيسية فى الشركة المصنعة للجهاز ولولا أبحاثنا لما وصل الجهاز للكفاءة التى مكنت الجراح الفرنسى «آلان كاربنتييه» من إجراء جراحته بهذا الأسلوب ـ رغم كفاءته كجراح.

● ألم يتوصل علماء آخرون لمثل هذه التقنية؟

ـ اليابانيون قاموا من قبل بتحريك الكاميرا فقط.. بالصوت. وهذا أسلوب موجود فى أمريكا، ويتم بأن يصدر الجراح أوامره الصوتية للكاميرا فى مختلف الجهات، وهو ما يواجه صعوبة فى العمل حين يكون الجراح فى مكان بعيد عن مكان المريض، فالأوامر بتحريك الكاميرا تأخذ وقتا، ومن هنا فهى لا تسعف تماما، فضلا عن أنه لو ضاعت الصورة من الجراح تحدث مشكلة فى العملية.

● هل يصبح الروبوت جراح المستقبل؟

ـ ما يقوم به الروبوت هو محاكاة يد الجراح فى كل شىء. فليس هناك أفضل من اليد التى خلقها الله ولعل الكثيرون لا يعرفون أن اليد والعضلات فيها التى تعد من أصعب الأجزاء التشريحية فى جسم الإنسان. معجزة فى حد ذاتها.

ضيف و معلومة

# البصمة الجينية

د. على الحسينى

د. على الحسينى أستاذ الباثولوجى. بطب جامعة فيرجينيا واستشارى بنوك الدم وتحديد الأبوة بالولايات المتحدة يقول: إن استخدام البصمة الجينية بدء منتصف الثمانينيات عقب اكتشاف العالم البريطانى أريك جيفريز إمكان استخدام المكونات الكيميائية للجينات - الحامض النووى - فى تحديد هويات الأشخاص. ونظرا لوجود عدد كبير من الجينات فإن نسبة عالية منها لها مرادفات عديدة، وبإمكاننا تحديد الهوية بصورة قاطعة. بتحليل الحامض النووى DNA ومن خلال عينات من الدم،، أو فحص أية سوائل جسمية أو نسيج من الجسم أو العظم أو النخاع.

والحامض النووى مادة كيميائية عضوية فى نواة كل خلية، عدا كرات الدم الحمراء، التى لا تحتوى على نواة، ويفيد تحليلها فى الحوادث والأعمال الإرهابية وحالات الاغتصاب، وتجميع أجزاء جسم صغيرة. الخ. ولقد تقدم استعمال المؤشرات الوراثية فى الطب الشرعى. لأقصى مدى وبشكل يؤدى لتحديد الشخص مصدر عينة اللعاب أو الدم بصورة قاطعة.

# شباب الحجارة

لم يعرف التاريخ الحديث شبابا عُزِل. تحدوا بالنبل والحجارة - قوات محتلة مدججة بالسلاح والذخيرة. كما فعل شباب الانتفاضة فى فلسطين المحتلة. فرغم البون الشاسع بين سلاح قوات الاحتلال وما يملكه هؤلاء الشباب العزل إلا من أحجار يتحدون بها رصاص العدو وذخيرته وسياراته المدرعة. إلا أنهم تمكنوا - بعزيمة وإصرار - من زلزلة الأرض تحت القدم الإسرائيلية المغتصبة، وإرباكها ودفعها للتوتر والتخبط فى الرد: قتلا وتنكيلا واعتقالا وتشريدا.

إنهم ضوء بازغ فى ظلمة ليل الصمت المطبق على جرائم الاحتلال ومخازيه. ولابد للتاريخ أن يكتب سيرتهم بأحرف من نور لتظل انتفاضتهم معلما من معالم الصلابة والكفاح فى التاريخ الإنسانى.

وراء الأخبار

الدكتور أسامة الباز فى حديث شامل حول:

# قضايا العولمة والتهديد النووى الإسرائيلى واتفاق واى بلانتيشن والسوق العربية المشتركة

الدكتور محمود حمدى زقزوق وزير الأوقاف والدكتور أسامة الباز فى ندوة الموسم الثقافى للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية

تصوير : سيد الزفزاف

ليس من حق إسرائيل التمسك ببرنامجها النووى بعد أن قبل العرب التعايش معها فى سلام

# حماية القدس فريضة على العالم الإسلامى كله

نظرية القطب الأوحد الذى يسود العالم غير صحيحة

منير بيومى

# استمرار الاعتداءات والانتهاكات الإسرائيلية على الشعب والأرض الفلسطينية انتهاك لاتفاقات السلام

**مسئولياته الكبيرة لم تشغله عن تلبية أية دعوة للتحاور مع الجماهير المصرية العريضة فى مختلف مواقعهم.**

**ففى حوار شامل ومثير استمر لأكثر من ثلاث ساعات خاض الدكتور أسامة الباز المستشار السياسى للرئيس محمد حسنى مبارك رئيس الجمهورية العديد من القضايا التى يموج بها عالمنا العربى والإسلامى فى لقائه بجمع كبير من الدعاة وشباب الجامعات المصرية وأبناء العالم الإسلامى الدارسين بالجامعات المصرية فى الموسم الثقافى للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية بمسجد النور بالعباسية وضع خلاله النقاط على الحروف حول قضايا العولمة والتهديد النووى الإسرائيلى للدول العربية، واتفاق واى ريفر بلانتيشن الذى وقع مؤخرا بين إسرائيل والسلطة الفلسطينية، ومشكلة لجان التفتيش بالعراق والتهديدات الأمريكية، كما تناول اللقاء عوامل قيام السوق العربية المشتركة.**

«منبر الإسلام» تابعت الحوار الذى شهده الدكتور محمود حمدى زقزوق وزير الأوقاف ورئيس المجلس الأعلى للشئون الإسلامية والدكتور عبدالصبور مرزوق نائب رئيس المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، والدكتور محمد السعدى فرهود رئيس جامعة الأزهر الأسبق والدكتور محمد شامة مستشار وزير الأوقاف، وقيادات الأزهر والأوقاف.

## الأخذ بأسباب العلم

فى بداية اللقاء أكد الدكتور محمود حمدى زقزوق وزير الأوقاف ورئيس المجلس الأعلى للشئون الإسلامية على أهمية العمل الجاد والأخذ بأسباب العلم فى مواجهة النظام العالمى الجديد وتحقيق التعاون الاقتصادى بين الدول العربية والإسلامية. خاصة أن لديها من الإمكانات التى تمكنها من ذلك بشكل مؤثر وفعال.

وأضاف وزير الأوقاف: إن المسلمين فى أشد الحاجة إلى إثبات وجودهم فى عالم اليوم مشيرا إلى أهمية التسلح بالأمل والعمل لمواجهة التكتلات الاقتصادية والإقليمية، ومن هنا فالمسلمون مطالبون ببذل الجهود ليس عن طريق رفع الشعارات وإنما بترجمتها إلى سلوك ووعى وعمل منتج لنستطيع تطوير مجتمعاتنا لتأخذ مكانتها اللائقة بها بين الأمم على طريق النهوض والتقدم مشيرا إلى أن هذا يتحقق بالتزامنا بما تمليه عليه مسئوليتنا وإرادتنا كما أمرنا الله تبارك وتعالى فى

قوله: ﴿إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم﴾.

## النظام العالمى الجديد

وأكد الدكتور أسامة الباز أن النظم العالمى قد تغير حيث كان التوازن الدولى قائما منذ الحرب العالمية الثانية على النظام الاشتراكى الذى كان يقوم على أيدلوجية الاقتصاد الموجه وليس الاقتصاد الحر، وفى الغرب بزعامة الولايات المتحدة الأمريكية الذى كان يقوم على النظام الرأسمالى والاقتصاد الحر. ويقال إنه كان قائما على نظام الحرية السياسية والتعددية وقبول الرؤى المختلفة داخل المجتمع الواحد.

وأضاف الدكتور أسامه الباز إن هذا النظام العالمى استمر منذ نهاية الحرب العالمية الثانية حتى عام ١٩٨٦م عندما حدث تغير سريع شهد سقوط النظام الشيوعى وأصبح الاتحاد السوفييتى يسير فى طريق يتقارب فيه مع القطب الغربى.

ويؤكد الدكتور الباز أن النظام العالمى الجديد لم يتشكل بعد وليس صحيحا أن هناك قطبا واحدا هو الذى يسود العالم حاليا يقرر كل شىء بإرادته منفردا نظرا لأن النظام يعنى توازن القوى وليس انفراد دولة واحدة - كما يقول البعض بالقوة - وتوقع أن يضم هذا النظام عدة أقطاب كدول أمريكا الشمالية والتى تضم الولايات المتحدة وكندا والمكسيك ويضمها اتحاد النافتا، والاتحاد الأوروبى بما يملكه من وضع جغرافى متميز، والصين الشعبية ولها ثلث سكان العالم، ودول الأسيان إضافة إلى روسيا التى قد تستعيد توازنها خلال المرحلة المقبلة حيث تضم ٢٨٠ مليون نسمة، وأشار إلى أن الولايات المتحدة الأمريكية ليست مؤهلة لريادة وقيادة العالم لأسباب متعددة منها ماهو مادى وماهو روحى يمتد إلى القيم وأسلوب

د. أسامة الباز

التفكير ونمط الحياة.

ويرى الدكتور الباز أن العولمة ظهرت كتعبير عن واقع اقتصادى قصد به أن العالم بدأ يقارب فى النظم والمصالح والقواعد فنتج عنه تقارب فى النظم الاقتصادية، وثورة فى المعلومات، ثم ظهور تكتلات اقتصادية كبرى، مع أن العولمة تعنى سقوط الحواجز والفواصل بين الدول وهنا نلاحظ تناقضا مركبا.

ويشير الدكتور الباز إلى ظهور الشركات العملاقة المتعددة الجنسية التى تفوق طاقتها الإنتاجية طاقة بعض الدول.

## دور الدين أساسى فى حياة الإنسان

ويؤكد الدكتور الباز أن نظرية العولمة التى يقال أنها سوف تتعدى المجال الاقتصادى إلى المجال الثقافى من خلال انتشار أسلوب الحياة الأمريكى فى المأكل والمشرب، وانتشار عنصر الحداثة اقتداء بالنموذج الغربى قول خاطئ لأن انتشار

البدع والتقاليد لا يشكل المكونات الأساسية للإنسان وإنما يشكلها اللغة التى تميز بين الشعوب، ثم الدين الذى يشكل عنصرا أساسيا فى تشكيل ثقافة الإنسان وهو الذى يحدد رؤية الإنسان لنفسه ولغيره وللكون، إضافة إلى التاريخ والتقاليد، مشيرا إلى كذب الادعاء بأنه كلما تقدم العلم كلما ضعف الوازع الدينى لأن العلم يخاطب العقل بينما الدين يخاطب الوجدان، وأكد أن الإسلام دين يخاطب العقل ويدعو إلى العلم، فكلما ارتقى الإنسان علميا كلما تعمق فى الدين، وأشار إلى أن أعمال العنف والإرهاب بعيدة كل البعد عن الإسلام لأنه دين سماحة ويسر.

وقال د. الباز: إن الدول النامية لم تسهم إسهاما كافيا فى تشكيل النظام العالمى الجديد من الناحية الاقتصادية للضغوط التى مارستها الدول الغربية المتقدمة على بعضها أثناء مفاوضات منظمة التجارة الدولية غير أنها تستطيع المساهمة الآن بالعمل الجاد واستثمار إمكاناتها البشرية واستيعاب التكنولوجيا المتقدمة والعلم الحديث فى تشكيل النظام العالمى الجديد.

## الاتفاق الإسرائيلى الفلسطينى.. إلى أين؟

أما اتفاق واى بلانتيشن الذى وقع بين إسرائيل والسلطة الفلسطينية فقد حظى بأهمية كبيرة من الاهتمام فى الحديث حيث طلب الكثير من الحاضرين توضيحا حول بنود الاتفاق ومستقبله ومدى جدية إسرائيل فى التنفيذ.

قال الدكتور أسامة الباز: إن تقييمنا لهذا الاتفاق أمر صعب لأننا لا نستطيع أن نحدد ما كان متاحا للفلسطينيين، وهل كان متاح لهم أكثر مما حصلوا عليه، ثم ماهو القدر الذى يستطيع الشعب الفلسطينى التعايش معه من تقدم فى هذه المرحلة؟ مشيرا إلى أن التقييم الحقيقى لهذا الاتفاق سوف يتوقف على التطورات التى نلمسها فى المرحلة القادمة لأننا لم نتأكد من نية إسرائيل فى تطبيقه بعد.

## وقف الانتهاكات الإسرائيلية.. متى؟!

وأضاف الدكتور الباز: إن هذا الاتفاق يؤتى ثماره إذا كان سوف يوقف الزحف الإسرائيلى المستمر والاستيلاء على الأراضى العربية الفلسطينية إضافة إلى وقف انتهاك حقوق الفلسطينيين.

**لماذا لا تتمسك أمريكا بتطبيق قرارات مجلس الأمن على إسرائيل وصربيا؟!**

وأعرب الدكتور أسامة الباز عن الموقف المؤسف من القضية الفلسطينية نظرا لأن القضايا الكبرى الحساسة قد أُرجئت وهى قضية القدس والمستوطنات واللاجئون وحق العودة، وقيام الكيان الفلسطينى، وقضية المياه، والعلاقة بين الكيان الفلسطينى والدول المجاورة، وقضية الحدود مشيرا إلى أن كل هذا قد أُرجئ للمرحلة الأخيرة من المفاوضات وهذا هو لب الصراع الفلسطينى الإسرائيلى، والعربى الإسرائيلى.

وأضاف الدكتور الباز: أنه على شعب إسرائيل أن يدرك أن من مصلحته أن يقيم سلاما حقيقيا

# أمام التهديد النووى الإسرائيلى ماذا نحن فاعلون؟

**التهديد النووى الإسرائيلى للدول العربية كان مثار اهتمام بالغ فالكثير من أبناء مصر خاصة الشباب الذى تساءل لماذا لا نفكر فى انتاج السلاح النووى فى مواجهة التهديد الإسرائيلى؟ وهل نحن قادرون على ردع إسرائيل؟**

مع العرب لا من منطلق التفوق على الفلسطينيين وقدرة إسرائيل على فرض واقع معين عليهم، وإنما على أساس الندية والتعايش والإقرار بأنهم قد أخطأوا فى حق الفلسطينيين والعرب، وإلا فإن الأمر سوف لا يبشر بالخير وتكون الاتفاقات التى وقعت بلا معنى إذا لم تؤدِ إلى تغيير حقيقى.

## سياسة الكيل بمكيالين

وحول اعتراض العراق على استمرار عمل لجان التفتيش على أسلحة الدمار الشامل إلى جانب استمرار فرض العقوبات والتهديد بتوجيه ضربة عسكرية ضده، **قال الدكتور أسامة الباز:** إننا نرى أنه لا يجوز إطلاقا أن تلجأ الولايات المتحدة الأمريكية إلى استخدام السلاح كلما أراد العراق أن يذهب مذهبا غير ماهو مقرر له. وكلما غير سياسته تجاه لجان التفتيش.

وأكد أن سياسة الكيل بمكيالين تتخذ مع العراق فى حين أن ما يتبع مع العراق لا يتبع ولا يطبق مع دول أخرى مثل إسرائيل وصربيا اللتان تنتهكان القوانين والأعراف الدولية وترتكبان مخالفات جماعية لحقوق الإنسان.

وأكد الدكتور الباز على ضرورة إتاحة الفرصة الكافية للتسوية السلمية لمشكلة العراق بينه وبين مجلس الأمن وألا تتصرف الولايات المتحدة الأمريكية أو غيرها باللجوء للقوة العسكرية.

ردا على هذه التساؤلات جاءت إجابة الدكتور أسامة الباز مثلجة للقلوب مطمئنة ومؤكدة من أن مصر قادرة على مواجهة هذا التهديد ومؤكدة أيضا عدم قدرة إسرائيل على استخدام السلاح النووى لأنه إن حدث فسوف تصل أضراره إلى إسرائيل نفسها فى وقت وجيز.

وأمام عدم امتلاك الدول العربية للسلاح النووى يرى الدكتور أسامة الباز أن الأمة العربية أمامها خياران، الأول هو أن تمتلك هذا السلاح كما فعلت إسرائيل ـ رغم أنه يحتاج لبرنامج يستغرق سنوات عديدة ـ والثانى هو إجبار إسرائيل من خلال الترغيب والضغط لتصفية برنامجها النووى خلال السنوات القادمة لأنها قد تجد أن ذلك من مصلحتها خاصة بعد إبرامها اتفاقات سلام مع الدول المجاورة لها وهى مصر والأردن، وحاليا مع الفلسطينيين، وكذلك سوريا ولبنان كانتا تتفاوضان مع إسرائيل حتى مارس ١٩٩٦م ولكن إسرائيل هى التى أوقفت هذه المفاوضات فى فبراير ومارس ١٩٩٦م بنفسها احتجاجا على رفض سوريا إدانة المقاومة ضد إسرائيل.

## قادرون على مواجهة التهديدات

وأكد الدكتور أسامة الباز أن إسرائيل تعلم أنه من الصعب أن تستخدم السلاح النووى ضد العرب بأية صورة استراتيجية أو تكتيكية لأنها تعلم جيدا أن الرد سوف يكون عنيفا ليس بالضرورة بنفس نوع السلاح وإنما بأسلحة أخرى قادرة على إحداث نفس الضرر خاصة مع حجم إسرائيل وتعدادها البالغ خمسة ملايين نسمة فى مساحة ضيقة.

## عندما إنهار قادة إسرائيل!

ويذكر الدكتور أسامة الباز بالحالة التى كان عليها شعب وقادة إسرائيل فى حرب أكتوبر ١٩٧٣م وما قاله موشى ديان أنه كان يرى أن يذهب إلى الكنيست ويدعو إلى الانسحاب من الأراضى العربية كلها بلا تفاوض، وكيف فكرت جولدا مائير رئيسة وزراء إسرائيل فى الانتحار. هذا ما أثبته كاتب إيطالى يهودى فى جريدة «بريد المساء» الإيطالية قال إنها فكرت فى الانتحار ولكنها خشيت وطأة هذا العمل على نفسية الجنود الإسرائيليين المحاربين فى الجبهة.

وأشار د. الباز إلى أن إسرائيل بعد أن منيت بهزيمة أكتوبر ١٩٧٣م لم تفكر فى استخدام السلاح النووى ليس لأنها دولة فاضلة صاحبة قيم ومبادئ بل لأنها علمت أن الثمن سوف يكون باهظا لا تتحمله!

## حرب نووية بطريق الخطأ كيف؟!

وأكد الدكتور أسامة الباز على تمسك مصر بالدعوة إلى إخلاء منطقة الشرق الأوسط بل العالم كله من أسلحة الدمار الشامل مشيرا إلى الأخطار المترتبة على وجودها فى دول العالم وما تعرض له الاتحاد السوفييتى من مخاطر إثر انفجار مفاعل تشرنوبيل الذى وصلت أضراره إلى تركيا، وحذر من إمكانية حدوث حرب نووية ما بطريق الخطأ عندما تصل معلومات خاطئة لدولة من أن دولة أخرى سوف تضربها بالسلاح النووى فتبادر هى بضربها وتكون العاقبة وخيمة.

وأوضح الدكتور الباز أن السنوات القليلة القادمة سوف تشهد تصفية للبرامج النووية نظرا لتفهم العالم لمخاطرها سواء البشرية أو أثرها السلبى على البيئة لأن حماية البيئة من الأخطار النووية ضرورة لاستمرار الحياة.

## السوق العربية المشتركة

حول الأسباب التى أخرت قيام السوق العربية المشتركة يوضح الدكتور أسامة الباز أن الدول العربية لم تصل كلها إلى درجة واحدة من النمو فى الصناعة والزراعة والخدمات مشيرا إلى أن تفاوت دخل الفرد من هذه الدول جعل البعض يتصور أن إقامة هذه السوق أو اتحاد جمركى أو منطقة حرة تجارية كفيل بأن يضر بمصالح مواطنيه، وأعتقد البعض أن إقامة أى تكتل اقتصادى سوف يكون من مصلحة البعض على حساب الآخرين.

### الدول النامية لم تسهم إسهاماً كافياً فى تشكيل النظام العالمى الجديد

وأشار د. الباز إلى أن الخطوة الأولى سارت فى الاتجاه الصحيح عندما وقعت ١٨ دولة عربية اتفاقية إقامة منطقة تجارية حرة بدأ تنفيذها فى شهر يناير ١٩٩٨ بتخفيض الرسوم الجمركية عشرة فى المائة كل عام، وقال: إن رفع الحواجز الجمركية بين الدول العربية فجأة سوف يضر الصناعات والكثير من المنتجين الزراعيين والخدميين. وأشار إلى إقامة السوق العربية المشتركة خلال عشرة أعوام هو المدخل الصحيح.

# تزايد مستمر لمسلمى أمريكا

**عـدد المسلمـين فى الولايات المتحـدة فى تزايد مستمـر، هذا مـا كشفت عنه تقـارير إعـلاميـة بريطانية وأمريكية.**

قـالت مـجلة «نيوزويك»: إن المسلمين سيتفوقون خلال عقد من الزمان على تعداد اليهود الذى سجل تراجعا كبيرا فى الأعوام القليلة الماضية.

وأشارت المجلة إلى أن عدد المسلمين قد تزايد من أربعة من عشرة فى المائة إلى واحد وأربعة عشر من إجمالى عدد السكان فى الولايات المتحدة ومن المنتظر أن يتضاعف هذا العدد فى الأعوام القليلة المقبلة.

أرجعت المجلة تزايد عدد المسلمين إلى الهجرات المتزايدة لهم من شبه القارة الهندية وشمال افريقيا فى الستينيات والسبعينيات إضافة إلى زيادة اتجاهات الأقلية السوداء نحو اعتناق الإسلام الذى يتزايد معتنقيه عاما بعد عام، وحسب أرقام المجلة فإن عدد المسلمين السود يشكل نسبة النصف من السكان المسلمين فى الولايات المتحدة.

ومن المعروف أن تميز اليهود فى قطاع المال والأعمال ساعدهم على ممارسة تأثيرهم على السياسات الأمريكية تجاه إسرائيل والشرق الأوسط، ويرى المراقبون أن المسلمين يحاولون الآن تحقيق موقع متقدم فى مجال الأعمال والمال، حيث بدأوا يشكلون حضورا فى قطاع المهن مما يجعل منهم قوة انتخابية كبيرة يجب أن يحسب لها ألف حساب.

جدير بالذكر أن هذه الاتجاهات فى تزايد عدد المسلمين لاحظها البيت الأبيض، ففى شهر رمضان المبارك الماضى قام الرئيس الأمريكى «بيل كلينتون» لأول مرة بإرسال رسالة تهنئة للمسلمين الأمريكيين وللدول الإسلامية بمناسبة عيد الفطر، كما قام الجيش الأمريكى بتعيين أول مفت للمسلمين فى الجيش قبل عدة أعوام. وأقام بالتعاون مع المجلس الإسلامى الأمريكى حفلة إفطار جماعى للجنود المسلمين.

# كتاب جديد لجارودى «محاكمة الصهيونية الإسرائيلية»

أصدر الكاتب الفرنسى روجيه جارودى الذى أدين فى فرنسا فى شهر فبراير الماضى بتهمة التشكيك فى جرائم ضد البشرية كتابا جديدا بعنوان **«محاكمة الصهيونية الإسرائيلية»** عن دار نشر «فان دولارج» يطالب فيه مجددا بنقاش علمى وعلنى حول مسألة حرق ستة ملايين يهودى فى غرف الغاز النازية، ويقدم بعض الوثائق والأفكار الجديدة حول هذه القضية. وكان جارودى الذى اعتنق الإسلام قد استأنف الحكم الصادر ضده بغرامة قدرها ١٢٠ ألف فرنك فرنسى (٢٠ ألف دولار) بسبب كتابه «الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية».

## ضم ثلاثة آلاف زاوية للصلاة إلى الأوقاف

**فى إطار خطة وزارة الأوقاف لتنظيم رسالة الدعوة فى أنحاء الجمهورية قررت ضم ١٥٠٠ زاوية للصلاة بالقاهرة والجيزة والقليوبية. كما يجرى حصر ١٥٠٠ زاوية أخرى بالمحافظات تمهيدا لضمها للأوقاف.**

**وسيتم تعيين عامل بكل زاوية لحمايتها ونظافتها وسوف تغلق هذه الزوايا وقت صلاة الجمعة وتقام الصلاة فى أقرب مسجد كبير.**

# دورات تدريبية بالأزهر للدعاة من دول العالم الإسلامى

أكد فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر أن المنهج الدراسى بالأزهر يتميز بالوسطية والاعتدال فلا يتعصب لمذهب دون الآخر حيث تدرس جميع المذاهب الفقهية بكل موضوعية بعيدا عن العصبية والعنصرية، وأضاف أن مصر بقيادة رئيسها وشعبها فى خدمة أبناء المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها.

جاء ذلك فى حفل تخريج الدفعة الثانية والأربعين لدعاة ووعاظ العالم الإسلامى. وأضاف أن الأزهر الشريف يقوم بدعم من الدولة بتنظيم هذه الدورات مساهمة فى نشر الوعى الإسلامى الصحيح لجميع أبناء الأمة الإسلامية.

حضر الدورة ٢٨ إماما وواعظا من دول زنزبار وبورما، ونيجيريا، ومالى، ورواندا، كما بدأت أعمال الدورة الثالثة والأربعين فى الانتظام والتى تضم ٢٨ إماما وواعظا من أوغندا، ومدغشقر، وتايلاند، وسنغافورة، والبوسنة والهرسك، وأذربيجان، وألبانيا، وتستمر هذه الدورة ثلاثة أشهر حيث تتولى الأمانة العامة للجنة العليا للدعوة رعايتهم رعاية كاملة إضافة إلى تنظيم رحلات ثقافية ترفيهية لزيارة المعالم التاريخية.

كما يقدم الإمام الأكبر مجموعة كبيرة من الكتب والمراجع لكل دارس فى هذه الدورات.

## ٢٥٠٠ إمام وداعية فى مسابقة الأوقاف فى القراءة الحرة

اشترك ٢٥٠٠ إمام وداعية فى مسابقة للقراءة الحرة نظمتها وزارة الأوقاف للدعاة على مستوى الجمهورية، تناولت موضوعات المسابقة ١٥ موضوعا حول إقرار الإسلام لحقوق الإنسان فى الحرية والمساواة فى نطاق الاستقرار والنظام وذلك تحت عنوان الإسلام والحريات. كما تضمنت موضوعات المسابقة حرية العقيدة والفكر والرأى والعمل ورعاية الإسلام للمرأة ومساواتها بالرجل فى الحقوق احتراما لإنسانيتها، كذلك الدعوة الإسلامية ودورها فى هداية البشر وسعادة الأمة.

وصرح الدكتور محمود حمدى زقزوق وزير الأوقاف أن موضوعات المسابقة تناولت بالاهتمام تنوع الآراء واختلاف وجهات النظر وأدب الحوار وحسن المجادلة وضوابط ذلك فى الإسلام باعتبارها من سمات المجتمع الصحيح. وقد حصل نحو ١٠٥٠ إماما وداعية ومفتشا على ٩٠٪ فأكثر. كما حصل ٣٢٠ داعية على جوائز مالية وعدد محدود على ١٠٠٪ وتؤهل هذه المسابقة الفائزين للابتعاث فى الخارج خلال شهر رمضان المبارك. وقوافل التوعية وأنشطة وزارة الأوقاف الصيفية.

في رسالة جامعية

## الشاعر محمد إقبال

## داعية الإسلام فى محيط الوثنية

# رسالة علمية تكشف عن الآثار الإسلامية فى شعر محمد إقبال وزيارته للقاهرة

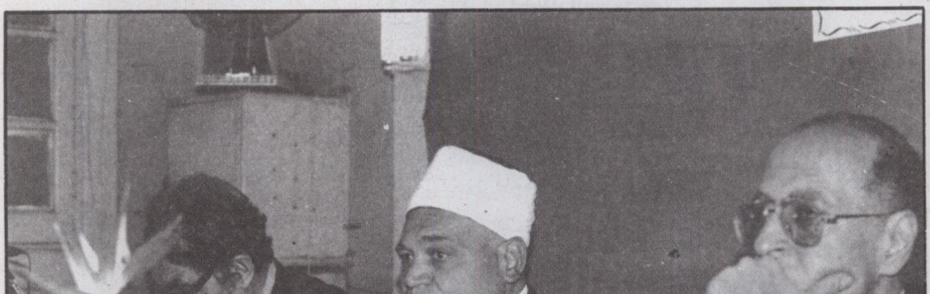

لجنة المناقشة أثناء إبداء ملاحظاتها على الرسالة

متابعة: على إبراهيم الملاح

**كما تحرص جامعة الأزهر على تبنى العقول لصقلها بالمعلومة الصادقة والفكر الواعى فقد تبنت ثناء الله باكستانى الجنسية للحصول على درجة الماجستير عن الآثار الإسلامية فى شعر محمد إقبال بالاعتماد على مترجمات شعره إلى اللغة العربية تحت إشراف الأستاذ الدكتور محمد السعدى فرهود الذى أشار إلى أن موضوع الرسالة يخص أديبا متميزا وزعيما من زعماء الجهاد بدولة باكستان الشقيقة لرفع راية الإسلام عالية، فقد جاهد بقلمه وشعره فى سبيل إعلاء شأن الإسلام بدولة باكستان عند انفصالها عن الهند منذ خمسين سنة.**

والجهد الذى بذله الطالب فى رسالته يجعلنا نفخر بأننا وفقنا فى أن نجعل الطالب الوافد شخصية تنطق العربية تتكلم بها وتكتب بها كتابة علمية، مما يدل على أن الأزهر يقوم بالواجب التعليمى نحو لغة القرآن الكريم.

انعقدت جلسة المناقشة بكلية الدراسات الإسلامية، وتألفت اللجنة من الدكتور/ محمد السعدى فرهود مشرفا والدكتور محمد رجب البيومى عميد كلية اللغة العربية السابق جامعة المنصورة، والدكتور طاهر عبداللطيف عوض أستاذ الأدب والنقد بكلية الدراسات الإسلامية.

وللمكانة العظيمة التى يحتلها إقبال فى نفوس الباكستانيين حضر جلسة المناقشة سفير باكستان بالقاهرة (طيب الصديقى) والملحق التعليمى (نقى مجيب) والمستشار الصحفى (شهيتى الأخضر) هذا إلى جانب لفيف من طلبة الجامعة وافدين ومصريين.

وقد لا يستطيع القلم توفية ما لإقبال من حق فى عرض ماله من مكانة فى النفوس سواء فى باكستان أو فى الأمة الإسلامية خاصة العربية منها لأنه من هؤلاء المفكرين المسلمين الذين أيقظهم الاستعمار الغربى ووجههم أن يكونوا دعاة ضد سلطته فى أية بقعة من بقاع العالم الإسلامى، ودعتهم دعوته أن يعتمدوا على الإسلام كوسيلة أولى فى إيقاظ شعوب منطقة المشرق الإسلامى ضد هذه السلطة الدخيلة.

فقد أراد إقبال بكل ما أوتى من علم وعقل وبصيرة أن يسير بالأمة الإسلامية إلى طريق الشرق الإسلامى فاشتعلت فى النفوس الخامدة حرارة الحياة والرغبة فى الكفاح المستمر لاستعادة مجدها، ولاشك أن قيام جمهورية باكستان الإسلامية صورة حية لكفاحه المستمر وتأثير شعره فى نفوس الشعب الباكستانى الشقيق،

ويصف الباحث المجتمع الهندى آنذاك بقوله: إنه كان فى شقاق دائم لأنه كان يقع تحت وطأة الاحتلال البريطانى الذى كان دائما يسعى إلى إقامة العداء بين أفراد الشعب الهندى المؤلف من المسلمين والهندوس، وفى هذا الجو المضطرب عاش إقبال وكان لابد أن يتأثر به خصوصا أنه نشأ نشأة إسلامية وعلمه أبواه علوم ومبادئ

الإسلام وكان تقيا، لذا كان لزاما أن يتخذ موقفا تدعوه إليه نزعته الدينية والوطنية.

وخلال الأحداث التى كانت تمضى فى هذه الفترة بين المسلمين والهندوس، كان إقبال ممثلا أصيلا للمسلمين مدافعا عن حقهم فى صراحة وكان يتأذى من الوضع الاقتصادى الفاسد للمسلمين ويثير فيه شديد القلق وذلك أنه مصلح إسلامى يرغب فى أن تكون كلمة المسلمين هى العليا ويسعى إلى إصلاح أمورهم ما استطاع إلى ذلك سبيلا.

وقد انتهج نهج مصلح سبقه وهو الإمام (أحمد رضا خان) من علماء الحديث الشريف الذى نادى بضرورة الإصلاح الاقتصادى والتعليمى للمسلمين فى شبه القارة الهندية.

وكم أسهم إقبال فى الحركات المضادة للهندوس الذين كانوا يرغبون فى ارتداد المسلمين عن الإسلام واعتناق الهندوسية، الأمر الذى دعا إلى ظهور إقبال كمدافع قوى عن دين الحق من الضياع أمام حركة (شودهى) التى تعمل للقضاء على الإسلام، ورغم أن هناك آخرين اقترحوا تقسيم شبه القارة الهندية وعلى رأسهم (أحمد رضاخان) إلا أن إقبال كان أول من اقترح على منصة الرابطة الإسلامية بعموم الهند - وهى المنظمة السياسية الممثلة لأغلبية مسلمى شبه القارة - إقامة وطن خاص للمسلمين، وعليه بدأت أجهزة الإعلام الهندوسية الهجوم على هذه الفكرة بكيفية منظمة. فقال (مهاتما غاندى): «نحن لا نوافق على استقلال باكستان ولو احترقت شبه القارة ولو أراد المؤتمر الوطنى الهندى تقسيم الهند فلن يتم هذا إلا بعد مروره على جثتى»!

وأشار الدكتور / محمد رجب البيومى فى حواره مع الباحث إلى أن هذا الصراع بين المسلمين والهندوس دعا الشيخ المراغى شيخ الأزهر آنذاك لمراسلة محمد إقبال للاستنارة برأيه فى مسألة المنبوذين فى الهند، وأرسل الأزهر بعثته المؤلفة من الشيخ عبدالنبى الجمال شيخ كلية اللغة العربية وعضوية الشيخ عبدالوهاب النجار والشيخ أحمد محمد العدوى، وقد نشرت صحيفة دار العلوم - يوليو ١٩٣٨م - ما كتبه الشيخ عبدالوهاب النجار فى مذكراته اليومية عن البعثة الأزهرية ما نصه:

«لم تكن معرفتى بالسيد إقبال حديثة العصر، فقد كنا فى المؤتمر الإسلامى بفلسطين أعضاء سنة ١٩٣٠م، وجاء إلى مصر وألقى بجمعية الشبان المسلمين محاضرة كان لها الوقع الحسن عند السامعين، ألقت ضوءا على أحوال المسلمين فى الهند ومقاصدهم. وقد كان السيد محمد إقبال أول من ذكَّر مولانا صاحب الفضيلة الشيخ الأكبر فى الاستنارة برأيه فى مسألة المنبوذين وجاء رأيه إلى الشيخ، ولتعدد وجوه الرأى على الأستاذ أرسل البعثة الأزهرية لدراسة المسألة عن كثب وتعرف وجه الرأى فيما يمكن عمله وقد اتصلت به البعثة فى لاهور وقضت بضع ليال معه. لدراسة المسألة بعنايته وإرشاده». ثم أعطى الدكتور البيومى نسخة للباحث من المقال حتى يضمها إلى بحثه.

بنى إقبال نزعته الإصلاحية الإسلامية للوصول إلى هدفه فى إصلاح أحوال المسلمين على عنصرين:

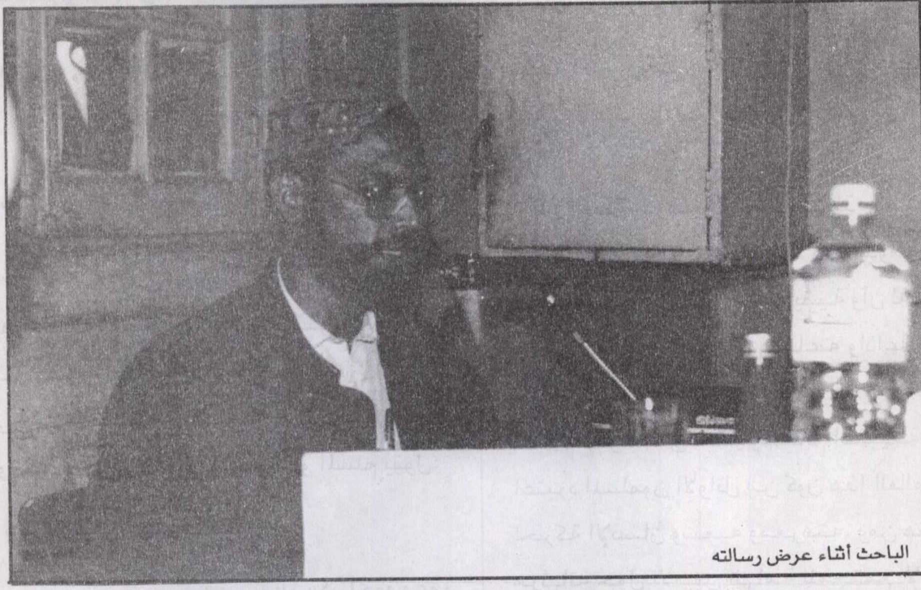

الباحث أثناء عرض رسالته

أولهما: شرح بعض المبادئ الإسلامية كختم الرسالة والتوحيد على أنها عوامل تدفع الإنسان إلى الحركة والسعى فى هذا العالم، ولأهمية التوحيد فى الإسلام فقد تناوله فى ديوانه «تقى أسرار الذاتية» تحت عنوان: التوحيد.

يشير إقبال إلى أن موضوع التوحيد قديم وتناوله الناس بمر العصور اعتمادا على عقولهم الناقصة وضلوا كثيرا حتى جاء التوحيد الإسلامى الذى قادهم إلى صراط مستقيم، فالفارسية تقول بإلهين أحدهما للخير والآخر للشر، والنصرانية تقول بالتثليث، واليهودية تجسم الإله وتجسده حتى تجعله لا يختلف بشىء عن الإنسان.

كما تحدث إقبال عن نظام العبادات الإسلامى فى كثير من قصائده وفضل التمسك بالعبادات فى الحياة الدنيا والآخرة.

فهو يشير إلى أن التوحيد والإيمان القوى بالله يدفع عن الإنسان اليأس والقنوط لأن الموحد بالله يعلم قوله عز وجل ﴿لا تقنطوا من رحمة الله﴾ وبذلك لا يتسرب إليه اليأس ولو ضاقت عليه الحياة لأنه على يقين أن عين الله لا تغفل عنه.

ويمضى الباحث فى عرض رسالته موضحا أن إقبال يرى أن عقيدة التوحيد تجمع بين الأجناس على اختلاف ألوانهم، فالإسلام يريد أن تسود الوحدة بين عامة المسلمين فى أسرة عالمية وأن تسود عراها فى ميادين شئونهم الدينية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية حتى يعيشوا عيشة مرضية، فلذلك نهى الإسلام عن كل شىء يؤدى إلى التفرقة بين المسلمين، وأن مركز الوحدة الإسلامية هو رسول الله ﷺ، لذا يدعو إلى الاتصال الروحى بشخصية الرسول تلك الشخصية التى يتحدث عنها فى جميع أشعاره ويجعله أساسا لدعوته الإسلامية يقول:

إنه قوة هذى الملة

إنه سر اتحاد الأمة

هذه الوحدة مالم تفقد

تحفظ المسلم حتى الأبد

فالرسالة المحمدية رفعت مستوى الإنسانية وحررتها من الظلم والعدوان وعلمتنا أن المؤمنين على اختلاف أجناسهم ولغاتهم وتباعد بلادهم إخوة فى الدين والولاية فالمسلم أخو المسلم يقول:

بيض التوحيد مسود البشر

فأبو بكر أخوه وعمر

نزعة واحدة فى قلبها

فعيار الحسن والقبح بها

نحن فى الإسلام أبناء الخليل

من أبيكم خذ إذا شئت الدليل

أمم قد عبدت أوطانها

وبنت من نسب بنيانها

إنما الأنساب فخر السفهاء

حكمها فى الجسم والجسم هباء

وقد كتب الشيخ فى مذكرته اليومية قول إقبال فى إحدى محاضراته فى الهند: إن قلة العدد لا تخيفنا، فإن المسلمين إذا اجتمعوا وكانت قلوبهم متحدة فإن خطر القلة لا يؤبه به، والفقر ليس مما يخيفنا فإنا نراهم إذا جد الجد يقدمون على العظائم بلا خوف ولا وجل، وإنما الخوف كل الخوف من أن تتراخى فيهم الحمية الدينية والذى يهمنا الآن أن نشرب قلوبهم الحمية للدين وأن يشعروا بالعزة الإسلامية وأن يوقنوا أن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين.

إن البعثة الأزهرية جاءت إلى هذه البلاد أحوج ما كانت البلاد إلى مجئ مثلها، وإن قدومها ليشعر قلوب المؤمنين أن الإسلام له بقية وأن له أنصاراً يعاضدونه ويحرصون على إشاعته وإذاعة فضائله من وراء البحار.

العنصر الثانى: مفهوم عالم الطبيعة إلى ما اعتبره المسلمون الأوائل من كون هذا العالم مجالا لحركة الإنسان وسعيه ومعرفته، ومن هنا كانت مرئياته حول الأسس الهامة للمجتمع الإسلامى فهو فى نزعته الإصلاحية يدعو إلى التعليم، فنجده فى الفصل الأخير من كتابه «جاويد نامه» بمعنى رسالة الخلود، بذل النصح لولده جاويد وفيه عبر عن نزعته فى إصلاح التعليم فيذكر فى الأبيات الأولى أن الأم هى التى تلقن صغيرها درسه الأول:

درسك الأول أم لقنت

بالنسيم عما قد فتحت

دولة للخلد منها نلتها

علمتك (لا إله) قلتها

فهو يشير فى هذه الأبيات إلى دور الأم فى تربية الولد، وينبغى أن يكون فى الدين ولكن فى وضوح ليس فيه تقييد فى القواعد ولا النظر فى شتى المذاهب والمقارنة بين الآراء وعليه كان الدين عند إقبال مقدم على العلم فى أصوله وفروعه، فإنه يريد أن يكون العلم ومقره العقل مقترنا بالروح، وإنه يستوجب أن يتلازم العقل والروح فى التربية يقول:

وأولو الأبصار نزر

وأولو العلم زهاء

ليس بدعا أن كأسا

لك من راح خلاء

ما طريق الشيخ فى المكتب

للقلـــــب ضـــيــاء

والمرأة عند إقبال شكلت الجانب الأعظم من مادة الشعر خصوصا والأدب عموما، ورغم أن كل ما كتبه فى الإصلاح الدينى وإصلاح النواحى الأخرى فى الحياة عند المسلمين لا يسمح بوجود المرأة فيه إلا أنه يهتم بها من الناحية التربوية على الأخص.

حفظ الأنوثة فى يد الرجل

لا العلم يحفظها ولا الحجب

فعنده هى الموجه الأول للطفل، ويرى أن الإسلام براء من مسلم يحقر المرأة ويقول: إنها ليست إلا أمة، فالإسلام كرم المرأة وأعلى شأنها، وعند إقبال أن التعليم الذى يخرج بالمرأة من دائرة الأمومة ويشذ بها عن استعدادها الفطرى ورسالتها المقدسة فهو عين الجهل والحماقة لأنه علم ينتزع من قلبها المشاعر الخالدة والعواطف النظيفة والأحاسيس النبيلة، وعلى هذا يوجه النصح للمرأة بقوله:

احذرى فتنة عصر مهلك

وإلى صدرك ضمى ولدك

فيك تسمو للمعالى فطرة

فاتبعى الزهراء نعم الأسرة

وهو لا يخالف تعليم المرأة ولكنه يجعل تعليم المرأة الدين فى المقام الأول، لأنه يرى أن الفكر المعاصر لا يهتم بالجانب الدينى الواجب من الله فى تعليم المسلمة بل يتركه فى كثير من الأحيان وهذا الإغفال يسبب كثيرا من المشاكل الاجتماعية للمرأة البعيدة عن التعليمات الإسلامية.

ولما كان إقبال داعية إسلاميا ومصلحا اجتماعيا كان لزاما أن يتضمن منهجه الإصلاحى إصلاحا للنظم السياسية، واعتمادا على المثل الإسلامية، وقد عارض نيتشة شاعر الغرب الذى يرى فى الديمقراطية الغربية إصلاحا اقتصاديا ولا يهتم برجل الشارع، فالديمقراطية عنده تقوم على أساس مادى، أما عند إقبال فتقوم على أساس روحى إسلامى، يقول:

صور الغاصب عدلا ظلمه

ماهو التفسير للعدل الجديد

زاد فى التحرير معنى أنه

يحكم القيد لتحرير العبيد

ويكره إقبال من الغرب أن يفرضوا سياستهم على أهل الشرق ويرى فى خضوع الشرقيين ذلا وعاراً، فالشريعة الإسلامية هى النظام الوحيد القادر على تحقيق وحدة البشرية وصياغة الشخصية الإنسانية السوية، وفى قصيدته (برلمان إبليس) فى آخر دواوينه (هدية الحجاز) يتنبأ بفشل كل الأنظمة الأخرى ويعبر عن تخوف رئيس الشياطين على نظامه الإبليسى الغربى من شريعة الإسلام وأمة المسلمين حيث قال:

إن كنت خائفا فإنى أخاف من الأمة الإسلامية

التى لاتزال شرارة الحياة كامنة فى رمادها

ولايزال فيها رجال تتجافى جنوبهم عن المضاجع

وتسيل دموعهم على خدودهم سحرا

أنا لا أجهل أن هذه الأمة قد اتخذت القرآن مهجورا

وأنها فتنت بالمال وشغفت بجمعه وادخاره كغيرها من الأمم

ولكنى أخاف أن قوارع هذا العصر وهزاته ستقض مضجعها وتوقظها إلى شريعة محمد ﷺ

ولعل العامل الأساسى الذى لعب دورا كبيرا فى تكوين شخصية محمد إقبال وتثبته أمام المادة وبريقها فى وسط الحضارة الغربية الساحرة هو الاتصال الروحى والقلبى بالرسول ﷺ وحبه الشديد له ولاشك أن من رزق هذا الحب الطاهر احتفظ بكرامته وعرف وظيفته النفسية وهو خير عاصم من أن يملكه غيره، وإقبال يوضح ذلك بقوله: (بريق معرفة أوروبا لم يستطع فتنتى لأن غبار المدينة والنجف قطرة تشفى عينى) وكان كلما ذكرت المدينة المنورة قطرت عينه دموعا.

ليثرب كان فى كبرى رحيلى

وبى فرح اللقاء مع الخليل

كأن الطير قبل الليل يمضى

ويبغى العش فى الروض الجميل

وقد تأثر إقبال كثيرا بالقصص والمعانى القرآنية والأحاديث النبوية وأفرد لها الكثير من قصائده نذكر منها على سبيل المثال:

إن قرب الروح من «إنى قريب»

من حياة الخلد للمرء النصيب

وهنا إشارة إلى قوله تعالى **﴿وإذا سألك عبادى عنى فإنى قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان فليستجيبوا لى وليؤمنوا بى لعلهم يرشدون﴾**.

ويقول:

من حديث المصطفى نلت النصيبا

كان دين الحق فى قلبى غريبا

وهذا البيت تلميح إلى قول رسول الله ﷺ «بدأ الإسلام غريبا وسيعود غريبا فطوبى للغرباء»

ورغم أن إقبال شاهد الأفكار المادية وعناصر الشر والفساد الكامنة فى طبيعة الحضارة الغربية أثناء إقامته فى أوروبا، فلم يتأثر بها بل التزم بتعاليم الإسلام وتمسك بحب المصطفى ﷺ تمسكا شديدا وأصبح داعية إسلاميا، وأراد أن يبذل كل مجهوداته وقدراته للإسلام والمسلمين، فهو من القليلين الذين كتبوا صحيفة حياتهم بأحرف من نور، لم تؤخذ عليه فى حياته الخاصة أو العامة هفوة أو كبوة بل كان جهاده لدينه وأمته وللإنسانية مخلصا مجاهدا فى الله حتى وافاه الأجل المحتوم.

# الدعـوة والدعـاة

- خطبة الجمعة مكانتها ورسالتها
- اتقوا الله فى أئمة الإسلام
- وعى الأمن

# خطبة الجمعة مكانتها ورسالتها

**تتمثل مكانة خطبة الجمعة فى سياق الدور الاجتماعى الذى يقوم به المسجد ممثلاً فى الخطيب فهى أبرز وسائل الصلة بين الخطيب وجمهور المسجد، ذلك لأنها - إلى جانب كونها ركناً أساسياً فى صلاة الجمعة - محور التعارف بين الخطيب وجمهوره، وبداية صلة الحوار أو السؤال الذى تثيره عند الجمهور، طلباً للمزيد من هذا النوع من الموضوعات، أو طلباً لبيان ما لم يتضح فى أذهان بعض الحاضرين.**

أ.د. أبو اليزيد العجمى

وبمقدار نجاح الخطبة فى جذب الجمهور إلى الخطيب، وبمقدار نجاح الخطيب فى استثمار الصلة بينه وبين الجمهور تكون دوائر العلاقات التى تنتج تعاوناً بين الخطيب وجمهور المسجد على البر والتقوى، حيث يتسع نطاق هذا التعاون ليشمل كل جنبات الحياة الدينى منها والاقتصادى والاجتماعى وغير هذا مما هو فى بابه.

وإذا كانت خطبة الجمعة هى بداية الصلة ومحور العلاقة بين الخطيب وجمهور المسجد بل وأهل المحلة التى بها المسجد فإن خطبة الجمعة ستكون بعد تكوُّن وتعدد الصلات بين الخطيب والجمهور هى النافذة التى يرى منها الجمهور ما يحتاجه من ثقافة بعضها يتصل بالأمور الشرعية وبعضها يتصل بالأمور الحياتية، وأعنى بذلك أن الجمهور نتيجة للاحتكاك المباشر خارج المسجد بينه وبين الخطيب فى مجالات قد يظهر من خلالها بعض أوجه النقص فى معلومات ينبغى أن يتعلمها المسلم لكى يكون فاعلاً، وهنا ستوحى التجربة بضرورة طرح موضوعات تعليمية أو تربوية اجتماعية من خلال خطبة الجمعة التى تؤصل حياة الناس أو تحاول قدر طاقتها وفق تعاليم الإسلام بمفهومه الشامل والكامل.

وحين تؤدى الخطبة هذه المهمة وتُحقق هذا الرباط الاجتماعى بين المسجد ورواده تزداد مكانتها يوماً بعد يوم حيث ينتظرها المصلون كل جمعة زاداً دينياً، وإصلاحاً اجتماعياً تتواصل حلقاته فيرتقى المجتمع المسلم فى ممارساته الحياتية التى تتسع لتشمل كل أنواع النشاط الإنسانى مادام ينبغى به صاحبه إعمار دنياه بما يحقق كمال دينه وسموه.

بهذا لا تكون خطبة الجمعة مجرد وقت يملؤه حديث أياً كان نوعه وإنما تصبح شيئاً ذا مكانة

خاصة فى حياة الناس وعقولهم وقلوبهم وحركات أجسادهم.

فخطبة الجمعة بداية صلة بين الخطيب ومجتمعه، وطريق سير راشد نحو الأمثل والأفضل فى حياة المسلمين حيث تتولى بيان حقيقة إسلامهم ديناً وحضارة، أما كيف تؤدى هذا فهو ما سنشير إليه فى بيان رسالتها.

أما **عن رسالة خطبة الجمعة** فنقول: إن مكانتها التى أشرنا إليها بإجمال هى ناتج رسالتها التى ينبغى أن تكون واضحة فى ذهن الخطيب، وهى - فيما نتصور - تكون كما يلى:

**١ - الخطبة في دور تعليمى تربوى اجتماعى:**

فبالنسبة للمجال الأول تؤدى خطبة الجمعة دوراً هاماً يكون له أثره على سلوك المسلم لأن السلوك ناتج الفكر والفكر ناتج الاعتقاد.

**أ - وأعنى بالتعليمى:** ما تقدمه خطبة الجمعة من موضوعات لا يسع المسلم الجهل بها مثل موضوعات العقيدة وموضوعات العبادات، وموضوعات أصول المعاملات فى الإسلام. وخطبة الجمعة إذ تقدم هذه الموضوعات لا تقدمها بطريقة تدريس علم الكلام وإن أفادت منه لأن هذا يقتضى تفصيلاً لا يتحمله وقت خطبة الجمعة ولا سياقها، وإنما تقدم هذه الموضوعات بما يمكن أن نسميه فلسفة هذه الموضوعات،

فتقدم قضايا التوحيد من خلال أثر عقيدة التوحيد فى ضبط سلوك المسلم فى استقراره النفسى إنقاذاً له من تعدد الانتماءات ونحو هذا، وتقدم العبادات من خلال حكمتها وأثرها في حياة المسلم، وتقدم المعاملات من خلال أثرها فى الاقتصاد من جهة، وفى تقليل المشكلات من جهة أخرى، لكن هذه الطريقة من العرض لا تعفى الخطيب من أن يبين بإيجاز معنى التوحيد، ومعنى العبادة، ومعنى المعاملة، تاركاً تفاصيل العلم إلى الدروس والحلقات النقاشية.

فتكون الخطبة هنا هى المثير لفضول المثقفين من الجمهور لطلب المزيد والتفصيل.

وأعنى بالتثقيف ما يحتاجه المسلم من معارف موجزة تحدد موقفه من بعض القضايا المثارة حوله، فمثلا يمكن - فى سياق كيف نحمى أولادنا من تيارات الانحراف - أن يتناول الخطيب وصية لقمان الحكيم لولده، ويبرز أن مافيها هو تحصين للأولاد متمثلاً فى - التحذير من الشرك - ثم بيان أهمية العبادة، ثم بيان ضرورة الأدب فى التعامل مع خلق الله.

وهنا يمكنه أن يربط بين هذه الوصية وبين حديث ووصية الرسول محمد صلى الله عليه وسلم لابن عباس حين قال له: **احفظ الله يحفظك**.. إلخ الحديث وغيره من أحاديث ووقائع تخدم هذا الموضوع.

وهو موضوع تثقيفى يستفيد منه من يلح عليه سؤال مثل ماذا نفعل لأبنائنا؟ وكيف نربيهم ونحو هذا؟

ومنطقى ألا يطرح هذا الموضوع ومثله من الموضوعات التثقيفية مقصورة إلا على من يدركها ويفهم الهدف منها، ولا يعنى هذا أن الموضوعات مقصورة على المثقفين. إذ يمكن للخطيب أن يطرح على جمهوره الأقل ثقافة موضوعات تثقيفية مثل: النظافة وأثرها فى البعد عن الأمراض ونحو هذا.

والتعليم والتثقيف وإن تداخلا وتكاملا فإن الخطيب الواعى يدرك متى يقدم هذا الموضوع

ويؤخر ذاك وفق خطته فى الاختيار كما سيجىء إن شاء الله.

**ب ـ أما الدور التربوى والاجتماعى للخطبة:**

فهو لون آخر من التعليم والتثقيف يركز فيها الخطيب على التهذيب والتزكية وترقيق المشاعر فى ضوء الضوابط الشرعية الحاكمة لها، وفى الوقت ذاته يتناول موضوعات اجتماعية ملموسة داعياً إلى الاهتمام بها انطلاقاً من أمر الإسلام بها ومن حاجتنا فى الحياة إليها.

فمثلاً يمكنه أن يتحدث عن الزهد وأثره فى عدم قبول الإنسان لذل الحرص وشهوة الإكثار وبخاصة من الكماليات، ويمكنه أن يتناول أثر النوافل والتطوعات فى الارتقاء بالإنسان حيث يظفر بأن يصبح محبوباً لله فيمنح قوة يتحرك بها سمعاً وبصراً ويداً ورجلاً ويجيب سؤاله ويحفظه من كل مكروه.

وفى هذا السياق تطرح موضوعات مثل كفالة اليتيم، والتعاون والحفاظ على البيئة. بتبسيط وتوضيح يسمح للناس أن يمدوا أيديهم فى مثل هذه المشروعات التى توفر الأمن والاستقرار للمجتمع.

والدور التربوى الاجتماعى للخطبة يستفيد من الدور التعليمى الذى مرت الإشارة إليه لأنه حين يحدث الجمهور عن النظام أو النظافة يربط بين هذا وبين فريضة الطهارة في الصلاة وغيرها من العبادات وحين يتحدث عن عزة المسلم وإبائه وأثره فى خدمة الوطن والارتفاع به فإنه يربط بين هذا وبين حقيقة التوحيد حيث لا خضوع ولا ملجأ إلا لله سبحانه.

أقول بهذه الإشارات تبدو خطبة الجمعة رافداً هاماً فى حياة جمهور المصلين ومن خلفهم ممن ينقل هذا الخبر إليهم لكن هذا الدور الهام يحتاج إلى عناية واهتمام كى يثمر ثمرته المرجوة ويأخذ مكانته اللائقة.

وهذا ما يجعلنا نسأل كيف يتحقق هذا وما صفات الخطبة الجيدة؟

## كيف تؤدى خطبة الجمعة رسالتها؟

لكى تؤدى الخطبة رسالتها وتبقى على مكانتها ينبغى أن يكون الخطيب على وعى بمقومات نجاح خطبته، ولعلنا نشير بإجمال إلى أهم هذه المقومات.

### أولاً: الاختيار الواعى لموضوع الخطبة:

فى دائرة ما تؤديه الخطبة من تعليم وتثقيف وتربية وحاجة اجتماعية. فيما عدا المناسبات أو الظروف الطارئة. يكون اختيار الموضوع تحكمه عوامل بعضها يتصل بخطة الخطيب المنبثقة من وعيه وثقافته وبعضها يتصل بالجمهور وبالزمان والمكان أحياناً. فقد يكون الخطيب له خطته فى نسق الموضوعات التى يطرحها، كأن يكون قد قسم موضوعاته إلى موضوعات قرآنية، وموضوعات من السنة والسيرة النبوية وموضوعات من قراءة التاريخ وموضوعات تتصل بأعلام المسلمين وموضوعات تتصل بالقضايا المعاصرة أو المثارة على ساحة اهتمام المسلمين.

وإذا كان هذا أو شبهه من التنظيم هو ما يعيه الخطيب فإن عليه أن يعى كذلك ظروف جمهوره ومستواه الثقافى، ثم عليه أن يراعى المكان الذى يخطب فيه، فالخطبة فى بلد مسلم تختلف عنها فى بلد مسلم وبه أقلية مسلمة، والخطبة في بلد جاد وعامل تختلف عنها فى بلد لا يتمتع أصحابه

بما سبق من صفات.

لكن الأهم فى كل ما سبقت الإشارة إليه من تقسيمات وعوامل هو أن يعى الخطيب هدفه من هذا الاختيار كى تجىء خطبته مثيرة لاهتمام المستمع، وملبية لحاجاته العقلية والنفسية، ووعيه بالهدف هو الذى سيقوده إلى النجاح فى توظيف مادة الموضوع، حيث يربط بين ما يقول - أيا كان نوع الموضوع. وبين حياة الناس، ومصالحهم الشرعية، ذلك لأنه لن يستطيع تعليم الناس ولا تهذيبهم مالم يشعروا أن هذا الذى يقال لهم باسم الإسلام محقق لطموحاتهم ومُرض لنفوسهم.

وكلما كانت الأمور منظمة ودقيقة فى خطة اختيار الخطيب للموضوع كانت فعالية الخطبة وحققت أقوى ارتباط بين الخطيب وجمهوره حيث يشعر الجمهور أنهم أمام خطيب مهموم بأمر الدعوة وأمر الأمة، وسيترتب على هذا الإحساس أمر آخر هو أن الجمهور سيكون طوع توجيهات الخطيب فيما يقترحه من مشروعات فكرية أو اجتماعية، وبذا يتحقق الدور الاجتماعى للمسجد، ويسهم الاختيار الجيد للموضوع في هذا الأمر بسهم وافر.

## ثانياً: الإعداد الجيد للخطبة:

هناك صلة وثيقة بين الاختيار الواعى لموضوع الخطبة وجودة الإعداد، لأن من يعرف هدفه بوضوح يسهل عليه اختيار وسائل تحقيق هذا الهدف، هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن من يملك اختياراً جيداً ووعياً بما اختار يدرك في الوقت ذاته حاجة موضوعه إلى إعداد وجهد كى يكون كما أراده وخطط له.

ولا شك أن إعداد الخطبة مرتبط بقدرات الخطيب العقلية ومخزونه الثقافى لكنه على وجه العموم سوف يكون محتاجاً إلى أن يعرف:

١ - مصادر معلوماته التى يحتاجها لموضوعه مثل كتب التفسير وعلوم القرآن، أو كتب السيرة والحديث، أو كتب التاريخ العام، أو كتب الطبقات ونحو ذلك لأن هذه ستعطيه المادة الأساسية.

٢ - كيف يختار من هذه المصادر ماهو خادم لموضوعه ووثيق الصلة به، وذلك لأنه قد يجد فى هذه المصادر نصوصاً كثيرة لها صلة بموضوعه وهنا تكمن الحاجة إلى وعى ودقة فى اختيار الأقرب فالأقرب من النصوص حتى لا يتوه أو يتشتت وهو يقدم موضوعه إلى جمهوره.

٣ - أن يرتب ما جمع من نصوص ومواقف ويدرس هذا جيداً حتى تجىء الخطبة فى نسق يسهل على الناس فهمه ومتابعته، وحتى يجىء استشهاده بآية أو حديث أو حكمة أو موقف فى سياقه الصحيح، فهذا أدعى إلى الإقناع والاقتناع بقول الخطيب فى موضوعه.

٤ - على الخطيب كذلك أن يفكر جيداً فى كيفية استفادته من خبرات سابقة فى موضوعه لبعض الخطباء المشهود لهم بالريادة، وكذلك كيف يستفيد من الخطب التاريخية مثل خطب الرسول صلى الله عليه وسلم، وخطب الصحابة، ومشاهير الخطباء العرب، وأين يضع هذه العبارة أو تلك فى موضوعه.

وليس ضرورياً أن يجد هذا الأمر فى كل خطبة عنده. إذ قد يكون موضوعه حديثاً ومعاصراً مثل الاستنساخ أو نقل الأعضاء أو التبرع بها، فربما لايجد فى خطب السابقين من عالج هذا الأمر، وإن كان سيحاول البحث فى المصادر عما يساعده

فى فهم وطرح موضوعه الجديد.

٥ - إذا كان الموضوع حديثاً ومعاصراً ويثير قضية تتصل بالعلم عليه ألاَّ يتعجل فى طرحه حتى يجمع له المادة العلمية ويذاكرها مذاكرة جيدة وذلك لأن عدم الإعداد الجيد لمثل هذه الموضوعات خطره أكبر من غيره من الموضوعات.

٦ - غنى عن البيان ضرورة ضبط الآيات وتخريج الأحاديث النبوية حتى لا يؤسس أحكاماً على ما قد يكون فيه كلام حول المتن أو السند ونحو هذا.

## ثالثاً: الأداء الجيد للخطبة:

الأداء ثمرة الاختيار الواعى والإعداد الدقيق.

وفى الأداء قد يكون لكل طريقته ولا ضير فى ذلك، لكننا نشير إلى أمور عامة فى الأداء تاركين الفرصة للقدرات والفروق الفردية تأخذ حظها ومكانها.

**ونرى أن يجىء الأمر كما يلى:**

١ - أن يحدد الخطيب موضوعه (بعد المقدمة المعروفة) وليكن هذا بلغة واضحة.

٢ - أن يبين سبب اختياره هذا الموضوع كأن يذكر أنه حلقة فى سلسلة حديثنا عن الموضوعات القرآنية ونحو هذا، لكن قد يكون من الأفضل أن يبرز فى الأسباب ما يربطه بحياة الناس فى زمانهم ومكانهم.

٣ - ثم يقدم موضوعه فى إجمال وإيجاز مبرزاً أهم النقاط التى سيتناولها وذلك لزيادة الربط بين الجمهور وبينه، ولأن هذا الإجمال حين يأتى بعده تفصيل يكون أوقع في التعليم وتثبيت المعلومات.

٤ - ثم يأخذ فى معالجة نقاط موضوعه بالتفصيل وحبذا لو كان فى كل نقطة يجمل ما قبلها ويربط بينهما حتى يشد المستمع إليه من جهة، وحتى يظهر التسلسل لنقاط الموضوع من جهة أخرى.

٥ - عليه أن يراعى أن تكون اللغة واضحة وصحيحة ومؤدية للغرض من أقرب طريق، لأن اللغة المجنحة تثير بلبلة أكثر مما تقدم معلومة.

٦ - عليه أن يحسن الاستشهاد فى موضعه أعنى أن يضعه موضعه الصحيح، وأن يكون تعليقه على الاستشهاد مناسباً غير مخل وغير ممل.

٧ - ثم هو مطالب بأن يجمع خلاصة ما استنبطه وما يريد أن يوصله لجمهوره ويجمله فى آخر خطبته الأولى مركزاً على ما يتصل بحياة الناي أكثر فأكثر.

أما ما يقوم به البعض من استشهاد بالشعر أحياناً، أو الحكم والطرائف أحياناً، أو القصص التاريخى أحياناً، فكل هذا يقبل فى حدود مناسبته للموضوع ووضعه فى سياقه ووثاقة مصدره حتى لا يختلط الجيد بالردىء.

وعلى قدر جودة الأداء تكون الثمرة التى من خلالها يتحقق هدف الخطيب الذى شغله موضوعه اختياراً وإعداداً. وتكون الصلات التى يسعى المسجد لربط الناس بعضهم ببعض من خلالها حتى تكون وحدة الفكر الذى هو طريق وحدة الأمة.

ويتصل بموضوع الأداء نقطة أخرى هى: الخطبة الثانية وهنا نشير إلى أن بعض الخطباء يجعل الخطبة الثانية إجمالاً للأولى وتأكيداً لها، وبعضهم يجعلها إطلالة على بعض المسائل الحديثة المثارة أو دعوة إلى إصلاح بعض الخلل الموجود فى منطقة المسجد أو نحو ذلك، ثم يعقب

هذا وذاك الدعاء.

ونرى أنه لا ضير فى هذا أو ذاك مادام الخطيب يحفظ لنفسه طريقة ويستمر عليها حتى يتعود الجمهور على ذلك والله أعلم.

## رابعاً: ما ينبغى تجنبه فى خطبة الجمعة:

قد يخدم الخطيب موضوعه اختياراً وإعداداً وأداءً لكن قد يقع فى بعض الأمور التى تقلل من جهده هذا، وتؤثر على تأثير خطبته فى جمهوره.

لذا نرجو أن يتجنب هذه الأمور ونذكر منها:

١ - اللغة غير المناسبة للموضوع أو للجمهور. غموضاً أو ابتذالاً كأن يستخدم بعض الألفاظ أو التعبيرات التى تنتشر بين عامة الناس، وهى بعيدة عن الفصحى من جهة، وعن وقار الخطبة وموضوعها من جهة أخرى.

٢ - التطويل الممل الذى يتعذر معه إفادة الجمهور من موضوع الخطبة، وبخاصة إذا كان جمهوره خليطاً من المستويات الثقافية - وهذا هو الغالب - حيث يصعب على البعض المتابعة فترة طويلة.

وقد تقبل الإطالة أحياناً حين يكون الموضوع شيقاً والعرض مثيراً، وطبيعة الموضوع تقتضى ألا يُجزأ، لكن على ألا يكون ذلك سنة يمضى عليها الخطيب.

٣ - الاستطراد حيث يشتت ذهن المستمع عن الموضوع الأصلى المقصود من الخطبة، وهذا يحدث حين يُفرِّع الخطيب من موضوع فروعاً، ومن الفروع فروعاً كمن يتحدث عن الربا ثم يصل إلى أنه يجلب حرب الله للمرابين وللأمة فيُفرع على ذلك كيف تكون هذه الحرب؟ وما آثارها؟ ثم يغرق فى ضرب أمثلة من واقع الأمة ثم يستطرد فى الخلافات الفقهية الواردة حول هذا الأمر قديماً وحديثاً وهكذا يضيع أصل الموضوع بين هذه الاستطرادات حتى وإن أفادت.

٤ - وعلى الخطيب كذلك أن يتجنب الإغراق فى القصص غير الموثق، أعنى مالم تنبثق من كتاب أو سنة، أو رواية تاريخية موثقة، وهذا باب قد يعجب الجمهور لكنه لا يعلم شيئاً ذا بال وإذا حدث وتعلم منه الجمهور شيئاً فهو علم غير صحيح، وهذا يتطلب من الخطيب دقة وحساً يفرق بهما بين الحقيقى والمعتد به من القصص الذى هو للاعتبار، وبين القصص الذى يغلب عليه السمر والتسلية أكثر مما يغلب عليه بيان أو تعليم أو تهذيب حقيقى.

٥ - أن يتجنب الخطيب مداراة جمهوره فيما ليس صحيحاً. أعنى موافقته لهم على ما هم عليه وصار مألوفاً لهم حتى كأن الحديث الذى يجرحه يصبح غير مقبول منهم. فقد يظن الخطيب أن مداراتهم قد تكون طريقاً لجذب اهتمامهم نحوه، والحق أن الخطيب معلم على قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا يداهن بل يعلمهم الحق بالحسنى ولا يحدثهم كما يريدون هوى وتقليداً بل يحدثهم كما ينبغى مادام الحق هدفه، وتعليمهم غايته، وليثق أنهم سيصعدون إليه بالتدريج بدلاً من أن ينزل هو إليهم.

٦ - أن يبتعد عن التجريد والتصورات الذهنية التى هى أقرب إلى درس الفلسفة منها إلى خطبة الجمعة ذلك لأن هذا سيفقده مصداقيته وواقعيته وسرعان ما سينصرف جمهوره عنه إما كللا، مما يقول، وإما اعتقاداً أن هذا لا يفيد فى ما من أجله تكون خطبة الجمعة.

ويتصل بهذا أن يستخدم اللغة التجريدية كالماهية والماصدق ونحو هذا.

# نقد توجيهى
# اتقوا الله فى أئمة الإسلام

يحلو لبعض الكتاب، أن يتتبعوا الأخبار الواهية فى كتب الأدب، تلك التى تعتمد على الجمع لا على التحقيق، ليتخذوا منها مطية للفتنة، فهم يتصيدون كل خبر منحرف ألصق إلصاقا بإنسان ذى مكانة فى التاريخ، لا ليكشفوا عن عواره، ويوضحوا تهافته واختلاقه، بل ليكون دليلاً قوياً على تزكية هذا الانحراف، واعتباره أمرا محبباً، يكون موضع القدوة والاحتذاء، ومن نكد الأقلام فى هذا العصر أنها أصبحت عون الباطل لدى الصحافة العابثة، تلك التى تريد جذب القراء بالخبر المثير، والقصة الغريبة، فتفسح صفحاتها لكل عابث يريد أن يتملق الأهواء، ويستثير الغرائز، ولو اقتصر هؤلاء على أخبار العابثين من مستخفى الأدباء فى الشرق والغرب، لهان الأمر، إذ يضعف تأثير هؤلاء فى أذكياء القراء، إذ علموا عنهم فقد الحصانة الخلقية، وانهيار المناعة الأدبية، ولكنهم لحاجة فى نفوسهم يأتون إلى من اشتهروا بالإمامة فى الفقه والنزاهة فى الحكم والطهارة في السيرة، لا ليكتبوا عنهم ما ذاع واشتهر عنهم من مواقف الرجولة، بل ليتصيدوا هنات روتها كتب الأدب وسكتت عنها كتب التاريخ!

د. محمد رجب البيومى

ثم تصاغ هذه الهنات الثالية فى نسق خيالى يعمد إلى التجويف والمبالغة ويختار لها العناوين البراقة، والخطوط العريضة التى تملأ الصفحة بأعمدتها الأربعة، وبألوانها الصارخة، لتصبح زادا للمراهقين من القراء، ولا أعنى بالمراهقة تلك الفترة المحددة فى عمر الإنسان بين الخامسة عشرة والعشرين، بل أقصد المراهقة المريضة التى تمتد إلى أحقاب متوالية بحيث يصير الشاب والكهل والشيخ مراهقا فيما يأخذ ويدع من الأشياء، وأنا واثق أن هؤلاء الكتاب الذين يتملقون الغرائز باختيار الساقط الهابط من الأكاذيب مراهقون، وإن تنفس بهم العمر إلى الستين وإلى السبعين، وكما يوجد الحلم لدى بعض الشباب، قد يوجد السفه لدى بعض الشيوخ، وكثير ماهم!

لقد انتشرت الأغنية الداعرة فى المجتمع الإسلامى، وأصبحت الإذاعات المختلفة فى ربوع هذا المجتمع المريض تراوح السامعين وتغاديهم بأقذع ما يُسمع، وأوجع ما يقال، وقد تملكنى الأرق ذات ليلة، ومرضت عينى فلم أستطع القراءة،

فحاولت أن أدير مفاتيح الإذاعات العربية لأسمع بعض ما أشتهى من قصة معبرة، أو تعليق هادف، ولكنى فوجئت بتواطؤ هذه الإذاعات فى منتصف الليل على إزعاج السامعين بمختلف الأغانى الهابطة، وكأن بينها على افتراق الدول وتباعد المسافات اتفاقاً مؤكدا لا تحيد عنه، أن يُشْغل السامعون بتافه الغناء، ورخيص القول، فى وقت يصرخ فيه المسلمون فى كل مكان لما يُقاسون من ظلم تشق له المرائر، وتتفتت الأكباد، فإذا انتهى المغنى من إسفافه، وحمدنا الله على انكشاف البلاء، وجدنا ندوة تعقد فى حندس الليل ليتحدث روادها عن روعة الأغنية، وإيضاح مزاياها الفنية، ثم تأتى مثيلاتها استجابة لرغبة المتحدثين، وكأن الإذاعة لم تخلق إلا لهذا اللهو التافه! وتسأل عن أحاديث البطولة والعلم والاكتشاف فلا تكاد تجد!

وآخر ما تفتقت عنه المواهب الخارقة فى هذا المجال، أن يهرف كاتب سطحى بحديث عن عطاء ابن أبى رباح ومالك بن أنس - رضى الله عنهما - فينقل عن كاتب معاصر ترك الدنيا منذ عشرين عاماً مقالاً قال فيه:

«فى تاريخ الإمام مالك أنه تعلم الفقه والحديث عن كبار الشيوخ والمحدثين، ولكن أول شىء بدأ يتعلمه كان هو الغناء، وكانت فى الحجاز مدارس كثيرة، ومذاهب يختلف فيها الناس ويتجادلون، وأحست أم مالك ميل ابنها للغناء وتعلمه، فصرفته عن ذلك قائلة: إن المغنى إذا كان قبيح الوجه لم يلتفت إلى غنائه، فدع الغناء واطلب الفقه، وكان من ذلك كما قال هو، تحوله إلى الفقه، ولكنه بقى على حبه للغناء وممارسته فى بعض الأوقات ونلاحظ هنا أن أم مالك لم تعب اشتغال ولدها بالغناء، ولم تستنقص تعلمه، ولا الاشتغال به لا من ناحية الدين ولا من ناحية المجتمع، بل أرادت مالكاً على أن ينصرف عنه حرصا على مستقبله كما نقول فى لغة عصرنا!! وفى تاريخه أنه لم يتعلم فقط الغناء وأنه كان أول شىء تعلمه، بل إنه كان نقادة للغناء، وأستاذاً معلماً يعلمه غيره، ففى تاريخه أن سائراً فى الطريق. وقت الظهيرة كان يغنى بيتا من الشعر يقول:

ما بال قومك يارباب .... خزرا كأنهم غضاب

وسمعه مالك، فأطل عليه من خوخة بابه، وقال له: يافاسق، أسأت الغناء، ومنعت القائلة أى أزعجت الناس وقت راحتهم وقيلولتهم وأشعت الفاحشة، ثم أخذ مالك يغنى، فظن عابر الطريق أنه (طويس) أبرع المغنين وأعظمهم فى عصره، فسأل مالكاً، من أين كل هذا الغناء الجيد البارع؟ فأخبره مالك خبر تعلمه الغناء وهو صغير، فطلب السائر أن يعيد الغناء الذى غناه، فأجابه مالك جوابا لبقا ظريفا يقول: لا والله تريد أن تحفظه وترويه وتغنيه وتقول: أخذت هذا الغناء عن مالك ابن أنس».

هذا ما قاله الكاتب، وهو فى كتابه منقول عن أبى الفرج الأصبهانى صاحب كتاب الأغانى، فإذا تأملنا هذا القول، وجدناه ينطق بكذبه الصريح، لأسباب يلحظها دارس سيرة الإمام فى مظانها الصادقة، فلا يسعه إلا الرفض الصريح لأمور أهمها:

(١) إن جميع الذين تحدثوا عن هيئة مالك فى طفولته وصباه ذكروا أنه كان أزهر، أشقر، واسع العينين، ولم ير بياض فى حمرة أحسن من وجه مالك، فكيف تقول أمه: يابنى إنك قبيح الوجه؟! وهبها قالت ذلك لتصده عن الغناء، أكان يصدقها فى هذا القول وهو يعلم عن نفسه غير ما تقول!

(٢) يقول الكاتب إن مالكاً بقى على حب الغناء وممارسته بعض الوقت، لأن أمه لم تعب اشتغاله بالغناء من ناحية الدين أو المجتمع، ولكن من ناحية وجهه فحسب!

والذى يؤكده كاتبو سيرة مالك أنه اشتغل فى صباه بزازاً يتاجر مع أخيه النضر حتى أنس من نفسه ميلاً للعلم فترك مهنة أخيه! فكيف مارس الغناء حتى صار أستاذا ينقد من تخصصوا فى الغناء ووهبوا له عمرهم الأطول! ثم ما معنى قول الكاتب إن أم الإمام لم تنكر احتراف الغناء لأمر دينى أو اجتماعى، بل لأن ولدها قبيح الوجه! أتكون والدة الإمام ذات رأى فقهى يحذر الكاتب أن يفهم منه ترفعها عن الغناء! فيسارع إلى نفى هذا التوهم! إن المعروف فطرياً أن كل أم ترى ولدها جميلا، فى عينيها، فكيف تصفه بما ليس فيه؟ ألا يدل ذلك على اختلاق الحادثة من أساسها؟!

٣ ـ كان للإمام مالك هيبة جبارة تمنع أصحابه أن يبدأوه بالسؤال فى حلقة الدرس أو أن يطالبوه بالجواب عن السؤال إذا لم يشأ الإجابة، حتى قيل فيه:

يدعُ السؤال فلا يُراجع هيبة
والحاضرون نواكس الأذقان

وقد رووا أن تلميذا سأله عن حديث لرسول الله، وهو واقف فأمر بضربه حيث جاوز الأدب إذ لم يجلس مجلس المتواضع فى حلقة الحديث، كما أمر بحبس قاضى المدينة إذ تكلم فى الحديث النبوى ماشياً، فقيل له: إنه القاضى، فقال: ذلك أحرى أن يؤدب، وقد اعتذر القاضى فى الحلقة! هذا الإمام الذى يحتفل بمشهد العلم هذا الاحتفال، ويحرص على سمعته العلمية فى مدينة رسول الله إذ أصبح كبير علمائها! هذا الإمام يخرج عن وقاره، فينادى مغنيا عابرا ليصحح له الأداء! ثم يقول: لن أقول لك من أنا؟ حتى لا تتحدث بأن مالكاً بن أنس قد صحح لك الأداء، وإذا كان الإمام يريد إخفاء اسمه فلماذا ذكره فى الحوار فيقع فيما يكره! أهو ساذج إلى هذا الحد؟!

٤ ـ قالت الرواية المزعومة على لسان الإمام: لقد أزعجت الناس وأشعت الفاحشة! وهذا اعتراف صريح بأن الغناء فاحشة فى رأى الإمام ـ لو صدقت الرواية ـ فكيف يكون هذا رأيه الفقهى، ثم ينطلق بالغناء من خوخة بيته ليسمعه كل عابر! ألا نرى أن التلفيق واضح، بل فاضح! وكان على الملفق أن يكون أوعى وأنبه!

٥ ـ إن الإمام فى رأيه الفقهى ينهى عن الغناء ويراه عيبا ترد به الجارية المشتراة، إذا وجدت مغنية، على حين يرى الشافعى الغناء مكروها فقط! فكيف يمارس مالك الغناء وهذا حكمه الفقهى، وتلك فتواه!

٦ ـ أما رواية أبى الفرج الأصبهانى لهذه الواقعة فهى أقوى دليل على تلفيقها، لأنه صاحب الأغانى،

وقد سبق أن قلت عنه من مقال مستوف(١).

«ودراسة كتاب الأغانى لا تكمل للدارس دون أن يعرف حياة مؤلفه، ومنهجه فى الحياة، ومعدن ثقافته التى اهتم بها بين معاصريه، وكل الذين تحدثوا عن سيرته أجمعوا على تبذله، وميله للمجون ومعاشرة الغلمان، والولوع بمجالس الخمر والقيان، ورجل يشتهر بهذا المنحى ويهيم به، وينقل الناقلون من أخباره ما يرميه بالانحراف لابد أن يجرى فى مؤلفاته على نحو يرضى مزاجه الخاص، فهو يتتبع مزالق الريبة فيمن يتحدث عنهم، ويسهب إسهابا كثيرا فى سرد ما يخصهم من ألوان الخلاعة. وكان على من يتعمد تسجيل النوادر عن رجال الأدب والتاريخ ألا يترصد المزالق وحدها، مغمضاً عن كل نوازع الخير، بل كان عليه أن يدقق فى اختيار هذه الأنباء، فما يظهر عواره من الأكاذيب المفضوحة يجب أن يهمل، ولأبى الفرج عقله الذى يوجب عليه التثبت، وقد اعترف أنه يروى ما وصله دون أن يدقق، بل اعترف فى حديثه عن ابن الكلبى أنه يروى الموضوعات المكذوبة! ومع ذلك فقد نقل عنه الأكاذيب».

أما افتراءاته عن عطاء بن أبى رباح فظاهره البطلان، فقد زعم «أن ابن سُريج كان جالساً فمر به عطاء بن رباح، وابن جريج وكلاهما من كبار الفقهاء بمكة، فحلف عليهما بالطلاق أن يغنيهما، على أنهما إن نهياه عن الغناء بعد أن يسمعا منه تركه، فوقفا له فغناهما:

إخوتى لا تبعدوا أبدا

وبلى والله قد بعدوا

فغشى على ابن جريج، وقام عطاء يرقص!

عطاء الفقيه المتزن يرقص أمام الناس! وابن جريج يغمى عليه لبيت غناه ابن سُريج لا عطاء الذى غاظه اجتماع بعض الناس على الحديث المباح فقال فيهم:

«إن من قبلكم كانوا يعدون فضول الكلام كل ما عدا كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وأمر بمعروف أو نهى عن منكر، أو أن تنطق فى معيشتك التى لابد لك منها! أتنكرون أن عليكم حافظين، كراماً كاتبين، عن اليمين وعن الشمال قعيد، أما يستحى أحدكم لو نشرت صحيفته وليس فيها شىء من آخرته!!

عطاء هذا المتحرج عن أدنى لغو، يستمع إلى الغناء فيرقص فى الطريق!! لقد حاسب أصحابه على الحديث المباح إذا لم يكن فى ذكر الله، أو حاجة للعيش، كما واجه خليفة المسلمين عبدالملك ابن مروان بما لم يجرؤ عليه سواه! ثم ينتظر منه أبو الفرج لا أن يسمع الغناء فحسب، بل أن يرقص لفرط النشوة والإعجاب!

ياقوم إن تاريخ الأئمة ذائع مشتهر، فلا تحرفوا الكلم عن موضعه لتستخفوا البلهاء بما تأفكون!

## الهوامش

(١) قضايا إسلامية جـ٢ ص١٩١ للدكتور محمد رجب البيومى.

# وعى الأمن

قبل غزوة أحد كتب العباس رضي الله عنه إلى رسول الله ﷺ يخبره بخروج قريش لقتاله، وقد قدم حامل الرسالة وهو - عليه الصلاة والسلام - بقباء، فقرأ الرسالة على الرسول ﷺ أُبَىٌّ بن كعب فأمره بأن يكتم أمرها، ثم نزل - عليه الصلاة والسلام - على سعد بن الربيع فأخبره بكتاب العباس وأمره بأن يكتم السر.. فلما خرج الرسول ﷺ من عند سعد جاءته امرأته فقالت: ما قال لك رسول الله ﷺ؟ قال: ما أنت وذاك، لا أُمَّ لك، قالت: قد كنتُ أسمع عليكم! وأخبرت سعدا بما سمعت، فقال لها: أراك كنت تسمعين علينا، وانطلق بها إلى الرسول ﷺ فأخبره خبرها، وقال: يارسول الله إنى خفتُ أن يفشو الخبر، فترى أنى المُفشى له، وقد استكتمتى إياه، فقال رسول الله ﷺ «خَلِّ عنها».

اللواء محمد جمال الدين محفوظ

هذه صورة توضح كيف كان الصحابة - رضوان الله عليهم أجمعين - يحرصون على كتمان الأسرار باعتبارها «أمانة» يجب المحافظة عليها وصيانتها، وقد شهد التاريخ بأن أسرار رسول الله ﷺ وأسرار المسلمين كانت «مصونة وبعيدة عن متناول الأعداء» فى الوقت الذى كان الرسول ﷺ يطلع على نوايا أعدائه العدوانية على نحو مبكر يمكنه من أن يتخذ للأمر عدته، وكان ذلك من أسباب النصر.

## الكلمة أمانة

يقول الله تعالى: **﴿ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد﴾** سورة ق: آية ١٨. ومما يفهم من هذه الآية الكريمة أن كل لفظ من الإنسان مسجل عليه.. واللسان الذى هو نعمة من نعم الله على عباده يستطيعون بها التعبير عن آرائهم وتبادل المنافع مع الناس، هو وسيلة الخير والسعادة فى الدنيا والآخرة «إذا أحسن استعماله»، كما أنه سبب قوى للشر والشقاء فى الدارين «إذا أسىء استعماله».

من أجل ذلك جعل الإسلام «الكلمة» أمانة عظمى لها مكانتها فى تقديره، ووجه المسلمين إلى «التدبر فيها قبل التلفظ بها»، وإلى الحرص على

أن تكون كلمة طيبة حيث قال تعالى: ﴿**ألم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها فى السماء﴾ تؤتى أكلها كل حين بإذن ربها﴾ ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون﴾ ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض مالها من قرار﴾** سورة إبراهيم: الآيات ٢٤ ـ ٢٦.

وقال الرسول ﷺ «**من يضمن لى ما بين لحييه وفكيه (وهو اللسان) أضمن له الجنة**» متفق عليه.

وقال أيضا: «**رُبَّ كلمة من سخط الله يقولها المرء لا يُلقى لها بالا، يهوى بها فى النار سبعين خريفا**» رواه مسلم. وعن جابر بن عبدالله رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**إذا حدَّث الرجل الحديث ثم التفت فهو أمانة**». رواه أبو داود والترمذى.

## التحذير من خيانة الأمانة

وإفشاء الأسرار خيانة للأمانة يحذر الإسلام منها أشد التحذير حيث قال تعالى: ﴿**ياأيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون﴾** سورة الأنفال: آية ٢٧. كما قال الرسول ﷺ: «**ألا لا إيمان لمن لا أمانة له، ولا دين لمن لا عهد له**» رواه أحمد. وقال أيضا: «**آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا ائتمن خان**» رواه البخارى ومسلم.

## صمام الأمان

يقول الرسول ﷺ: «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت**» متفق عليه.

ويرشدنا ذلك إلى أن «الصمت» هو صمام الأمان الواقى من إفشاء الأسرار، وذلك لأن الصمت «يمسك باللسان» وهذا ما نجده فى قول الرسول ﷺ: «**امسك عليك لسانك، وليسعك بيتك، وابك على خطيئتك**» رواه الترمذى.. «**المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده**» متفق عليه.. «**من كف لسانه، ستر الله عورته**».. وعن شعبان بن عبدالله الثقفى قال: قلت يارسول الله، «**حدثنى بأمر أعتصم به، قال: «قل ربى الله ثم استقم»**، قال: قلت: يارسول الله، وأخوف ما تخاف علىَّ؟ فأخذ بلسان نفسه ثم قال: «**هذا**». رواه ابن ماجة وابن حبان والحاكم والترمذى.

## قواعد تداول الأسرار

وقد وضع الإسلام قواعد محكمة لتداول المعلومات والأسرار تضمن المحافظة عليها كما يلى:

١ ـ من لديه المعلومات والأسرار، لا يقدمها إلا للمختص أو من يهمه الأمر» بحسب وظيفته ومركزه»، على أن يكون ذلك «بالقدر المناسب» وفى «الوقت المناسب»، وقد قال الرسول ﷺ: «**أمرنا ـ معشر الأنبياء ـ أن نكلم الناس على قدر عقولهم**»

رواه الديلمى عن ابن عباس. وقال: **«ما أحدٌ يحدث قوما بحديث لا تبلغه عقولهم إلا كان ذلك فتنة على بعضهم»** (رواه مسلم) وذلك أن يتأولوه غير تأويله ويحملوه على غير وجهه، وهو فتنة تؤدى إلى التكذيب بالحق وإلى العمل بالباطل.

وقال أيضا: **«لا تتكلم فيما لا يعنيك فإنه فضل (فضول) ولا آمن عليكم الوزر، ولا تتكلم فيما يعنيك حتى تجد له موضعا».**

٢ ـ تجنب السلوكيات الضارة بالأمن مثل الثرثرة والتحدث بدون حرص وترديد الفرد لما يعرفه من معلومات أو ما يلقى فى أذنيه من أنباء حيث قال تعالى: **﴿ومن الناس من يشترى لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم ويتخذها هزوا أولئك لهم عذاب مهين﴾** سورة لقمان: آية ٦.

وقال الرسول ﷺ: **«كفى بالمرء كذبا أن يحدث بكل ما سمع»** رواه مسلم.

٣ ـ تجنب الفضول وحب الاستطلاع ودس الأنف فى كل أمر من الأمور والقاء الأسئلة حيث قال تعالى: **﴿ياأيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم﴾** سورة المائدة:آية ١٠١. **﴿ياأيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه﴾** سورة الحجرات: آية ١٢.. **﴿رب إنى أعوذ بك أن أسألك ما ليس لى به علم وإلا تغفر لى وترحمنى أكن من الخاسرين﴾** سورة هود: آية ٤٧.

وقد روى عن على بن أبى طالب أنه قال: «ليس كل ما يُعرف يقال، ولا كل ما يقال حضر أهله، ولا كل ما حضر أهله جاء أوانه».

## وعى الأمن فى التربية الإسلامية

وقد كان الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ يربون أولادهم على كتمان الأسرار ويجعلون ذلك «أول» ما ينصحونهم به، قال العباس بن عبدالمطلب لابنه عبدالله: «إنى أرى هذا الرجل (يعنى عمر بن الخطاب رضي الله عنه) يُقَدِّمُك على الأشياخ (يعنى كبار الصحابة) فاحفظ عنى خمسا: لا تفشين له سرا، ولا تغتابن عنده أحدا، ولا يُجَرِّبَنَّ عليك كذبا، ولا تعصين له أمرا، ولا يطَّلعن منك على خيانةَ».

وقال أنس بن مالك رضي الله عنه: أتى علىَّ رسول الله ﷺ وأنا ألعب مع الغلمان، فسلم علينا، فبعثنى فى حاجة، فأبطأتُ على أمى، فلما جئت قالت: ما حَبَسَك؟ (أى أخَّرك) فقلت: بعثنى رسول الله ﷺ لحاجة، قالت: ما حاجته؟ قلت" إنها سر، قالت: لا تخبرن بسر رسول الله ﷺ أحدا» رواه مسلم، كما قال أنس أيضا: «أسرَّ إلىَّ النبى ﷺ سرا فما أخبرت به أحدا بعده، ولقد سألتنى أم سُلَيم، فما أخبرتها به» رواه الشيخان ـ وأم سليم هى أم سليم بنت ملِحان وهى أم أنس بن مالك.

# أنت تسأل و الفقيه يجيب

فضيلة الشيخ عطية صقر

## عصيان الزوجة

**السؤال من القارئ سمير عطية السيد خليفة من المحلة الكبرى، يقول:**

**زوجة أجريت لها عملية جراحية فى البطن منذ سبع سنوات وبسؤال الطبيب المعالج أفاد أنها بحالة صحية جيدة ولكنها ترفض معاشرة زوجها مدعية أنها متعبة، وترفض قيام زوجها بالزواج من أخرى وطلبت منه أن يزنى لإشباع رغبته، فما حكم الدين، وكيف يتصرف الزوج؟**

**الجواب:** الزوجة مادامت على ذمة زوجها يجب عليها أن تلبى طلبه فى المتعة، فإذا كانت متعبة ورضى هو بعدم التمتع بها لذلك فهذا شأنه، أما إذا لم يرض فله الحق كل الحق أن يتزوج أخرى تلبى طلبه حتى لا ينحرف، وذلك إذا كان قادرا على الإنفاق عليهما مع العدل فى ذلك وفى المبيت حتى ولو لم تكن معاشرة، كما أن له الحق أن يطلقها إذا لم يستطع أن يجمع بين زوجتين، ولا يرغم على إمساكها بحالتها هذه اللهم إلا إذا كان على مستوى عال من الإيمان والزهد وحب الخير لها وللناس، أما أن تمنعه من التمتع بها ثم تغريه بالزنا ليشبع رغبته فذلك أمر لا يقبله عقل ولا يقره دين، ولا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق على فرض أنها هى التى تأمر وعليه الطاعة.

فالتصرف فى هذه الحالة إما أن يتزوج أخرى إذا كان قادرا على الإنفاق والعدل، وإما أن يطلقها ليتزوج أخرى تتناسب مع قدرته، أما سكوته على حرمانه منها فهو أمر لا يرغم عليه وهو حر فى قبوله.

# تطلب الطلاق من أجل الزواج

**السؤال من القارئ، أ.ع، من دولة الإمارات العربية، يقول:**

**حدث نزاع بين زوجين كان سببه أحد الجيران الذى حاول الإصلاح بينهما وانتهى الأمر بالطلاق، فهل يجوز لهذا الجار أن يتقدم لخطبة هذه المرأة المطلقة، علما بأن لها أبناء من زوجها؟**

**الجواب:** إذا تعلق قلب الزوجة برجل آخر وسعت للطلاق من زوجها حتى تتزوج غيره كان ذلك حراما، وبخاصة إذا كان قائما بواجباتها غير مقصر فى حقوقها، فالتى تطلب الطلاق من زوجها بغير سبب معقول مذمومة عقلا وشرعا.

وكذلك إذا تدخل شخص فى الصلح بين زوجين وفى نيته أنها لو طلقت لتزوجها فالظاهر أنه فى الصلح ليس مخلصا بل سيكون فى صفها هى بطريق مباشر أو غير مباشر، والله أعلم بالنيات والسرائر، فإن هذا الصلح ليس صلحا ولكنه إفساد، لا يرضاه عقل ولا دين.

أما إذا كان مخلصا فى الصلح ـ والله أعلم بنيته ـ ثم بعد المحاولات الكثيرة لم توجد فائدة فطلقت المرأة من زوجها، فرأى هو بعد ذلك أن يتزوجها لا بغرض دنيوى بل ليصونها من سلوك غير مشروع أو لقرابة بينهما أو غير ذلك من المبررات المعقولة فلا ضرر فى ذلك ولا حرمة ولا مؤاخذة، والعقد صحيح على كل حال بصرف النظر عن النية والباعث.

## مشكلة تمنع الزواج

**السؤال من القارئة، س.ع.م، من محافظة سوهاج تقول:**

**لدى مشكلة تمنعنى من الإقدام على الارتباط من أجل الزواج وهى أن عملية الختان قد تسببت فى انسداد فتحة الفرج، فماذا أفعل وهل لى أن أصارح والدىّ بهذا؟**

**الجواب:** إذا كانت عملية الختان تسببت فى انسداد فتحة الفرج فإن الجراحة الصحيحة يمكنها أن تعالج هذا السد، ولابد من مصارحة الوالدين، ولا حرج فى ذلك، فالعلاج مطلوب شرعا.

## تنفيذ وصية

**السؤال من القارئ محمد على محمد عبدالرازق، من المحلة الكبرى يقول:**

**هل يجوز تنفيذ وصية منْ طلب أن يقوم أهله أو أحد المعارف «بالزغاريد» ـ أصوات تعبر عن الفرحة ـ عند دفنه؟**

**الجواب:** من الذى يفرح بموت أحد من أهله، وهل الفرح هو شعار الموت أو الحزن هو الشعار، وإذا كان الحزن ممنوعا إذا تجاوز الحد المعقول وصحبته أعمال فيها سخط على قضاء الله، فهل الفرح هو شعار الموت؟

إن الموت عبرة وعظة وليس فرحا وسرورا، إن الذى يوصى بعدم حزن أهله عليه وصيته مقبولة حتى يتبرأ مما يعملونه من لطم الخدود وشق الجيوب ونحو ذلك. لكن هل يوصى بالفرح لموته؟ ذلك أمر غير طبيعى فيه مبالغة فى التحذير من الحزن بمظاهره المعروفة، والمبالغة فى كل شىء مذمومة، فالوصية تنفذ هذا ما أراه من وجهة نظرى، والله أعلم.

## حرمة الموتى

**السؤال من القارئ، خيري محمد إبراهيم أبو الروس، من كفر الجرايدة، بيلا، بمحافظة كفر الشيخ يقول:**

**هل يجوز هدم وتفريغ وإعادة بناء المقابر وتجهيزها لتسع أكبر عدد من الموتى؟**

**الجواب:** لا مانع من ذلك بشرط عدم انتهاك حرمة الموتى.

# سنة الجمعة

**السؤال من القارئ، ماهر أحمد محمد، من مصر القديمة بمحافظة القاهرة، يقول:**

**هل للجمعة صلاة سنة قبلية وبعدية، وما عدد ركعاتها وهل من الأفضل صلاة سنة الجمعة البعدية فى البيت أو مكان العمل؟**

**الجواب:** لقد تحدثنا عن ذلك طويلا فى أعداد سابقة وخلاصة الحكم أن الخلاف فى سنة الجمعة القبلية قديم، قال بمشروعيتها أبو حنيفة وأصحاب الشافعى فى أظهر الوجهين عندهم، والحنابلة فى غير المشهور أيضا، ولم يقل بمشروعيتها مالك والحنابلة فى المشهور عنهم، ومن أشد المتعصبين لعدم مشروعيتها ابن قيم الجوزية الحنبلى.

وحجة القائلين بمشروعيتها حديث ابن حبان «ما من صلاة مفروضة إلا وبين يديها ركعتان» وحديث البخارى ومسلم «بين كل أذانين صلاة» ثلاث مرات وفى آخرها «لمن يشاء» والأذانان هما الأذان والإقامة. وكذلك فعل النبى ﷺ كما رواه الطبرانى عن على بسند حسن. وأيضا فعل ابن مسعود وابن عمر كانا يصليان قبل الجمعة أربعا وبعدها أربعا. ذلك لأن الجمعة بدل الظهر، والظهر له سنة قبلية وسنة بعدية. وروى مسلم أن عبدالله بن عمر كان إذا صلى الجمعة انصرف فسجد سجدتين فى بيته ثم قال: كان النبى ﷺ يفعل ذلك.

والذين قالوا بعدم مشروعيتها حجتهم أن النداء يوم الجمعة أوله إذا جلس الإمام على المنبر على عهد الرسول ﷺ وأبى بكر وعمر، فلما كان عثمان زاد النداء الثالث على الزوراء. فالنبى كان يخرج من بيته فإذا رقى المنبر أخذ بلال فى الأذان فإذا أكمله أخذ النبى فى الخطبة فلم توجد فرصة لأحد أن يصلى ركعتين بعد الأذان وقبل الخطبة ويرد عليهم بأن الفرصة الآن بعد الأذان الثالث لعثمان تتيح صلاة ركعتين قبل صعود الخطيب. والخلاصة أن أدلة الطرفين ليست قطعية ولكل مجتهد رأيه ولا يجوز التعصب.

## هدم مسجد

**السؤال من القارئ، م. أ. ب، من ادفينا - رشيد - بمحافظة البحيرة، يقول:**

**هل يجوز هدم مسجد تقام فيه الصلوات منذ عشر سنوات، وذلك لصالح إنشاء طريق عام رغم وجود حلول بديلة؟**

**الجواب:** الذين يقومون بهدم هذا المسجد هم أولياء الأمر والمسئولون عن عمل الخير لمن يحكمونهم، فإذا رأوا فى هدمه خدمة للعامة لا توجد إلا بالهدم وليس هناك بديل عنه فلا مانع بشرط أن يقام بدله مسجدا آخر لا يقل عنه مساحة، لأن الدين لا يوافق على تعطيل الدين لمصلحة الدنيا.

فإذا كانت هناك حلول بديلة حرِّم هدم المسجد، وللدين والعقل والضمير والأخلاق والسياسة والحكمة دخل فى هذا الموضوع.

## رضاع الزوجة من أخت زوجها

**السؤال من القارئ ع. أ. أ. من كفر شكر كفر عامر بمحافظة القليوبية.. يقول:**

**ما حكم الدين فى رضاع زوجتى من أختى رضعات كثيرة وقد علمت ذلك بعد إتمام الزواج؟**

**الجواب** : لو كانت زوجتك قد رضعت من أختك - وهى فى سن الحولين - خمس رضعات معلومات كانت هى بنت أختك والزواج منها حرام، لأنه يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب كما ثبت فى الحديث الشريف.

وعليه فإن زواجك منها باطل وعليك أن تعمل على الانفصال منها بالطريق الرسمى، وأولادك منها هم أولادكما.

# الصلاة مع وضع ساتر

**السؤال من القارئ.. هشام شمس الدين أحمد من محافظة سوهاج ، قرية إدفا . يقول:**

**ما حكم الدين فى الصلاة مع وضع ساتر وهل رسم خط يغنى عن السترة؟**

**الجواب:** يستحب للمصلى أن يجعل بين يديه سترة تمنع المرور أمامه، وذلك لحديث رواه أبو داود وابن ماجه «إذا صلى أحدكم فليصل إلى سترة ولْيَدْنُ منها» وروى البخارى ومسلم أن النبى ﷺ كان إذا خرج يوم العيد أمر بالحربة فتوضع بين يديه فيصلى إليها والناس وراءه، وكان يفعل ذلك فى السفر، ثم اتخذها الأمراء.

واستحباب جعل السترة يستوى فيه أن يكون المصلى قد خشى مرور أحد أمامه أو لم يخش مرور أحد فلا يستحب، لأن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ قال: إن النبى ﷺ صلى فى فضاء وليس بين يديه شىء. رواه أحمد وأبو داود ورواه البيهقى.

ويشترط فى السترة أن يكون طولها ذراعا فأكثر، وجعل الشافعية حدها الأدنى ثلثى ذراع، كما يستحب ألا يجعلها مقابلة له تماما، بل تكون على اليمين أو اليسار، وأن يكون بينها وبين قدمى المصلى قدر ثلاثة أذرع أو أكثر.

والوضع الطبيعى للسترة هو غرزها لتكون منتصبة وذلك إن أمكن، وإلا وضعت بين يديه عرضا عند الجمهور، وهو أولى من وضعها بالطول. فإن لم يجد خطا بالأرض عند غير المالكية. واشترط الشافعية أن يكون الخط مستقيما طولا أو عرضا، واكتفى غيرهم بأن يكون مقوسا كالهلال، ويصح اتخاذ السترة النجسة عند غير المالكية.

## سجود السهو

**السؤال من القارئ، أ. م، من دولة الإمارات العربية، يقول: هل هناك سجود سهو على من جهر بجزء فى قراءة الفاتحة فى الركعة الرابعة لصلاة العشاء، وهل سجود السهو واجب أو سنة ولنا أن نختار؟**

**الجواب:** فى مذهب الشافعى وهو أيسر المذاهب فى هذه المسألة لا داعى لسجود السهو، وحتى لو كان هناك سجود سهو فهو عند الشافعية سنة وليس واجبا إن تركه عمدا فالصلاة صحيحة بدونه.

# رأى الدين فى قوله علىّ الحرام أن أفعل كذا

**السؤال من القارئة، ر. ب. ع. س، من محافظة جنوب سيناء تقول:**

**ما حكم الدين فى الرجال الذين يرددون قولهم علىَّ الحرام أو يحرم علىَّ كذا أن أفعل هذا الشىء؟**

**الجواب:** هذه الصيغة وهى الحلف بالحرام فيها أقوال كثيرة وصلت عشرين قولا والصيغة الموجودة فى السؤال - على رأى أنها من كنايات الطلاق - هى طلاق معلق، يريد به الحالف أن يفعل شيئا أو لا يفعله، والرأى المعمول به فى محاكم مصر هو أن يرجع إلى نية الحالف، فإن قصد به الحث على فعل شىء أو الامتناع عنه ولم يقصد به فراق زوجته فهو ليس بطلاق، وإن كنا نحكم عليه بكفارة يمين هى إطعام عشرة مساكين من الوسط الذى عليه الحالف، فإن عجز صام ثلاثة أيام.

أما إذا كان يقصد بهذه الصيغة المعلقة الارتكان على أى شىء حتى يتخلص من زوجته بالطلاق لأنه مصمم عليه وينتظر فرصة للخلاص منها فهو طلاق، وله أن يراجعها فى أثناء العدة إن كان هذا الطلاق الأول أو الثانى.

## وقوع الطلاق

السؤال من القارئة ر. ب. ع. س. من محافظة جنوب سيناء تقول:
هل يقع الطلاق فى حالة قول الزوج لزوجته لو فعلت كذا تكونى طالق، وهو فى حالة غضب قاصدا تهديد الزوجة فقط؟
الجواب: هذه الصيغة طلاق معلق، ومادام قد قصد به التهديد فلا يقع كما عليه العمل فى مصر ونوجه إلى إخراج كفارة يمين والتعلل بالغضب لا قيمة له، مادام يحس بالكلام الذى صدر منه. وذلك هو ما نختاره بناء على درجات الغضب التى وضحها ابن القيم وغيره.

## زكاة الحلى

السؤال من القارئة، ر. م، من محافظة الإسكندرية تقول:

هل يتم إخراج الزكاة عن الحلى التى تستخدم لزينة المرأة مهما بلغ وزنها، الذى قد يصل إلى نصف كيلو جرام؟

الجواب: حلى المرأة من الذهب والفضة التى تستعملها للزينة وليس للادخار ولا للتجارة فيه ثلاثة مذاهب فى الزكاة عليه.

مذهب يقول: تجب الزكاة كل عام إذا بلغ وزنه نصابا وهو حوالى خمسة وثمانين جراما.

ومذهب يقول: لاتجب فيه الزكاة مهما كثر وزاد وزنه مادام للتحلى والزينة، ومذهب متوسط يقول: إن بلغ النصاب أو زاد وكان متناسبا مع وضعها الاجتماعى والاقتصادى فتجب فيه الزكاة، والنساء مختلفات فى ذلك حسب مراكزهن وثرواتهن، وهذا المذهب وسط وفق به بين الأحاديث والآثار التى توجب الزكاة فى كل حال والتى لا توجبه مهما بلغ قدره.

وتفصيل الاستدلال مذكور فى المجلد الأول من «أحسن الكلام فى الفتاوى والأحكام» وقد سبق نشر بعضه فى عدد رمضان ١٤١٥هـ.

# اختيار القيادات فى العمل

السؤال من القارئ، محمد محمود اليمانى من مدينة القنطرة غرب، يقول:

ما حكم الدين فى اختيار القيادات فى العمل الإدارى وفق مستوى الكفاءة وليس بالأقدمية كما كان متبعا؟

الجواب: اختيار القيادات فى العمل الإدارى وفق مستوى الكفاءة أو الأقدمية تنظيم يترك للقائد أو الرئيس وضع أسسه حسب المصلحة التى يراعى فيها الكفاءة والقدرة على الإنتاج المتميز، وذلك ما يعبر عنه بمقولة: وضع الشخص المناسب فى المكان المناسب.

وإذا اجتمعت فى القيادة الكفاءة والأقدمية كان ذلك خيرا، لأن الأقدمية تزيد الكفاءة قوة، والإسلام راعى الكفاءة فى تولى المناصب والأعمال الهامة فقد قال الرسول ﷺ لأبى ذر عندما طلب منه ولاية «يأبا ذر إنك ضعيف وإنها أمانة، وإنها حسرة وندامة يوم القيامة إلا من أخذها بحقها وأدى الذى عليه فيها» رواه البخارى ومسلم. وقال: «وإذا ضُيعت الأمانة فانتظر الساعة» قيل: وكيف إضاعتها؟ قال «إذا وسد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة» رواه البخارى.

وكان يختار الأكفاء للأعمال التى تناسبهم لا دخل لقرابة أو صداقة بل حتى السبق فى الإسلام وعمل البر، فذلك شىء والمهمة شىء آخر، لها من هو كفء لها، فقد ولى أسامة بن زيد ـ وهو شاب ـ قيادة جيش سار إلى الشام وفيه علية القوم، وولى عمرو بن العاص على سرية ذات السلاسل لأنه كفء لقيادتها على الرغم من وجود من هو أقدم منه إسلاما.

والنجاح فى أى عمل يقوم على أمرين أساسيين هما الخبرة والدين أو الخلق، لقد قالها يوسف للعزيز فى مصر **﴿اجعلنى على خزائن الأرض إنى حفيظ عليم﴾** سورة يوسف: آية ٥٥. وقالتها بنت شعيب لأبيها فى استئجار موسى: **﴿ياأبت استأجره إن خير من استأجرت القوى الأمين﴾** سورة القصص: آية ٢٦.

وفى الحديث **«من استعمل رجلا من عصابة ـ أى جماعة ـ وفيهم من هو أرضى لله منه فقد خان الله ورسوله والمؤمنين»** رواه الحاكم وصححه.

## مسألة فى الميراث

**السؤال من القارئ، ناجح حامد محمد حسين، من كوم المنضورة ـ أبنوب بمحافظة أسيوط يقول:**

**توفى رجل عن زوجة، وستة ذكور وخمس إناث فكيف يكون الميراث؟**

**الجواب:** يوزع الميراث كالآتى:

للزوجة الثمن فرضا لوجود الفرع الوارث للميت، كما قال تعالى **﴿ولهن الربع مما تركتم إن لم يكن لكم ولد فإن كان لكم ولد فلهن الثمن مما تركتم﴾** سورة النساء: آية ١٢. والباقى للأولاد، للذكر مثل حظ الأنثيين كما قال تعالى: **﴿يوصيكم الله فى أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين﴾** سورة النساء: آية ١١.

# اتقوا الله

للقارئ محمود ماهر على محمد - طالب بالشهادة الثانوية الأزهرية - أسيوط - القوصية

يقول النبى ﷺ فى حديث رواه الإمام على - كرم الله وجهه:

**(إذا فعلت أمتى خمس عشرة خصلة حل بها البلاء، قيل: وماهى يارسول الله قال: إذا كان المغنم دولا والأمانة مغنما والزكاة مغرما وأطاع الرجل زوجته وعق أمه وبر صديقه وجفا أباه وارتفعت الأصوات فى المساجد وكان زعيم القوم أرذلهم وأكرم الرجل مخافة شره وشربت الخمور ولبس الحرير واتخذت القينات والمعازف ولعن آخر هذه الأمة أولها فليرتقبوا عند ذلك ريحا حمراء أو خسفا أو مسخا»** رواه الترمذى، ومن خلال هذا الحديث نجد أن ما نحن فيه من بلاء ووهن إنما هو من أفعالنا، فقد أطاع الرجل زوجته وعق أبويه وبر صديقه وشرب الخمور ولبس الحرير، وكل هذا البلاء من جراء تلك الأفعال التى حرمها الإسلام، وقد تشبهت النساء بالرجال والرجال بالنساء وباتت المرأة ترتدى البنطلون حتى عجزنا عن التفريق بين الرجل والمرأة، فمتى نتجنب هذه الرذائل؟ لابد من الرجوع إلى الله والعمل بالتقوى حتى يلقى الله فى قلوب أعدائنا الخوف والوهن والمهابة والاحترام.

❖❖❖

**فى الحقيقة لقد بعدنا كثيرا عن تقوى الله وفرطنا فى ذلك تفريطا بعيدا فلم نعد نتعظ أو نعتبر وصارت كلمة التقوى لفظا عابرا لا نقف عنده ولا نفكر فيه حتى إذا رددناه أحيانا فيكون ذلك من قبيل الاستعراض أو الإعلان عن الذات أو الإشادة ببعض صفاتنا ومزايانا، ولكن كلمة التقوى لا ترسخ فى القلب ولا يستوعبها العقل لأن نفوسنا مشغولة بالتفاهات الحياتية وعاجزة عن وضع الأمور فى نصابها وهذا هو عين الخسف والمسخ.**

## هذا هو دين الإسلام الحنيف

للقارئ المهندس محمود أحمد إبراهيم العقاد - مدير الإدارة الكربية بمجمع الطرق - هندسة شبرا

هذا الدين يعبر عن أعلى نظريات العلم والعلماء والمفكرين، فدين الله المعجزة الذى أنزله العلى القدير يحوى أسرار العلوم وكنوز المعرفة التى وصلت إليها أحدث وأعلى التكنولوجيات فى العالم مثل أمريكا وأوروبا واليابان والصين والله - سبحانه - يحدثنا عن نبيه ﷺ قائلا: **﴿لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى علمه شديد القوى﴾** إن الفناء والقيامة أمر حتمى لاشك فيه وهو نهاية علم البناء والتفاضل ويأتى بعد ذلك علم التكامل الإلهى الذى لا يعلمه إلا الله ليعيد الحد الأول وهو القيام مصداقا لقوله تعالى: **﴿كما بدأنا أول خلق نعيده وعدا علينا إنا كنا فاعلين﴾** والبعث لابد منه، يقول الله - سبحانه -: **﴿سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق﴾** إن كل عالم يصل بعلمه إلى أن لا حدود له ولا زمن ولا أبعاد له ولا بداية ولا نهاية له، قد وصلوا إلى تلقائية التوحيد بالنظرة المتأملة وبلا شعور ولكن بالمنطق والعلم وهذه آية الله فى خلقه.

❖❖❖

**وفى كل شىء له آية**

**تدل على أنه الواحد**

**فلو أخذ الإنسان الأمور بعقلانية وأعمل فكره متأملا لوجد أن كل ما يدور حوله يستلزم خالقا متفردا لا يشاركه أحد فى خلقه ولا فى قدرته ومشيئته فهو - سبحانه - القائل: ﴿لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا﴾ وقديما أدرك العربى القديم ذلك بالفطرة فقال: البعرة تدل على البعير وأثر السير يدل على المسير فسماء ذات أبراج وأرض ذات فجاج وأبحر ذات أمواج ألا يدل هذا على اللطيف الخبير؟**

# رأى الدين فى تنظيم الأســـرة

للقارئ الشيخ خيرى محمد أبو الروس ـ إمام وخطيب مسجد السلام ـ كفر الجرايدة ـ بيلا ـ كفر الشيخ.

لقد أجاز الدين الإسلامى لكل أسرة دراسة أحوالها الاقتصادية والاجتماعية، ثم اختيارها فى حدود طاقتها وما تجيزه لها هذه الأحوال امتناعا أو استجابة حسب القدرة، حيث وجهت الشريعة إلى الرعاية الكاملة، والقوامة النافعة تحقيقا لأبعاد هذه الثمرة المرجوة وهى النسل، بعيدا عن الضياع والتشرد والحقد على المجتمع وكراهيته، ومن هنا فإن تنظيم الأسرة بمفهومه الحديث أمر جائز شرعا ولا يمنع منه ديننا الحنيف بل هو أمر قد يتطلبه لمقتضياته، لأن كل التشريعات الإسلامية مبنية على النظام فما بالنا نستبعد أن يقر الدين أمر تنظيم الأسرة ويهدى الناس إلى الصواب فيه. والحقيقة أن تنظيم الأسرة يبنى على أصل صريح وواضح فى القرآن الكريم كما فى قوله تعالى: ﴿**ووصينا الإنسان بوالديه إحسانا حملته أمه كرها ووضعته كرها وحمله وفصاله ثلاثون شهرا**﴾ سورة الأحقاف: آية ١٥، وقد أباح الإمام أبو حامد الغزالى ـ حجة الإسلام ـ تنظيم النسل وهو من الفقهاء القدامى فى كتابه (إحياء علوم الدين) ولخص فضيلة الإمام الأكبر الشيخ محمود شلتوت فى كتابه (تنظيم النسل) جانبا من كلام الإمام الغزالى، كما أجاز الإمام ابن تيميه فى كتابه (مختصر الفتاوى) العزل كوسيلة لمنع الحمل، وقد أفتى فضيلة الأستاذ الدكتور الإمام الأكبر شيخ الأزهر محمد سيد طنطاوى بجواز تنظيم الأسرة والنسل للعوامل الصحية والاقتصادية والاجتماعية وأفتى بعدم جواز صدور أى شىء يجبر الزوجين على تنظيم أسرتهما وقال: إن التنظيم لا يتعارض مع قوله تعالى: ﴿**المال والبنون زينة الحياة الدنيا**﴾ سورة الكهف: آية ٤٦، ولا مع قوله سبحانه: ﴿**وما من دابة فى الأرض إلا على الله رزقها**﴾ ولا مع قوله ـ عز وجل ـ: ﴿**ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق نحن نرزقهم وإياكم**﴾ سورة الإسراء: آية ٣١، ولا يتعارض مع قول الرسول ﷺ: «**تناكحوا تناسلوا تكثروا فإنى مباه بكم الأمم يوم القيامة**» رواه البخارى ومسلم فى صحيحيهما.

❖❖❖

**الأصل فى القاعدة الفقهية فى أى أمر تشريعى أنه لا ضرر ولا ضرار، ومادام أن هذا الأصل ثابت فى تلك الفتاوى ولا يضر بطرف من الأطراف المعنية فلا مانع أبدا من إجازته والعمل به تفاديا للأضرار الأسرية والاجتماعية والاقتصادية والطبية وإحقاقا لما تأمله الأسرة من وجود الكيان البشرى الذى تعتمد عليه الأسرة وتسعد به ويكون قرة عين لها ودرعا واقيا من عوادى الزمان.**

# التربية فى الإسلام

للقارئ محمد فرج عامر فرج - مدرس قرآن كريم بمعهد على بن أبى طالب - صو - أطفيح - جيزة

لقد جعل الإسلام التربية أساسا ونبراسا لكل شىء، فقد بين أن الأسرة الإسلامية أساس البناء القوى السليم؛ فإذا كانت مكونة من أفراد لهم خلق ودين كانت الأجيال كذلك وإلا خرجت الذرية شاردة بعيدة عن الخلق والدين، وأساس التربية الصحيحة هو اختيار الزوجة الصالحة لأنها وعاء التربية ومن لبنها يتغذى الطفل، والرسول ﷺ يقول: **«تخيروا لنطفكم فإن العرق دساس» ويقول أيضا: «عليك بذات الدين تربت يداك»** وكما يوجه الإسلام باختيار الزوجة الصالحة فإنه يأمر باختيار الزوج الصالح، يقول أبو الدرداء رضي الله عنه: «أزوج ابنتى لمن يتقى الله فإن أحبها أكرمها وإن كرهها لم يظلمها»، ويظل الإسلام يوجهنا إلى رعاية الطفولة فى مسئولية الرضاع وغيرها إلى أن يصل الطفل إلى سن السابعة فيقول ﷺ: **«مروا أولادكم بالصلاة لسبع واضربوهم لعشر»** ويقول الرسول - عليه الصلاة والسلام - **«اعملوا بطاعة الله واتقوا معاصى الله ومروا أولادكم بامتثال الأوامر واجتناب النواهى فذلك وقاية لهم ولكم من النار»** ويقول الله سبحانه: **﴿قوا أنفسكم وأهليكم نارا﴾** والرسول ﷺ يقول: **«افتحوا على صبيانكم أول كلمة بلاإله إلا الله»** ويقول سعد بن أبى وقاص رضي الله عنه: «كنا نعلم أولادنا مغازى رسول الله ﷺ ويقول: «علموا الطفل القرآن وحكايات الأبرار ثم بعض الأحكام الدينية».

❖❖❖

**التربية الإسلامية تعتمد على التأديب والتهذيب والتقويم والإصلاح والتوجيه وغرس مبادئ الإسلام ومفاهيم الأخلاق الكريمة فى نفوس الأسرة والأطفال واختيار الألفاظ السليمة البعيدة عن الإسفاف والرذائل والمجون والتعامل مع الجميع بالعدل والإنصاف والمساواة وعدم التفرقة بين بعض الأطفال والبعض الآخر؛ فهذا يورث الحقد والبغضاء والتنافر والتفكك بين أفراد الأسرة**

# الناس غيرها بالأمس

للقارئ أنور السادات فتحى فهمى - قنا

أصبحت اليوم الناس غيرها بالأمس؛ فاليوم أرى قلوبا قد تصادمت مع الحياة فأصبحت قاسية حاقدة ناسية، همها هو الخراب فى الليل والنهار، ترى فى كل صوب وناحية قلوبا دخلها الفساد بعد أن كانت قلوبا للإصلاح منادية، وللقرآن حافظة وللناس هادية، واليوم تراها فى الهاوية، ماذا حدث؟ لقد أصبحت القلوب فاجرة لا تعمل إلا للخراب والهدم بعد أن هجرت القرآن وسنة الرسول العظيم، بالأمس كانت النساء يلبسن الخمار ويملأ عيونهن الحياء والاحترام، واليوم أرى صدورا عارية وأجسادا هاوية وبلاء كاسحا ماذا حدث؟ بالأمس كان الناس أخوة سواء كانوا أشقاء أو غير أشقاء، كانت قلوبهم بيضاء ونفوسهم صافية، واليوم أرى الأشقاء بعد موت الأب وحتى فى حياته قد تفرقت بهم السبل وضلت بهم سفينة النجاة فتاهوا فى بحر المكر والدهاء وغرقوا وأين النجاة؟

❖❖❖

**نعيب زماننا والعيب فينا**

**وما لزماننا عيب سوانا**

**لقد تحجرت القلوب واسودت وقست النفوس، فالحياة تجرى بالجميع فى طريق مسدود لا خلاص منه ولا نجاة إلا بالرجوع إلى الله وتدعيم روابط الحب والمودة بين جميع الناس وترك التعالى والغفلة والحقد والمكر والدهاء والعودة إلى التقوى والهدى والرشاد والتخلص من القتال المميت من أجل المادة والمنصب والجاه، وهذا يستلزم وقفة طويلة وغرسا مضنيا وعملا شاقا حتى تأتى الثمار.**

للقارئ / إبراهيم خليل إبراهيم - رئيس تحرير مجلة الفيروز الإذاعية - إذاعة الشباب والرياضة

# سبحان الله

للحديد منافع وفوائد عديدة. فهو أساس لكثير من الصناعات، فمنذ القدم هو مادة تصنع منها الدروع السابغات التى تقى المحاربين من السهام، كما أنه مادة لإقامة السدود والحصون التى تدعم السلام، وهو أساس القوة التى ترهب الأعداء وطريق النصر، وفى القرآن الكريم سورة للحديد تتحدث عن ذلك، وقد امتن الله- سبحانه- على عباده بما علم به داود- عليه السلام- من صناعة الدروع فقال تعالى: **(وعلمناه صنعة لبوس لكم لتحصنكم من بأسكم فهل أنتم شاكرون)** سورة الأنبياء: آية ٨.

وامتن على داود بأن ألان له الحديد، فقال- سبحانه-: **﴿ولقد آتينا داود منا فضلا ياجبال أوبى معه والطير وألنا له الحديد أن اعمل سابغات وقدر فى السرد واعملوا صالحا إنى بما تعملون بصير﴾** سورة سبأ: الآيتان ١٠، ١١. والجدير بالذكر أن الحديد هو المعدن الوحيد الذى حير العلماء، فقد قال الدكتور أستروخ أشهر علماء وكالة ناسا الأمريكية للفضاء: لقد أجرينا أبحاثا كثيرة على معادن الأرض وأبحاثا معملية ولكن المعدن الوحيد الذى يحير العلماء هو الحديد؛ إن الإلكترونات والنيترونات فى ذرة الحديد لكى تتحد محتاجة إلى طاقة هائلة تبلغ أربع مرات مجموع الطاقة الموجودة فى مجموعتنا الشمسية ولذلك فلا يمكن أن يكون الحديد قد تكون على الأرض ولابد أنه عنصر غريب وفد إلى الأرض ولم يتكون فيها، فلما ترجموا له الآية رقم ٢٥ من سورة الحديد: **﴿وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب إن الله قوى عزيز﴾** قال الدكتور أستروخ: إن هذا الكلام لا يمكن أن يكون من كلام بشر.

❖ ❖ ❖

**وكيف يكون هذا الكلام من كلام البشر والآية الكريمة تشير إلى أن الله سبحانه هو الذى أنزله وفيه كثير من المنافع للناس وأنه رمز للقوة والعزة والنصر؟، ثم قرن ذلك بقوة الله وعزته التى يريدها للمسلمين فى كل زمان ومكان، فهو إذن مادة للتحصين والدفاع والقوة، هذا عدا المنافع الأخرى الكثيرة التى أراد الله - سبحانه - أن ينفع بها عباده.**

## مسابقة منبر الإسلام للحج والعمرة - شعبان ١٤١٩هـ (١٢)

**السؤال: والذى يؤكده كاتبو سيرة مالك أنه اشتغل فى صباه بزازا يتاجر مع أخيه النضر حتى أنس من نفسه ميلا للعلم فترك مهنة أخيه.**

**من قائل هذه العبارة وفى أى مقال وردت؟**

عنوان المقال: ........................ اسم الكاتب: ........................

العنـــوان: ..................................................

العمــــل: ..................................................

اسم المتسابق: ........................ رقم التليفـــون: ........................

رقم البطاقـــة: ........................ جهة الصدور: ........................

املأ بيانات هذه البطاقة بعد معرفة الإجابة، واحفظها عندك لترسل إلينا جميع البطاقات مرة واحدة فى آخر أشهر المسابقة عسى

## بريد التعارف

# أهلاً

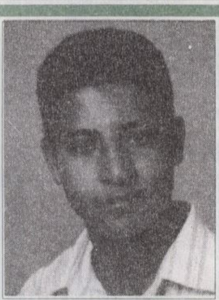

**الإسم :** أيمن السيد السيد سلام
**الهواية :** رسم اللوحات والمناظر
**العنوان :** القلش - تلا - منوفية

**الإسم :** جاد إبراهيم الدسوقى جاد
**الهواية :** الاطلاع الدينى وقراءة القرآن
**العنوان :** عرب الرمل - قويسنا - المنوفية

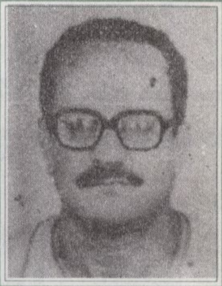

**الإسم :** محمد فرج بيومى ثابت
**الهواية :** الاطلاع الدينى
**العنوان :** أبشيش - الباجور - المنوفية

**الإسم :** إسلام محمد إسماعيل مصطفى
**الهواية :** الاطلاع الدينى
**العنوان :** البراتقة - الباجور - المنوفية

**الإسم :** عبدالكريم عثمان ربيع
**الهواية :** سماع القرآن
**العنوان :** البراهمة - قفط - قنا

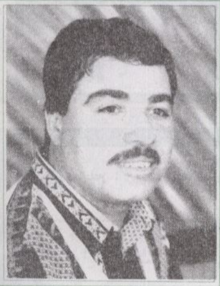

**الإسم :** عبدالمنعم محمد عبدالواحد عوض الله
**الهواية :** المراسلة والاطلاع الدينى
**العنوان :** القلين - منيا القمح - شرقية

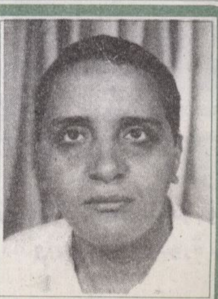

الإسم : أبو بكر أحمد حنفى
**الهواية :** المراسلة - كرة القدم
**العنوان :** السادات - قوص - قنا

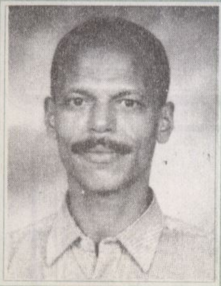

**الإسم :** مصطفى السيد مصطفى
**الهواية :** المراسلة وقراءة القرآن الكريم
**العنوان :** ٦ ش المهندس عبدالحميد عطا - أميشة - الجيزة

**الإسم :** محمد حسين على

**الهواية :** ممارسة الرياضة

**العنوان :** بلنصورة ـ أبو قرقاص ـ شرقية

**الإسم :** خالد محمود عثمان خيمر

**الهواية :** الاطلاع العلمى

**العنوان :** قرية القارة ـ أبو تشت ـ قنا

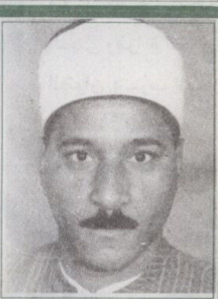

**الإسم :** محمد شاكر محمد مصطفى

**الهواية :** الاطلاع والشعر الدينى

**العنوان :** العليمات الغربية ـ أبو شوشة ـ قنا

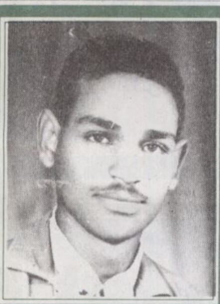

**الإسم :** أشرف عبدالمنعم

**المهنة :** المراسلة

**العنوان :** قرية صروة ـ قلين ـ كفر الشيخ

**الإسم :** السيد أحمد يوسف

**الهواية :** الخطابة الدينية

**العنوان :** نزلة العزازي ـ أبو حماد ـ شرقية

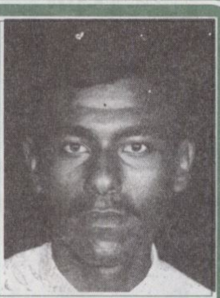

**الإسم :** عصمت محمد أحمد

**الهواية :** الاطلاع الدينى

**العنوان :** جزيرة أولاد حمزة ـ العسيرات ـ سوهاج

**الإسم :** رمضان فتحى محمد

**الهواية :** نشر الوعى الدينى

**العنوان :** شطانوف أشمون ـ منوفية

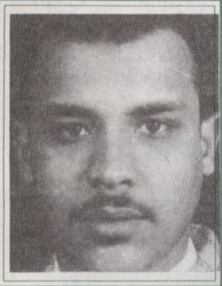

**الإسم :** محمد فاروق محمد

**الهواية :** قراءة الكتب الدينية ورياضة الملاكمة

**العنوان :** ١ ش موسى الجزار ـ الطنانى ـ امبابة

## تعارف منبر الإسلام

**الاسم :** ..............................

**الهواية:** ..............................

**العنوان:** ..............................

**ترجو المجلة من قرائها فصل الكوبون المجاور وملء بياناته وإرفاق الصورة به وإرساله إلينا**

# محتويات العدد


| | | |
|---|---|---|
| □ كلمة التحرير | | ١ |
| □ حديث الشهر | بقلم رئيس التحرير | ٢ |
| □ **القرآن الكريم وعلومه** | | ٧ |
| ● تفسير سورة محمد ﷺ | د. محمد سيد طنطاوى | ٨ |
| ● الإعجاز فى كتاب الله الحكيم | د. محمد عبدالمنعم خفاجى | ١٢ |
| ● مبادئ القرآن الذى لا تنتهى عجائبه | د. على جمعة | ٢٠ |
| ● التفسير اللغوى للقرآن الكريم | د. عبدالغفار حامد هلال | ٢٢ |
| ● الإعلام الدينى هدف وغاية | د. محمد بهى الدين سالم | ٢٦ |
| □ **دراسات فى السنة النبوية المطهرة** | | ٢٩ |
| ● الحياء من الإيمان | فضيلة الشيخ إبراهيم الدسوقى | ٣٠ |
| ● سنن الإمام أبو داود | د. أحمد عمر هاشم | ٤١ |
| □ **فلنولينك قبلة ترضاها** | | ٤٧ |
| ● ليلة النصف من شعبان | د. صبرى عبدالرؤوف | ٤٨ |
| ● القبلة وأحكامها الفقهية | رجب عبدالمنصف | ٥٢ |
| ● حوار جديد فى الإسلام | لوزير الخارجية البريطانى روبين كوك | ٥٥ |
| ● انتماء مدفوع الأجر!! | تحقيق/ مصطفى إبراهيم خيان | ٥٩ |
| □ **ملف العدد** | | ٦٥ |
| ● بيان البابا شنوذة | | ٦٦ |
| ● مصر وقانون الاضطهاد الدينى | د. أحمد شلبى | ٦٧ |
| ● هذا القانون الأمريكى المشبوه! | رجب البنا | ٧١ |
| ● الحوار الإسلامى ـ المسيحى إلى أين؟ | د. الأنبا يوحنا قلته | ٧٤ |
| ● التأصيل التاريخى للوحدة الوطنية فى مصر | الأستاذ/ فهمى ناشد | ٧٨ |
| ● هل الأقباط مضطهدون؟! | الأنبا بسنتى | ٨١ |
| □ **الحضارة والعلوم** | | ٨٣ |
| ● رؤية إسلامية لتوجيه العلوم إسلامياً | د. أحمد فؤاد باشا | ٨٤ |
| ● الخوارزمى مؤسس علم الجبر | د. محمد يونس الحملاوى | ٨٨ |
| ● ابتهال ـ (شعر) | عمر موسى البرعى | ٩٢ |
| □ **الفقه والتشريع الإسلامى** | | ٩٣ |
| ● مبادئ دستورية فى الفقه السياسي الإسلامى | عرض/ د. محمد الجوادى | ٩٤ |
| ● من لهذه الزوجة المطلقة؟ | مستشار حسن حسن منصور | ٩٨ |
| ● مع الشباب | بدر الدين السيد | ١٠١ |
| ● وراء الأخبار | منير بيومى | ١٠٤ |
| ● شعر محمد إقبال فى رسالة جامعية | إعداد/ على الملاح | ١١٢ |
| □ **الدعوة والدعاة** | | ١١٩ |
| ● خطبة الجمعة ـ مكانتها ورسالتها | د. أبو اليزيد العجمى | ١٢٠ |
| ● اتقوا الله فى أئمة الإسلام | د. محمد رجب البيومى | ١٢٦ |
| ● وعى الأمن | لواء / محمد جمال الدين محفوظ | ١٣٠ |
| ● **أنت تسأل والفقيه يجيب** | فضيلة الشيخ عطية صقر | ١٣٣ |
| ● **مع القراء** | يحرره حسين السكرى | ١٣٩ |
| ● **بريد التعارف** | | ١٤٣ |

# يسر المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

## أن يزود المكتبة الإسلامية والقارىء المسلم فى جميع أنحاء العالم الإسلامى بأمهات الكتب التى صدرت عن المجلس ومنها:

### أمهات كتب التراث الإسلامى

- الأحاديث القدسية مع تعليق كبار العلماء
- صحيح البخارى الأجزاء من ١ : ١١
- سبل الهدى والرشاد الأجزاء من ١ : ١٢
- السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار الأجزاء من ١ : ٤
- المقتضب للمبرد الأجزاء من ١ : ٤
- الوجوه والنظائر الأجزاء ١ : ٢
- مختصر سيرة ابن هشام الأجزاء ١ : ٢
- بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز الأجزاء من ١ : ٦
- المعلم بفوائد مسلم الأجزاء١ : ٢
- إخلاص الناوى من ١ : ٤

### المصحف الشريف

- المصحف الشريف طباعة المجلس ٢ لون بصمة ذهب
- المنتخب فى تفسير القرآن الكريم «مجلد فاخر»
- المصحف المعلم ٣٨ شريطا للشيخ الحصرى
- المصحف المرتل ٢٢ شريطا للشيخ محمود خليل الحصرى
- المصحف المجود ٦٠ شريطا للقراء
عبد الباسط عبد الصمد - مصطفى إسماعيل
محمود على البنا - محمود خليل الحصرى

### وهذه الكتب لكبار العلماء القدامى وكبار المحققين فى العالم الإسلامى:

- موسوعة الفقه الإسلامى الأجزاء من ١ : ٢٥
- الفتاوى الإسلامية مجلدات من ١ : ٢٠
- مساجد مصر وأولياؤها الصالحون الأجزاء من ١: ٥

وتيسيرا على القارىء المسلم ومشاركة فى تزويد المكتبات الإسلامية بالمطبوعات التى صدرت عن المجلس، تباع هذه المطبوعات للجمهور بسعر التكلفة الفعلية، مع إجراء نسبة خصم للبيع بالنقد إذا زاد عدد النسخ المباعة على عشر للكتاب الواحد أما بالنسبة للهيئات الحكومية والمؤسسات العامة فيمكن البيع بالأجل على أقساط شهرية دون أية زيادة على أسعار التكلفة الفعلية.

### مراكز البيع

القاهرة ٩ شارع النباتات - جاردن سيتى - ٢ شارع الأمير قدادار المتفرع من ميدان التحرير
٧٦ شارع الجمهورية (شرائط القرآن الكريم) - المواعيد من الساعة ٩ صباحا إلى الساعة ٢ مساء
الاسكندرية فرع المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ٤٢ شارع سعد زغلول

مطابع الأهرام التجارية - قليوب - مصر